وَقَفَاتٌ وتَأَمُّلَاتٌ

مَعَ آيَاتٍ مِن كِتَابِ اللّهِ العَزِيز

الجزء الثالث

من سورة العنكبوت حتى نهاية سورة الناس

يتضمن القسم الأخير من الكتاب متفرقات

عبد المنعم مصطفى حليمة

أبو بصير الطرطوسي

وَقَفَاتٌ وتَأَمُّلَاتٌ مَعَ آيَاتٍ مِن كِتَابِ اللهِ العَزِيز

عبد المنعم مصطفى حليمة

" أبو بصير الطرطوسي "

بسم الله الرحمن الرحيم

أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا

1- [أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا]؛ فيستفيدون من إيمانِهم في الدّنيا والآخرة، ويُكتب لهم به القبول، والنجاة، وعلو الدّرجات، [وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ]العنكبوت:2. وهم في المقابل لا يُريدون أن يُختَبَروا بأنواعِ البَلاءات، التي تُعَرّف على صدق إيمانهم من عَدَمه، وتُظهِر حقيقةَ دعواهم [آمَنَّا]؟! لا؛ فالمِنَح، بعد المِحَن، والمنَح لا بد أن يتقدمها محن.

2- [أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ]العنكبوت:2. المؤمنُ مُبْتَلَى، ويُبتَلَى على قَدْرِ دِينِه .. وأيُّما امرِئٍ تَخْلُو مَعَالجتَهُ للبَلاءِ مِن الصَّبرِ، والاحتِسَابِ، والرِّضَا، والتَّفْويضِ .. فَقَدْ رَسِبَ في اختبارِ البَلاءِ .. ولم يخرُجْ مِن البَلاءِ بخيرٍ .. ولم يَزِدْهُ البَلاءُ إلَّا رَهَقاً.

* * * * *

مَن كَانَ يَرْجُو لِقَاء اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ

3- [مَن كَانَ يَرْجُو لِقَاء اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ]العنكبوت:5. مهمَا طالَ بك العُمر .. لَا تَستَبطِئ لقَاءَكَ باللهِ، ورجُوعَك إليه .. فهو آتِيك لا مَحالَة، وفي سَاعَةٍ لَا تَتَقدَّمُ، ولا تَتَأَخَّر، ولَا تَقبلُ التَّأجِيلَ .. وإن كُنتَ حقَّاً تُريدُ لقاءَ اللهِ تعالى لقاءً حسَناً، وهو رَاضٍ عنك .. فتَجهَّز وتَزوَّد لهذا اللقاءِ بالأعمالِ الصَّالحةِ، وليكُن همُّك كله موجَّهاً نحو هذا الاتجاهِ .. فاللهُ يَسمعُ قولَكَ، ويَعلمُ سَريرَتك ونيَّتك، لَا يخفَى عليه من أعمالِك شيء.

* * * * *

إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ

4- [وَمَن جَاهَدَ]؛ سَواء كان جِهَادَ قِتَالٍ، أم جِهادَ نَفْسٍ، [فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ]؛ المجَاهِدُ [لِنَفْسِهِ]؛ لمنْفَعَةِ نَفْسِه؛ فهو المنتفعُ من جِهادِه في الدُّنْيَا والآخِرَةِ، وهو الذي يحتَاجُ للجِهَادِ؛ ليسْلَمَ ويأمَنَ في الدُّنيا، ويَنْعَمَ في الآخِرَةِ .. فلا يَمُنَّنَّ على اللهِ جِهَادَه .. أمَّا اللهُ تعالى فهو الغَنِيُّ عن العِبادِ، وعن جِهادِهم، وعِبادَتِهم، [إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ]العنكبوت:6. فلو كانَ النَّاسُ جميعاً على أتْقَى قَلْبِ رجُلٍ لَمَا زَادَ مِن مُلْكِه شَيئاً، ولو كانُوا على أفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ، ما نَقَصَ مِن مُلْكِه شَيئاً.

* * * * *

أَوَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ

5- [أَوَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ]العنكبوت:10. أينَ المفَرُّ .. وأينَ المنْجَا، والملْجَا .. فاللهُ تعالى لا يَخفَى عليه شَيءٌ، يَعلَمُ ما تتواطَؤ عليه قلُوبُ العِبادِ، وما تُضْمِرُه مِن خيرٍ أو شَرٍّ، قبل أن تُظهِرَه .. وقادِرٌ على أن يأخُذَ به، ويُجازي عليه .. عِندما يُحالُ بينَك وبين ما يُضْمِرُه المنافقون من شَرٍّ، أو كُفْرٍ .. وبينَك وبينَ كَيدِ ومَكْرِ الأعْداءِ، وما يُحيكُونَه في الظُلُماتِ .. وعِندَما تُضْمِرُ في قلبِكَ غشّاً أو خِيانَةً، ورِياءً لا يَعلمُه النَّاسُ .. أو حُبّاً، ووفَاءً، وإخْلاصاً لا يُكَافِئكَ عليه النَّاسُ .. وعِندما تَهمُّ بحسَنَةٍ أو سَيِّئةٍ .. وعِندما تَشتَدُّ عليكَ الآلامُ والمحَنُ، وقَلبُكَ يَئِنُّ من وطْأتِها وشِدَّتِها .. ثمَّ لا تَقْوى على رَفْعِ قَضِيَّتِك إلى السَّماءِ .. في جميع هذه الحَالاتِ والصُّوَرِ، تَذَكَّر قولَه تعالى:[أَوَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ]، بَلَى .. بَلَى!

وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ

6- [وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ]؛ يقُولُ بلسَانِه، ولم يتمَّكن الإيمانُ في قَلبِه .. بدَلِيل؛[فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ]؛ فإذَا تَعَرَّضَ لأدنَى أذَى أو تَعذيب مِن الكافِرِين، سرعَان مَا يَرتد عن دينِه، ويُطاوعُهم فِيما يُريدُون مِنه، [جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ]؛ جعَلَ عذَابَ وأذَى الكافِرين له، [كَعَذَابِ اللَّهِ]؛ يومَ القِيامَةِ؛ وهذا لسوءِ اعتقادِه، وضَعفِ إيمانِه .. فعذابُ اللهِ ليسَ كمِثله عذَاب، [وَلَئِن جَاء نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ]؛ وَلَئِن دارَت الدائرةُ على الكافِرين، ونَصرَ اللهُ المؤمنِين على الكافِرين، [لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ]؛ سرعَان مَا " بكَوِّع "، ويتنَكَّر لماضِيه، ولجرائِمه، ولنصرتِه للكافِرين الظالمِين على المؤمنِين .. ويَدَّعي كذِباً أنه كان مؤمِناً، ومعَ المؤمنِين، عسَى أن يُشارِكَهم بعضَ غنَائِمِ ومكتَسبَات النَّصْر، [أَوَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ]العنكبوت:10. واللهُ يعلمُ حقيقَةَ ما وقَرَ في الصُّدُور، ويَعلمُ الكاذبَ مِن الصَّادقِ، والكافرَ المنافقَ مِن المؤمن الصَّادِقِ .. وهذا المنَافقُ المتَذَبذِبُ " المكوِّع " إن خَفي حالُه عن عبادِ اللهِ، فهل يَستطيعُ أن يخفي حقيقَتَه، ومَا يُضمر في قلبِه عن اللهِ؟!

* * * * *

إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقاً

7- [إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ]؛ أيّاً كانت صِفةُ واسمُ هذا المعبُود مِن دُونِ اللهِ، [لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقاً]؛ وذلك مِن وجهَين: أولهما أنَّ اللهَ تعالى هو الخالقُ للرزقِ بكلِّ أنواعِه، وهو الخالقُ للأسبابِ التي مِن خِلالها يُتدَاول الرزقُ، ويَنمُو .. وهو المالِكُ الحقِيقيُّ للرزقِ، وهو وحده القادِرُ على أن يرزقَ مَن يَشاء، ويمنعُ الرزقَ عمَّن يَشاء .. والإنسانُ مُستأمَن، ومُستخلَف على الرزقِ، لِينظُر كيفَ يتصرَّف، ويعملُ فِيما قد

استؤمنَ عليه؛ هل سيتصرَّفُ في هذا المالِ والرِّزقِ وفقَ مَشيئةِ وأمرِ وتَعاليمِ خالِقِه، ومالِك المالِ على الحقيقةِ أم لَا .. فوظيفَته تنحصرُ في هذا الإطَارِ لا غَير .. والمالُ من هذا الوجهِ بالنسبةِ للإنسان فتنةٌ، واختبارٌ .. ومِن جهةٍ ثانية؛ فالإنسانُ لا يَعدُو عن كونِه وسيلةً من جملة الوسائِل التي تحملُ وتحرّكُ هذا الرزق والمال لمن يَشاء اللهُ أن يصلَه هذا الرِّزق؛ فلا يَستطيعُ أن يحملَ رزقاً لأحدٍ إلا بإذنِ اللهِ، ولا يستطيعُ أن يمنعَ رزقاً عن أحدٍ إلا بإذنِ اللهِ .. فكم مرَّة يَعتقدُ أحدُنا أن الرزقَ سيأتيه مِن اتجاهٍ، ويتعلقُ قلبه بهذا الاتجاه .. فيأبى اللهُ إلا أن يأتيَه الرزقُ من اتجاهٍ آخَر، لم يَكُن يُلقي له بَالاً، ومِن حيثُ لا يحتَسِب؛ ليَعلمَ أن الرازقَ هو اللهُ .. ومَا دامَ الأمرُ كذلك، [فَابْتَغُوا عِندَ اللَّهِ الرِّزْقَ]؛ اطلبُوا الرزقَ مِن الله تعالى وحدَه، وليسَ مِن أحَدٍ سواه .. اطلبُوا الرزقَ مِن خالِقِه، وممن يملكه على الحقيقةِ، وليسَ من الأجيرِ المستأمَن عليه، الذي لا يملكُه على الحقيقَةِ .. وما عندَ الله يُطلَبُ بطاعتِه لا بمعصيتِه، [وَاعْبُدُوهُ]؛ فمن كان بيدِه الرِّزقُ، وهو القادرُ على أن يرزقَ، هو الذي يَستحقُّ، ويجبُ أن يُعبَد، وأن تُصرَفَ له العِبادةُ ظاهراً وباطِناً، [وَاشْكُرُوا لَهُ]؛ على رِزقِه لكم، وعلى نِعَمه السَّابغَةِ عليكم، والتي يَصعبُ حَصرُها وعَدُّها؛ فما مِن نعمةٍ تُصيب الإنسانَ فهي من اللهِ، وبفضلٍ مِن اللهِ، [إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ]العنكبوت:17. يوم القِيامَة؛ فيُجازي الشَّاكِرين على شُكرِهم الجنَّةَ، ويُجازي الكافِرين على كُفرِهم النَّار.

* * * * *

قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ

8- [قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ]العنكبوت:20. أفادَ وجوبَ النّظرِ؛ بتدبّرٍ، وتفكّر، وتأمّل .. كما أفادَ أنَّ اللهَ تعالى سيمكّنُ الإنسانَ من النظرِ في

[كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ]؛ خَلْقُ الإنسانِ، والكونِ سواء، إذْ يستحيلُ أن يأمرَ اللهُ عبادَه بالنَّظرِ، ثم لا يمكّنُهم من النّظَرِ .. وهو ما يُفسّر تمكّنَ العلماءِ المعاصرين من الوقوفِ على بعضِ الحقائقِ العلميّة الدقيقةِ المتعلّقةِ بخلقِ الإنسانِ، والكون .. وبما يصدّقُ ما وردَ في القُرآن الكريم.

* * * * *

وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَوْثَاناً مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ

9- [وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَوْثَاناً]؛ طواغِيت، وآلهةً تَعبدُونها مِن دُونِ الله، [مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا]؛ تَعقدُون الحُبَّ والموالاةَ فِيها، وعلى عبادَتِها، وجعلتُم من عبادَتها مناسَبات، وأعيَاداً؛ لفشو الودِّ والمحبَّةِ والتَّقارُبِ بينكم، فَمَن عبَدَها مِن دونِ الله تَوادَدتُم معَه، وتَقربتُم مِنه، ومدَدتم له حِبال الودِّ والمحبَّةِ .. لكن هذا الود لن يَدومَ، فهو مُقتصرٌ على مدَّةِ إقامَتِكم في الحياةِ الدُّنيا فقَط، ومَا أقصَرها مِن مدَّة قياسَاً لليومِ الآخِر، [ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ]؛ يومَ يَرون العذابَ الأليم، ويَرون جهنَّم ومَا أعدَّ اللهُ فيها للمتوادِّين المتحابِّين في الطواغِيت، والأصنَامِ .. ولهولِ مَا يَرون، [يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضاً]؛ يَتبرَّأ بعضُهم مِن بعضٍ، ويلعَنُ بعضُهم بعضَاً .. فيتبرَّأ العَابِدُ من المعبُودِ، والمعبودُ من العَابِدِ .. والتَّابعُ مِن المتبُوعِ، والمتبوعُ مِن التَّابعِ، ويَشتدُّ التَّلاومُ والتَّلاعنُ بينهم، ويَشتدُّ النَّدمُ، ولاتَ حِين مَنْدَم .. فكلُّ شيءٍ ليسَ للهِ فهو أبتَر، ومَقطُوع، [وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّاصِرِينَ]العنكبوت:25. يمنَعُون عنهم العَذَابَ .. أو يخفِّفُون عنهم شَيئاً من العَذَاب!

* * * * *

مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاء كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتاً

10- [مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاء كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتاً وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ]العنكبوت:41. هذا المثَل ضُرِبَ لكلِّ مَن يَعبد غيرَ اللهِ، ولكلِّ مُشْرِكٍ يتوجَّه بحاجتِه إلى غيرِ اللهِ، أيّاً كان هذا الغَير، كانَ حجَراً، أم شجراً، أم بقَراً، أم قَبراً، أم بَشَراً .. يتوجَّه إليه بالطَّلبِ، والاستعانَةِ، والدُّعاءِ .. يظنُّ أنَّه نافِعُه، أو قادرٌ على أن يَنفعَه ويُغيثَه .. فإنه بفعلِه هذا واهِمٌ، وجاهِلٌ، وخاسِرٌ .. وهو مَثَله مثَل مَن يحتَمي ببيتِ العنكبوت مِن العَواصِف، والمَخاطِر .. وأنَّى لبيتِ العنكبُوت أن يحميَه ويحفظَه ويقِيَه مِن العواصِفِ والمخَاطِر .. كذلك الذين يتوجَّهون بالعبادةِ، والدُّعاءِ، والاستغاثَةِ، والطلبِ إلى غيرَ اللهِ .. فأنَّى لهذا الغيرِ ـ الذي هو أضعفُ مِن بيتِ العنكبُوت ـ أن يستجيبَ لهم .. أو أن ينفعَ المشركين في شيءٍ مما يتوجَّهون به إليه، أو يَسألونَه لتلك الآلهةِ الغَير؟!

* * * * *

إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنْكَرِ

11- [إِنَّ الصَّلَاةَ]؛ إنْ تمَّت المواظَبةُ عليها في وقتِها، وأُقِيمَت بشرُوطِهَا، وواجِباتِها، وتحقَّقَ فيها الخُشُوعُ، فهي بِذاتِها ـ مِن غَيرِ مواعِظَ أُخْرَى ولا واعِظِين ـ كَفيلَةٌ بأن [تَنْهَى]؛ صَاحِبها [عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنْكَرِ]العنكبوت:45. عن المعاصِي والمنكرَات، والموبِقَات؛ لأنَّ الصَّلاةَ إيمانٌ، وعِظَةٌ وتَذكيرٌ، وذِكْرٌ، وصِلَةٌ بين العبدِ وربِّه، وهي طَهُورٌ تُطهِّرُ صاحِبها مِن الخَطَايا والذُّنُوبِ .. فما بينَ الصَّلاةِ والصَّلاةِ كَفَّارَةٌ لما بينَهُمَا مِن الخَطَايَا .. كما في الحديث:" تَحترِقونَ تحترِقونَ ـ أي بِسَبَبِ مَا تَرتكبُونَه مِن خَطَايَا وذُنُوب ـ فإذا صلَّيتُم الصُّبحَ غَسَلَتْها ـ أي أطفأت النِّيرانَ التي أوْقَدَتها الذُّنُوبُ، وأزَالَت آثارَها ـ

ثمَّ تَحترِقونَ تحترِقون، فإذا صلَّيتُم الظُّهرَ غَسَلَتْها، ثمَّ تحترِقونَ تحترِقونَ، فإذا صلَّيتُم العصرَ غَسَلَتْها، ثمَّ تحترِقونَ تحترِقونَ، فإذا صلَّيتُم المَغربَ غَسَلَتْها، ثمَّ تحترِقونَ تحترِقونَ، فإذا صلَّيتُم العِشاءَ غَسَلَتْها، ثمَّ تنامونَ فلا يُكْتَبُ عليكُم حتَّى تَستَيقِظُوا " صحيح الترغيب:357. وصَلاةٌ هذا هو بَعضُ فَضْلِها، وأثَرِهَا .. لا شَكَّ أنَّها يوماً سَتَنْهَى وتَحجِزُ صَاحِبَها عن مُقارَفةِ المعَاصِي والمنْكَرَاتِ .. والحَسْرَةُ تَعظُمُ على مَن يَقارِفُ المعَاصِي والمنكَرَات، وتَكْثُرُ عليه، بينما هو لا يَكُونُ من أهْلِ الصَّلَاةِ!

* * * * *

وَلَذِكْرُ اللهِ أَكْبَرُ

12- [وَلَذِكْرُ اللهِ]؛ ذِكْرُ القَلْبِ، واللِّسانِ، والجوارِحِ مَعاً، كالصَّلاةِ؛ فإنَّها تَجمعُ بين الأنواعِ الثَّلاثةِ مِن الذِّكْرِ، [أَكْبَرُ]العنكبوت:45. أفضلُ وأعْظَمُ أجراً مما سِواهُ من الأعمالِ والطَّاعاتِ .. وأكبرُ أثَراً مِن غيرِه مِن الطَّاعاتِ في نهي المرءِ عن الفَحْشَاءِ والمنكَرِ .. وأكبرُ وأقوَى من الخَطَايا والذُّنُوبِ مَهما عَظُمَت .. وأكْبَرُ مِن قِوَى الشرِّ والشَّيطانِ، ومَكَائِدِه .. وأكبَرُ مِن الهمُومِ والغمُومِ مَهْمَا بلَغَت .. وأكبرُ مِنَ الأمراضِ النَّفْسيَّةِ المستعْصِيَةِ، فَلا يَقوَى مَرَضٌ نَفْسِيٌّ على ذِكْرِ اللهِ .. والذِّكْرُ المتعلّقُ بفعْلِ الواجِباتِ كالصَّلاةِ، والحَجِّ، وغيرها، أعظَمُ وأكبرُ من الذِّكْرِ فِيما سِوَاهَا من الطَّاعَاتِ المتعلّقَةِ بالنوافِلِ .. والذِّكْرُ المتَعَلّقُ بِمُنَاسِبِه، كالذِّكْرِ المتعلّقِ بالنِّعَمِ عِند ورُودِها، أو الذِّكْرِ المتَعَلّقِ عِند ورُودِ الشَّدائِدِ، ومَا يُناسِبُها مِن أذْكَارٍ، أو الذِّكْرِ المرَافِقِ للتَّدبُّرِ والتَّأمُّلِ، والنَّظرِ في آياتِ اللهِ العظيمةِ والكَثيرةِ، وبما يُناسِبُها مِن أذْكَارٍ .. هذا النوعُ من الذِّكْرِ أعظَمُ وأكبرُ أجراً مِن الذِّكْرِ المجرَّدِ .. وفي كُلٍّ خَيرٍ .. وفي الحديث:" ألا أنبِّئُكُم بخيرِ أعمالِكُم، وأزْكَاها عِندَ مليكِكُم، وأرفعِها في درجاتِكُم، وخيرٌ لَكُم مِن إنفاقِ الذَّهبِ والوَرِقِ، وخيرٌ لَكُم من أن تَلقَوا عدوَّكُم فتضرِبُوا أعناقَهُم ويَضربوا أعناقَكُم؟ قالوا: بلَى. قالَ: ذِكْرُ اللهِ تَعالى. قالَ معاذُ

بنُ جبلٍ: ما شَيءٌ أنجى مِن عذابِ اللهِ من ذِكْرِ اللهِ " صحيح سنن الترمذي:3377. وقال رجلٌ: يا رسولَ اللهِ إنَّ شَرائعَ الإسْلامِ قد كثُرت عليَّ فأخبِرني بشيءٍ أتشبَّثُ به؟ قال: لا يَزالُ لسانُك رَطِباً - أي طَرِيّاً - مِن ذِكْرِ اللهِ "صحيح سنن الترمذي:3375. فلا تجْعَلْ بين الذِّكْرِ والذِّكْرِ زَمَناً طَويلاً!

* * * * *

وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ لَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ

13- [وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ]؛ اليهودَ، والنَّصارَى، [إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ]؛ الأسلوبُ الذي يجمعُ بينَ قِيَامِ الحُجَّةِ، والرِّفقِ في الخِطَابِ، مِن غيرِ تَعنيفٍ، ولا تجريحٍ، فإنَّ ذلك أدعَى لهم أن يفقهُوا عنكم ما تقُولُون، ويَستجيبُوا لكم إلى ما تَدعونَهم إليه من الإيمانِ .. هذا مَن جنَحَ مِنهم للسِّلْمِ، وللحوارِ، وإلى الإصْغاءِ لنداءِ العَقلِ والفِطْرةِ، [إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ]؛ أمَّا الذين ظلَمُوا ويأبون إلا أن يَركبُوا الظلمَ، والعنفَ، ويَرفضُون الجِدالَ والحوارَ .. فهؤلاء يُعامَلُون ويُقابَلُون بالمثلِ، ويُرَدُّ عليهم من جِنْسِ أفعالِهم، وأقوالِهم، مِن غيرِ عُدوانٍ، ولا زِيادَةٍ في المقابَلةِ، [وَقُولُوا]؛ لهم في حَالِ إعراضِهم، وعدَمِ إيمانِهم .. أمَّا نحنُ فَلا نتابعُكم على كُفرِكم، وإعْراضِكم، إنَّا [آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا]؛ القُرآنُ الكَريم، [وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ]؛ التَّوراةُ والإنجيلُ، كما أنزلهما اللهُ تعالى على مُوسَى، وعيسَى عليهما السلام، قبل أن يعتريَهما التَّحريفُ، والتَّبديلُ، والإحْداثُ .. لا نُفرِّقُ بينَ أحَدٍ مَن رُسلِ اللهِ، كما لا نُفَرِّقُ بين كُتبِ اللهِ المنزَّلَةِ على أنبيائه ورُسُلِه، مِن حيث الإيمانِ والتَّصديقِ، والتَّعظيمِ، والتَّوقيرِ، [وَإِلَٰهُنَا]؛ الذي نُؤلِّهُهُ ونعبدُه، [وَإِلَٰهُكُمْ]؛ الذي يجبُ أن تُألِّهُوه وتَعْبدُوه، [وَاحِدٌ]؛ إلَهٌ ومَعبُودٌ واحِدٌ في ربُوبيَّته وفي ألوهيَّته .. إلهٌ واحِدٌ في ذاتِه، وأسمائِه الحُسْنَى، وصِفَاتِه العُلْيَا لَا شَرِيكَ له، [وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ]العنكبوت:46. مُسْتَسْلِمُون، خاضِعُون، ومُطِيعُون.

* * * * *

وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْبَاطِلِ

14- [وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْبَاطِلِ وَكَفَرُوا بِاللَّهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ]العنكبوت:52. لَمْ يَقتصرْ إيمانُهمْ على الإيمانِ بالأديانِ الباطِلَةِ الشائعةِ المعروفَةِ .. وإنما أيُّما باطِلٍ يُضَادُّ الحقَّ، والإيمانَ، والتَّوحيدَ .. فهم يؤمنُون به، وينصرونَه، ويُكَثِّرُون سوادَه .. فحيثُمَا يُوجَد الباطِلُ ـ أيّاً كان هذا البَاطِل ـ وُجِدُوا، ووجَّهُوا سِهامَهم وأسلحَتَهم لخدمَتِه، ونُصرَتِه ...!

15- [وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْبَاطِلِ]؛ آمَنُوا بالطَّاغُوتِ؛ وهو كلُّ مَا عُبِدَ مِن دُونِ اللهِ، ولو بوجهٍ مِن أوجهِ العِبَادَةِ، [وَكَفَرُوا بِاللَّهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ]العنكبوت:52. هم الخاسِرُون في الدُّنيَا، والآخِرَةِ.

* * * * *

يَا عِبَادِيَ

16- [يَا عِبَادِيَ]العنكبوت:56. مَا أجمَلَ، وأعْظَمَ، وأكْرَمَ، وأشْرَفَ، وأجَلَّ هذا النِّدَاء الخالِد؛ إنَّه محفُوفٌ بأجمَلِ مَعَانِي المعيَّةِ، والانتِسَابِ، والاخْتِصَاصِ، والمَحَبَّةِ، والوَلَايةِ، والعِنَايَةِ، والرِّفْقِ، واللطْفِ، والرَّحْمَةِ .. مِن رَبِّ السَّماواتِ والأرضِ؛ الذي له الأسْماءُ الحُسْنَى، والصِّفَاتُ العُلْيَا!

* * * * *

إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ

17- [يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ]العنكبوت:56. مِن غَايَاتِ سعَةِ الأرضِ تَحقِيقُ سَلامَةِ العِبادَةِ والدِّين .. فإن ضَاقَت في مَوضِعٍ اتَّسَعَت في مَوْضِعٍ آخَر .. وإن حُوصِرْتَ ومُنِعتَ في أرضٍ من العِبادةِ ومِن

إظهارِ الدِّينِ .. وكُنتَ مُضطهداً في دينِك .. تُهاجر إلى سواها مِن الأراضِي الواسِعَةِ التي تَستطِيع أن تظهرَ فيها دينَك .. وتتحقَّق فيها سلامَةُ العِبادَة والدِّين .. فالهجرةُ باقيةٌ وماضيةٌ إلى قيامِ السَّاعَةِ .. واللهُ تعالى قَد وسَّعَ الأرضَ؛ لكي يجدَ فيها عِبادُ اللهِ الموضِعَ الآمِن الذي يأمَنُون فِيه على دِينِهم وأنفُسِهم .. والمؤمنُ حيثُما وجَدَ الموطِنَ الذي تتحقَّقُ فيه سلامَةُ العِبادَةِ والدِّين ـ بنسبةٍ أكثر من غَيرِه ـ حَطَّ وأقَامَ.

* * * * *

وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ

18- [وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ]العنكبوت:61. أَقَرُّوا وآمنُوا بالربُوبيَّةِ، وكَفَرُوا وأشركُوا في الأُلوهيَّةِ .. آمنُوا باللهِ خالِقاً ورَبّاً .. وكفَرُوا به حاكماً، ومُشَرِّعاً، ومَعبُوداً .. وهذا لَا يُقبلُ مِنهم؛ إذْ كيف يَعدِلُون عن تَوحِيدِه في الألوهيَّةِ بعدَ أن أقرُّوا له بتوحيدِ الربوبيَّةِ .. فالخالِقُ هو المعبُود، والمعبُودُ هو الخالِقُ .. وهذا الإيمانُ والكُفرُ لا يجتمِعَان معاً في قلبِ امرِئٍ مؤمنٍ أبَداً، والجمع بينهما فيه مِن التَّعارض البَيِّن الذي تَرفضُه العُقُولُ السَّليمَةُ، وهو كمَن يَقولُ بالشيءِ وضِدِّهِ في آنٍ مَعاً!

* * * * *

وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ

19- [وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ]؛ لهي الحياةُ الحقيقيَّةُ لا غَيرها؛ مِن حيثُ الزَّمَن؛ فهي حياةٌ أبديَّةٌ لا يَعقُبها موتٌ ولا فنَاءٌ .. ومِن حيثُ المصير؛ فهي إمَّا نَعيمٌ مُقيم دائمٌ لَا يَنقطعُ، ولا يَشوبُه نَقْصٌ، ولا كَدَر .. وإمَّا عذابٌ أليمٌ، [لَوْ كَانُوا

يَعْلَمُونَ]العنكبوت:64. هذه الحقيقَة لمَا آثَرُوا الحيَاةَ الدُّنيا القَصيرة الفانِيَةِ، على الحياةِ الآخِرَةِ الدَّائمةِ، ولعَملُوا للآخِرَةِ، وتَزوَّدُوا لها بالعملِ الصَّالح.

* * * * *

وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا

20- [وَالَّذِينَ جَاهَدُوا]؛ وسْعَهم [فِينَا]؛ في طَاعَةِ اللهِ [لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا]العنكبوت:69. سُبُلَ الفَلَاح في الدُّنْيَا والآخِرَةِ.

21- [وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا]العنكبوت:69. أي الذين جاهدوا أنفسَهم في طاعةِ الله؛ فحملوها على الإئتمار بما أمر الله تعالى به، والانتهاء عمّا نهى عنه، في زمانِ ومكان الأمر والنّهي .. فمن تحققت فيه هذه المجاهدة العامّة، تكفّل الله بهدايته إلى سُبل الخير، التي تكون سببَ سعادته ونجاته في الدنيا والآخرة.

* * * * *

غُلِبَتِ الرُّومُ . فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُم مِّن بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ

22- [غُلِبَتِ الرُّومُ . فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُم مِّن بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ . فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِن بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ]الروم:2-4. مَا مِن صِرَاعٍ بينَ شَرَّين - وفي أيِّ زَمانٍ وأيِّ مَكانٍ - إلَّا والمؤمنُون تميلُ قلُوبُهم معَ أقَلِّهمَا شَرَّاً، ويفرحُون لانتصَارِ الأقَلِّ شَرَّاً وضَرَراً على الأكثرِ شَرَّاً وضَرَراً .. وهذا مِن دَقائقِ مَسائِلِ عقيدَةِ الولَاءِ والبَراءِ .. لكن أحيَاناً يَلتَبِسُ على المؤمنِين أيُّهمَا أكثرُ شَرَّاً، وضَرَراً مِن الآخَر .. أو فريقٌ مِن المؤمنِين؛ لأسبَابٍ خاصَّةٍ بِه، يَرَى أنَّ أحدَهمَا أشدُّ شَرَّاً من الآخَر، بينما الفَريق الآخَر من المؤمنِين لأسبَابٍ خاصَّة بِه، يَرَى عكسَ وخلافَ الفريقِ الأوَّل مِن المؤمنِين .. فهذا وارِدٌ، ويحصَلُ .. لكن لا يَنبَغِي لمثلِ هذا الخِلافِ أن يُفسِدَ الودَّ بينَ الفَريقَين من المؤمنِين، مع اتِّفاقِهمَا أنَّ كِلَا الشَّرَّين، شَرٌّ، وضَرَرٌ.

23- [وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ . بِنَصْرِ اللَّهِ يَنصُرُ مَن يَشَاءُ]الروم:4-5. أي يَفرحُ المؤمنُون بنَصرِ اللهِ للروم مِن أهلِ الكتَابِ، على الفُرْسِ المجوسِ الوثنيين .. وهذه آياتٌ تُحدِّدُ الموقفَ مِن كُلِّ صِراعٍ بين طرفَين، في أيِّ زَمانٍ وأيِّ مَكانٍ، أحَدُهما أقرَبُ للحقِّ مِن الآخَر .. وأقَلُّ شَرَّاً وكُفراً مِن الآخَر .. فالنَّقْلُ والعَقْلُ يُلزِمَان بالتَّعاطُفِ معَ الفريقِ الأقَلِّ كُفراً وشَرَّاً وضَرَراً، وبالفَرَح بنَصْرِهِ على الطَّرفِ الآخَر الأشَد كُفْراً وشَراً!

* * * * *

يَعْلَمُونَ ظَاهِراً مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ

24- العالِمُ الجاهل؛ هو العالم الذي يجحد ما يدلُّه عليه علمه، وتدركه حواسه .. مثاله الملحدون من الأطباءِ، وعلماءِ الطبيعة، والفَضَاء؛ الذين يتعرفون على كثيرٍ من دقائقِ

الخلقِ والطبيعة، التي تحمل المرء على أن يقول: لا إله إلا الله .. ومع ذلك فهم يأبون ولا يفعلون .. وهؤلاء وإن سُموا علماء، إلا أنهم في النهاية يُقال عنهم:[يَعْلَمُونَ ظَاهِراً مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ]الروم:7. ويُقال لهم:[صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ]البقرة:171. وهم يقولون عن أنفسهم يوم القيامة:[وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ]الملك:10.

* * * * *

يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ

25- [يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ]؛ يُخْرِجُ المؤمِنَ مِن الكَافِرِ، [وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ]الروم:19. ويُخْرِجُ الكَافِرَ مِن المؤْمِنِ.

* * * * *

وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ

26- [وَمِنْ آيَاتِهِ]؛ الدَّالَّةِ على وحدانيَّةِ اللهِ تعالى، وأنَّه على كلِّ شيءٍ قَدِير، [خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ]؛ ومَا فِيهما مِن مخلُوقاتٍ وآيَاتٍ باهِراتٍ محكماتٍ تَشهَدُ أن لا إله إلَّا الله، [وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ]؛ لغاتِكُم؛ التي تَزيدُ عن سَبعَةِ آلافِ لُغَةٍ .. وأصواتُكم؛ فلَا تكادُ تجدُ مِن مليارَاتٍ مِن الناسِ مَن يَتشابَه ويتطَابَق اثنَان في صوتِهمَا، [وَأَلْوَانِكُمْ]؛ تَعَدُّد ألوانِكم، [إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ]الروم:22. للعقَلاءِ الذين يُحسِنُون التَّدبرَ والتَّفَكُّر .. والاستدلالَ بالخَلْقِ على الخَالِق .. وأنَّ اللهَ تعالى حَقٌّ .. وأنَّه تعالى هو وحدُهُ المعبودُ بحقٍّ .. وأنه على كلِّ شيءٍ قَدِير.

* * * * *

فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا

27- [فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا]؛ هي الدِّينُ الحَنِيف، والصُّورَةُ الحَسَنَةُ، [لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ]الروم:30. لا تَبدِيلَ للدِّينِ الحَنِيفِ بِدِينٍ آخَر، ولا للصُورَةِ التي صَوَّرَ اللهُ الناسَ عليها، فأحْسَنَ صُوَرَهم، بصُورَةٍ أُخْرَى .. ولَا بوظَائِف أُخْرَى للصُّورَةِ!

* * * * *

اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ

28- [اللَّهُ]؛ المألُوه المعبُودُ بحقٍّ، هو [الَّذِي خَلَقَكُمْ]؛ أيها المشركُون الكافِرُون، مِن عدَمٍ، ومِن لا شَيءٍ، فكنتم بعدَ أن لم تكونُوا، [ثُمَّ رَزَقَكُمْ]؛ ثم لم يخلقكم ويتركَكم سُداً مِن غيرِ رزقٍ، تقتاتُون وتعتَاشون مِنه .. فهو سبحانه رغمَ كُفركُم وشركِكم يَصبرُ عليكم، وعلى أذاكم، فيُعافيكم ويرزقُكم، لا رازِقَ لكم إلَّا اللهُ، [ثُمَّ يُمِيتُكُمْ]؛ بعد أن تَعيشُوا حياتَكُم المقدَّرةِ والمحدَّدَةِ في الدنيا، [ثُمَّ يُحْيِيكُمْ]؛ بعد موتِكم؛ فيبعثكم مِن القُبور للحسابِ يوم القيامَةِ، على ما كان منكم مِن عملٍ، [هَلْ مِن شُرَكَائِكُم]؛ الذين تَعبدونهم وتُطيعونهم من دونِ الله، وتَنسبون إليهم زُورا وبُهتاناً الألوهيَّةَ، والربوبيَّةَ، [مَّن يَفْعَلُ مِن ذَلِكُم مِّن شَيْءٍ]؛ هل يَقدرُ على أن يفعلَ شيئاً مما تقدَّم ذِكْره .. فإن كانُوا لا يستطيعُون أن يَفعلُوا شَيئاً مِن ذلك، فكيفَ تَعبدونَهم من دُونِ اللهِ، وتُشركُونَهم في العبادةِ مع اللهِ، ومِن دونِه .. وكيفَ تَنسبُون إليهم الألوهيَّةَ والربوبيةَ .. فالإلهُ المعبُودُ بحقٍّ هو الذي يَخلقُ، ويُميتُ، ويحي، ويَرزقُ، وهؤلاء الشُّركاء لَا يفعلون شَيئاً مِن ذلك؟![سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ]الروم:40. تنزيهٌ للخالقِ سُبحانه وتعالى عن الشَّريكِ، وعمَّا يفعله

المشركُون مِن شِرْكٍ، وعبادَةٍ لغيرِ الله عزَّ وجل .. فالله تعالى لَا يَقبلُ شَريكاً، كما لا يَقبلُ عبادةً تَتضمَّنُ شركاً.

* * * * *

ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ

29- [ظَهَرَ الْفَسَادُ]؛ ظهرَ الخرابُ، والدَّمارُ، والهلاكُ، [فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ]؛ هذا الخرابُ، والدَّمار عَمَّ وشملَ البَحْرَ، كما عمَّ وشملَ اليابِسَةَ .. وحيثما تَوجَّهتَ تجدُ الفسَادَ والخرَابَ، وتجدُ المعَانَاة، والنَّاسُ تشْكُو، [بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ]؛ بسبَبِ تَواطُوء النَّاسِ وقادَتِهم وسَاسَتِهم على الظُّلمِ، والفُسُوقِ، والفجُورِ، والتَّقْنِين لهذا الفُسُوق والفُجُور؛ حتى يُصبحَ المصْلحُ المخالِفُ لهم هو الآثمُ والمذْنِب الذي يَستَحِقُّ العِقَاب، [لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا]؛ ليعَذِّبَهم في الدُّنيا ببعضِ ذُنُوبِهم التي ارتَكَبُوهَا .. فهذَا العذَابُ الدُّنيوي الذي يَرونَه، ويَنزلُ بِهم، ما هو إلَّا رسالةٌ مِن اللهِ تعالى لهم؛ [لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ]الروم:41. لعلَّهم يَتوبُون، ويَستغفرُون، ويَعودُون إلى الحقِّ، والطُّهرِ، والاستقامَةِ!

* * * * *

هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ

30- [هَذَا خَلْقُ اللَّهِ]؛ مَا أَعْظَم وأكثَر آيَاتِ اللهِ الباهِرَات في السماواتِ والأرضِ، ومَا فيهما مِن مخلوقَاتٍ عجِيبَةٍ .. الدَّالَّةِ على عَظَمَتِه، ووحْدانِيّتِه .. وأنَّه تعالى هو المعبُودُ بحقٍّ، الذي يَستَحِقُّ العِبادَةَ دونَ غَيرِه .. والمؤمنُ عِندما يَنْظُرُ إلى تِلكَ الآيَاتِ، ويتأَمَّلُها، يَقُولُ للكافِرين الجاحِدين: انْظُرُوا، [هَذَا خَلْقُ اللَّهِ]؛ أَلَا يكفِيكُم للدلالَةِ على وحدانيَّتِه، وربُوبيَّتِه، وألُوهيَّتِه، وأنَّه تعالى هو المعبُودُ بحقٍّ في الوجُود؟! ثم زِيَادةٍ في التَّبْكِيتِ، وإقامَةِ الحُجَّةِ عَليهم، يقُولُ لهم:[فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ]؛ الذينَ تَعبدُونَهم مِن دُونِ اللهِ .. مَاذَا خَلَقُوا .. هل يَستطِيعُون أن يخلقُوا شَيئاً مَهمَا كانَ صَغيراً، أو حَقِيراً .. حتى تَعْبدُوهم مِن دُونِ اللهِ .. فالمعبُودُ المستَحِق للعِبَادَةِ لا بُدَّ أن يكونَ خَالِقَاً .. وقادِرَاً على أن يَخلقَ .. الجوابُ الذي يَعْرِفُونَه، ويُضْمِرُونَه في أَنْفُسِهم .. لَا .. لَا يَسْتَطِيعُون .. إذاً كيفَ تتخذُونَهم آلهةً تَعبدونَهم مِن دونِ اللهِ، [بَلِ الظَّالِمُونَ]؛ الكافِرُون، لاتخاذِهم آلهةً لا يَستطيعُون أنْ يخلُقُوا شَيئاً .. وإعرَاضِهم عن عِبادَةِ الخالِقِ لكلِّ شَيءٍ، والقَادِرِ على أن يخلقَ مَا يَشَاء، [فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ]لقمان:11. في ضَلالٍ عن الحقِّ ظَاهِرٍ بيِّن .. والضالُّ لا يَهدِي ضَالّاً.

* * * * *

وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ

31- [وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ]لقمان:13. أُسوة بلقمانِ الحكِيم؛ أَوَّلُ مَا ينبغي على الآباءِ أن يُلَقِّنُوه للأبناءِ عَقيدة التَّوحِيد؛ أن اعبدُوا اللهَ، واجتنبوا الطاغُوت .. اجتنبوا الشِّركَ .. وهذا مِن لوازِمِه أن يُعرِّفُوهم على ضرُوبِ وأنواعِ، وصور الشِّركِ الظاهرَةِ مِنها والباطِنةِ، وبخاصَّة المتفشِّية في زمانِهم؛ ليجتنبُوها، ويحذَرُوها، ويُحذِّرُوا منها .. وذلك لأسبابٍ عِدَّة، منها: أن الجهلَ

بالشِّركِ يجعلهُم يَقعُون فِيه، وهم لا يَدرُون .. وهم يحسَبُون أنَّهم يُحسِنُون صُنعاً .. فجاهِلُ الشيءِ لا يؤمَن عليه أن يُواقِعَه. ومِنها: لَا يُقبلُ مع الشركِ عملٌ صالحٌ؛ فمن بنَى أعمالَه الصالحة على أساسٍ مِن الشركِ، لا تُقبلُ أعمالُه، فالشركُ يُحبطُ العملَ، ويدمِّرُه، ويجعلُه هباءً منثُوراً .. فقبلَ أن يتوجَّه المرءُ إلى فعلِ الطَّاعاتِ عليه أن يَبرَأ ويخلعَ مِن الشِّركِ. ومِنها: أن الشركَ ظلمٌ عظيمٌ وأكبر لا يُوازيه ظُلم؛ إذ كيفَ يليقُ بك يا عبدَ اللهِ أن تَعْدِلَ عن عبادَةِ اللهِ تعالى إلى عبادَةِ غيرِه، والله تعالى هو الذي خلقَك، ورزقَك، وتفضَّل عليك بالنِّعَم التي لا تُحصَى .. ثم أنت بعد ذلك تصرفُ العبادَةَ إلى غيرِه، وتقولُ بلسانِ الحالِ والمقَالِ: أنَّ المستحقَّ لعبادَتِك هذا المخلُوق .. هذا الصَّنم والوثَن من دُونِ الله .. فأي ظُلم يُوازي هذا الظُّلم، وأي جحُود وكفران للحقوقِ يُوازي هذا الجحُود والكُفران؟!. ومِنها: أنَّ اللهَ تعالى يغفر لمن يَشاءُ مِن عبادِه، مهمَا كان مِنهم مِن عمَل .. إلَّا الشِّرك؛ فقضَت مشيئتُه سُبحانه أن لا يَغفره، وأن يخلِّدَ المشركَ الذي يموتُ على الشركِ في نارِ جهنم أبَدَاً .. لأجلِ هذه الأوجه مجتمعَةً ينبغي على الآباءِ والمربين أن يُعلِّمُوا الأبناءَ أولاً التَّوحيدَ؛ ومتَطلباتِه، وحقُوقه، ونواقِضَه .. ويُعطُوه الأولويَّةَ في عمليَّةِ التربيةِ والتَّعليم.

* * * * *

أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ

32- [أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ]لقمان:14. شُكْرُكَ للوالِدَين؛ هو شُكْرٌ للهِ، وطاعَةٌ له .. لَا يكتَمِلُ شُكْرُكَ للهِ إلَّا بعدَ أن تَشكرَ الوالِدَين .. ومَن لَا يَشكر الوالِدَين لَا يَشكرُ اللهَ .. فاللهُ تعالى خلقَك، وجعَلَهُما سَبباً لخلْقِك ووجُودِك .. فكَما تَشكُر الخالِقَ الذي خلقَك وأوجَدَك، تَشْكُر مَن كانَ سَبَباً في وجُودِك .. ولعظِيمِ حقِّهِمَا، وفضلِهِمَا خَصَّهما اللهُ بالذِّكرِ بعدَ شُكْرِه، مِن جميع مَن لهم حَقُّ الشُّكرِ .. ومِن شُكْرِك لهمَا الاعترافُ بمعروفِهِما، وفضْلِهِما عليك ـ ولو لَمْ يكُن لهما فضلٌ عليك سوى أنَّهما كانا سَبباً في

وجُودِك، لكفَاهُما فضْلاً ـ وأن تبرَّهما، وتُحْسِن صُحْبَتَهمَا، وترفِق بهمَا مِن غيرِ مَنٍّ، ولا كَلَلٍ، ولَا مَلَلٍ .. وأن لَا تغفَل عن الدُّعاءِ لهمَا في حياتِهما، وبعدَ موتِهما .. فمن العقُوقِ؛ الغفْلةُ عن الدُّعاءِ للوالِدَين بعدَ وفَاتِهما، ومِن برِّهمَا؛ الدُّعاءُ لهما بعدَ موتِهما .. ولا تنسَ أنَّك اليومَ ولدٌ، وبنتٌ .. وغداً تكون ـ وتكوني ـ أباً وأمّاً .. وكما تَدِينُ تُدَان!

33- [أَنِ اشْكُرْ لِي]؛ اشكُرْ للهِ الذي خَلَقَك، وأوجَدَك، [وَلِوَالِدَيْكَ]لقمان:14. اللَّذَان كانَا سَبَباً في وجُودِك .. ومَن لَا يَشكُرُ الوالِدَين لَا يَشكُر اللهَ .. ومَن لَا يَشكر السَّبَبَ، لَا يَشكُر المسَبِّبَ!

* * * * *

وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَى أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا

34- [وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَى أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا]؛ رغْمَ عَظِيمِ حَقِّ الوالدين على الأبناءِ ـ ذكوراً وإناثاً ـ إلا أنَّ هذا لا يعني طاعَتَهما في معصيةِ اللهِ لو أمَرَا الأبناءَ بمعصيةِ اللهِ .. وبخاصَّةٍ إن كانت هذهِ المعصيَةُ تَبلغُ درَجَةَ الكُفْرِ والشِّركِ .. إذْ لا طاعَةَ لمخلُوقٍ ـ مهمَا عَظُم حَقُّه وفَضْلُه ـ في مَعصيةِ الله .. وإنَّما الطاعَةُ تكونُ في المعرُوفِ، وفِيما ليس فيه مَعصية لله تعالى، [وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفاً]لقمان:15. وعَدمُ طاعَتِهما في مَعصيةِ الله .. لا يَنبغِي أن يحملَ الولدَ أو البِنت على مُجافاتِهما، والإساءَةِ إليهِمَا .. لا .. فهذا لا يَستدْعِي ذَاكَ ولا يُبررُه .. حتَّى لو كانَا كافِرَين .. يجبُ على الابنِ المسلمِ أن يُحسنَ إليهِمَا، ويحترمَهمَا، ويُرفِق بِهمَا، ويُلازِمُ صحبَتَهما ومرافقَتَهمَا، ومُجَالستَهُمَا بالمعرُوفِ، وكُلِّ خَير .. وقوله تعالى: [فِي الدُّنْيَا]؛ فيه أنَّ هذه الصُّحْبَة تَنْقَطِعُ في الآخِرَة .. وأنَّ الوالِدَ الكافِرَ في اليومِ الآخِرِ لا يُمكِن أن يَنتَفِعَ مِن وَلَدِه المسلم في شَيء .. كذلك لو كان الوالِدُ مُسلماً، والولَدُ كَافِراً؛ لا يُمكنُ للولَدِ أن يَنتَفِعَ بأبِيهِ في اليومِ الآخِرِ كَما كانَ يَنتفعُ به في الدُّنيا.

35- [وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفاً]لقمان:15. يُفيدُ مَعنى الملازَمَةِ، والمُرَافَقَةِ، والمجالَسَةِ، وحُسنِ الإقْبالِ والاهتِمَامِ .. فأينَ أبنَاء هذا الزَّمانِ مِن هذا المعنَى العَظِيم، الذين يُؤثِرُون الجلُوسَ معَ هَواتِفِهم الخَاصَّةِ، والأجهزةِ الالكترونيَّةِ السَّاعاتِ الطِّوالِ، على مُجَالسَتِهم لآبائِهم ولو لِدَقائقَ مَعْدُودَات؟!

* * * * *

يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ

36- [يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ]لقمان:16. وهذه هي المرحلةُ الثانيَةُ من عمليةِ التَّلقِين والتَّعليم .. فبعدَ تَلقينُ الأبناءِ التَّوحِيد، وتَعريفُهم بالشركِ ومذَاهِبِه .. تأتي مرحلةُ التَّعريفِ بصفَاتِ اللهِ تعالى .. ومَا يَستحقُّه اللهُ تعالى من التَّعظِيم، والتَّنْزيه، والتَّوقِير .. وتَلقينُ الأبناءِ الخشْية مِن اللهِ تعالى .. وأنَّ اللهَ تعالى لا يخفَى عليه شيءٌ .. عالمٌ بكلِّ شيءٍ .. لا يُعجِزُه شَيء .. وهو على كل شيءٍ قَدِير .. فإذا كانَت مثقالُ حبَّةٍ مِن خَرْدَلٍ ـ وما هو أصغَرُ منها ـ أيَّاً كان موضِعُها في السماواتِ أو في الأرضِ .. في البرِّ أو في البحرِ .. فالله تعالى يَعلمُها، ويَراها، لا تخفَى عليه .. يَأتي بها إذا شَاء .. وقتَمَا يَشَاء .. فما هو أكبرُ مِنها فهو على اللهِ تعالى هيِّنٌ وسَهلٌ .. لا يُوجدُ شيءٌ على اللهِ تعالى سَهلٌ وأسْهَل، وصَعْبٌ، وأصْعَب، بل كلُّ شيءٍ ـ مهمَا كان صَعباً وفقَ مقاييسِ الإنسانِ ـ على اللهِ تعالى هيِّنٌ وسَهْل .. وبالتَّالي ـ مَهمَا حَاولْتَ يا عبدَ اللهِ ـ لَا مَهربَ ولَا مَلجَأ لكَ مِن اللهِ .. وهذا ممَّا يزرعُ في نفوسِ الأبناءِ الخشيَةَ، والخوفَ مِن اللهِ، والشُّعُورَ بمراقَبةِ اللهِ لهم، ولأعمالِهم أينما كانُوا .. فيحملُهم على مَزيدٍ من التَّقوَى، والاستقامَةِ، والإخلَاص.

* * * * *

يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ

37- [يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ]؛ مِن الأذَى بِسببِ أمْرِكَ بالمعرُوفِ، ونَهيكَ عَنِ المنكَرِ .. فإنَّ مَن يَستشرفُ مَهمَّةَ الإصْلاحِ، والأمْرِ بالمعروفِ والنَّهي عَن المنكَرِ، لا بدَّ أنَّه سينَالُه بَعضُ الأذَى، وربما الأذَى الشَّديد مِن حِزبِ المنكَرِ والفَسادِ، وجُمهُورِه .. ولكي يَنجَحَ في مَهمَّتِه ودَعوتِه لَا بُدَّ له مِن الصَّبرِ على الأذَى، [إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ]لقمان:17. إنَّ الصبرَ على ما تقدَّمَ ذِكْرُه مِن الواجباتِ والفرائضِ، هي مِن الأمورِ التي يُعزَم ويُشَدَّد على التزامِها والقيامِ بها .. لَا تَقْبَلُ التَّراخِي ولا التَّهاونَ.

38- [يَا بُنَيَّ]؛ لطفٌ في الخِطَابِ، وهو أدْعَى لحسنِ الإصْغَاءِ، [أَقِمِ الصَّلَاةَ]؛ إضافة إلى أهميَّةِ الصَّلاةِ، ووجُوبِها، وأنَّها ركنٌ من أركانِ الإسلامِ، وعمودٌ من أعمدتِه .. فهي طهورٌ، وإيمانٌ، بها يزدادُ الإيمانُ إيماناً وقوةً .. تجعلُ الإنسانَ على صِلةٍ مباشرةٍ معَ ربِّهِ .. يَستمدُّ منه العونَ على مواجهةِ التحدِّياتِ، والقِيامِ بواجبِ الأمرِ بالمعروفِ والنَّهي عن المنكَرِ، [وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ]؛ وهو كلُّ ما تعارفَ عليه الدينُ والعُرْفُ بأنَّه حقٌّ، وخيرٌ، وأعلَاهُ التَّوحِيد .. وهذا من لوازمِه أن يكونَ الآمرُ بالمعروفِ عالماً بالمعروفِ ـ فجاهلُ المعروفِ كفاقدِه لا يمكنُ أن يعطيَه ـ وعالماً بمآلاتِ أمرِه، وأنَّ أمرَه بالمعروفِ لن يفوّتَ مَعرُوفاً أكبرَ منه؛ فإن كان أمرُهُ بالمعروفِ سيفوّتُ معروفاً أكبرَ منه، أو مصلحةً راجحةً، فأمرهُ بالمعرُوفِ حينئذٍ منكرٌ يُنكَرُ عليه .. أو كان أمرُه بالمعروفِ سيفوّتُ معروفاً مثله في القِيمةِ والمصلَحَةِ، فيكونُ السكوتُ حينَئذٍ أولَى بحقِّه .. وهو ـ أي الأمر بالمعروفِ والنَّهي عن المنكرِ ـ واجبٌ على كلِّ مسلمٍ؛ كلٌّ بحسب موقعِه، واستطاعتِه، ومَسؤليَّاتِه، [وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ]؛ وهو كلُّ ما تَعَارفَ عليه الدِّينُ والعُرفُ بأنه باطلٌ، وضَرَرٌ، وشَرٌّ، وأعلاهُ الشِّركُ .. والمنكرُ لا يُنكَرُ بمثلِه، ولا بما هو أكبر منه .. فمن

المنكرِ أن تنكرَ المنكرَ بمثلِه أو بما هو أنكَر وأكبر منه .. فإن تزاحَمَ منكرانِ في وقتٍ ومكانٍ واحِدٍ يُدْفَعُ الأكبرُ مِنهما بالأصغَرِ، ولا يكونُ المنكرُ الأصغرُ حينئذٍ محرَّماً بل يكونُ هو الواجبُ .. فإن تَسَاويَا ـ مِن كلِّ وَجهٍ ـ في المنكرِ، والشَّرِّ، والضَّرَر، يُترَكَا، ويُعتَزَلَا؛ فلَا يُنكَر أحدهما بالآخَر .. وإنكارُ المنكرِ منهُ ما يكونُ بالقلبِ؛ وهذا واجبٌ على الجميعِ، وفي جميعِ الأحوالِ، لا يُعذَر تاركُه؛ لأن الجميعَ يقدرُ عليه .. ومِنه ما يكونُ باللسانِ، ومِنهُ ما يكونُ باليدِ، وهذان النَّوعان من الإنكارِ يُشترطَ لهما الاستطاعَة، [وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ]؛ بسببِ أمركَ بالمعروفِ ونهيكَ عن المنكرِ؛ فكلُّ مَن يتصدَّرُ هذا العمل العظِيم القَدْرِ والأجْرِ، سيُصيبُه ـ لا مَحَالَة ـ بعضُ الأذَى مِن السُّفهاءِ، والفُسَّاقِ، والكُفَّارِ .. فعليه أن يحملَ نفْسَهُ على الصَّبرِ، وتحمُّلِ الأذَى .. لذا فإنَّ الآمرَ بالمعروفِ، النَّاهِي عن المنْكرِ ـ حتى ينجحَ في مَهمَّتِه ـ يحتاجُ إلى أربعةٍ: العِلمُ، والحِلمُ، والرِّفقُ، والصَّبرُ، [إِنَّ ذَلِكَ]؛ أي الأمرُ بالمعرُوفِ، والنَّهي عنِ المنكَرِ، [مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ]لقمان:17. مِن الأُمُورِ العظيمَةِ والشديدَةِ التي تحتاجُ إلى إرادَةٍ وعزيمةٍ قويَّتين.

* * * * *

وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحاً

39- بعد تلَقين التَّوحيد، والخشْيَة مِن اللهِ .. تأتي مرحلةُ التأديبِ، وتلَقينِ الأدَب:[وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحاً إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ]لقمان:18. علامَتُه إذا مشَى في الأرضِ، وبين الناسِ، أنَّك تَراهُ يُباعِدُ ما بينَ يَدَيه ورِجْلَيه .. ويَدفَعُ بصَدْرِه إلى الأمَامِ .. ويَرفَعُ رأسَهُ وخَدَّهُ إلى السماءِ مع شيءٍ من الميْلِ، والاعوجاجِ، وعبُوسٍ في الوجهِ، ونظرَاتٍ لا تخلُو من معَاني الاستخفَافِ والازدرَاءِ لمَن هم في محيطِه .. يتعَالى على عبادِ الله تعالى وكأنَّهُ من طينةٍ أُخْرَى .. يمشي بينهم ببطَرٍ، وخُيلاءٍ، وكِبرٍ، وافتخَارٍ، ناسِياً لفَضْلِ اللهِ عليه، وكافِراً لأنعُمِه .. فاللهُ تعالى لا يحبُّ هذا

الصنفِ من النَّاسِ .. بل يَبغضُه .. فلا تَكُنْ مثلهم .. وإنما يحبُّ التواضُعَ، وخَفْضَ الجنَاحِ، والذِّلَّةَ على المؤمِنين .. والأدَبَ في التعَامُلِ مع النَّاسِ .. وحُسنَ الخُلُقِ .. هذا مما أُوصِيكَ به يَا بُنيَ!

* * * * *

وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ

40- [وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ]؛ لَا تمشِ مَشْياً سَريعاً يَدلُّ على الخفَّةِ، والطَيْشِ، ولَا مَشْياً بَطيئاً يَدلُّ على الضَّعفِ، والتمَاوتِ، والكَسَلِ .. وإنما وسَطَاً بينهمَا، وبسكينَةٍ وتواضُعٍ، [وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ]؛ واخفِضُ من صَوتِك إذا ما أَرَدْتَ الحدِيثَ، والتعبيرَ عن نفْسِك وحاجَتِك .. وإيَّاكَ والصَّخَب في الأسواقِ، والمجالسِ، ورَفْع الأصواتِ .. فهذا يتنَافَى مع الأدَبِ المطلُوب .. ثم أن رفعَ الصوتِ لغير حاجَةٍ تَستدعي رفعَه هو أَشبَه بصوتِ الحميرِ، وبطريقتِهم في التَّعبيرِ، الذين لا يحسِنُون التعبيرَ عن أنفُسِهم وحاجتِهم إلا بالشهيقِ، ورَفعِ الصَّوتِ، [إِنَّ أَنكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ]لقمان:19. وبالتالي لا يحسنُ ولا يليقُ بك أن تتشَبَّه بأقبحِ وأبشَعِ الأصوَاتِ، بصَوتِ الحميرِ!

* * * * *

أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ

41- [أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ]لقمان:20. لتتمَّ عمليَّةُ التَّسْخِيرِ على الوجْهِ الأحْسَنِ، وتتحقَّقَ الاستفادَةُ الكامِلَة ممَّا في السماواتِ والأرضِ من كنُوزٍ، ونواميس، وخيرَات، ونِعَم مُسَخَّرَةٍ .. يَستدعِي النَّفيرَ، والاجتهادَ، والنُّهوضَ للتَعَرُّفِ على تلك النِّعَم المسَخَّرَةِ للإنسانِ .. واستكشَافِها، وتَطويعِها لخدمةِ الإنسانِ، وإعمَارِ الأرضِ .. وأَوْلَى النَّاسِ فَهمَاً وعمَلاً بهذا التَّوجِيه الربَّاني هم المؤمنُون؛ الذين يُؤمنُون بهذا الخِطَاب، وبالربِّ سُبحانه الذي وجَّهَ هذا الخِطَاب .. فهم الأَوْلَى

باستكشَافِ ما قَد سخَّرَهُ اللهُ، والأَوْلى بالتمتُّع بما قَد سخَّرهُ اللهُ .. وَتوظيفِه في الخيرِ، والإعْمَارِ .. ومعَ ذلك فإنَّ غيرَهم قَد سبقُوهم سَبقَاً بَعيداً في استكشَافِ هذا المسَخَّرِ .. فأَساؤُوا استخدَامَه وتَوظِيفَه، وسخَّرُوه لمآربِهم التَّدْميريَّةِ والتَّخْريبيَّةِ .. فالعِلمُ التَّجريبِي - الذي يُساعِدُ على استكشَافِ المسَخَّرِ - لا يُحَابِي أحَدَاً .. ولَا يَقِفُ معَ طرَفٍ دُونَ طَرَف .. فَمَن أخَذَ به، وبقوانينه كان له الحظُّ الأوفَرُ من تِلكَ الكُنُوزِ، والخيرَاتِ، والنِّعَم المسَخَّرَةِ في السَّمَاواتِ، والأرض.

* * * * *

وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً

42- [وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً]؛ في أنْفُسِكُم، وفي السَّماءِ .. ومَا تُنتِجُهُ الأرضُ - بِبَرِّهَا، وبحرِهَا، وسمائِها - مِن خَيراتٍ وثَرواتٍ .. والأنعام، والدَّواب، وغيرها .. ومِن أعظَمِ النِّعَم الظَّاهِرَةِ؛ إرسالُ الرُّسُلِ، وإنزالُ الكُتبِ الهادِيَة إلى الصِّراطِ المستقِيم، [وَبَاطِنَةً]لقمان:20. خَفيَّة غَير ظَاهِرة؛ لا تَعلمونَها .. ولا تَرُونَها .. تجلبُ لكم - بإذنِ الله - خَيراً كثيراً .. وتَدفعُ عنكم شَرَّاً كثيراً .. وأنتم لا تَعلمُون .. وأنتم عنها وعن شُكْرِها غافِلُون .. وهذه نِعَم عَظيمةُ الشَّأنِ مَن تأمَّلَها، وتَدَبَّرها وجَد العجَبَ العُجَاب؛ وجَدَ بحراً من النِّعَم لا تُعرَفُ له نِهايَة .. كم مِن شرٍّ لا يكونُ بينَك وبينَه سوى ذِرَاع، فيَصرفَهُ اللهُ عنك - بأسبابٍ خَفيَّةٍ - وأنت لا تَدْرِي .. وكم مِن خيرٍ عَظيمٍ تُدْبِرُ عنه، فيسُوقُه اللهُ لك - بأسبابٍ خَفيَّةٍ - وأنتَ عنه رَاغِبٌ رَافِضٌ، وفيه مِن الزَّاهِدين!

* * * * *

وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ

43- [وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ]؛ استِسلامٌ، وخُضُوعٌ، وإخلاصٌ، وعبوديَّةٌ، وتَفويضٌ، وانقِيادٌ تَامٌّ للهِ تعالى وحدَه، ولحكْمِه الكَوْنِي والشَّرْعِي .. مِن غيرِ معَارَضَةٍ،

ولا اعتراَضٍ، ولَا تَعْقِيبٍ، ولا حرَجٍ في النَّفْسِ، [وَهُوَ مُحْسِنٌ]؛ في طاعَتِه وعبادَتِه لرَبِّه؛ فيعبدُ اللهَ تعالى كأنما يَرَاه .. فمن كانَ بهذا الوصْفِ؛ [فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى]؛ العُروةُ التي لا تَنفَصِمُ أبَداً؛ والتي لا مَنجَاةَ للعبدِ إلَّا بِها؛ وهي " لا إله إلا الله "، [وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ]لقمان:22. فجميعُ الأمُورِ ـ خَيرُها وشَرُّها ـ مَرَدُّها ومآلاتها إلى اللهِ؛ فيُجَازِي المحسِنَ على إحسَانِه، والمسيءَ على إساءَتِه.

* * * * *

نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلاً ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَى عَذَابٍ غَلِيظٍ

44- [نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلاً]؛ وهو المتاعُ الذي يتَقَلَّبُون به في الحياةِ الدنْيَا .. ومتاعُ الحياةِ الدُّنيا مَهمَا طالَ، ومَهْمَا كَثُر، فهو بالنظَرِ لليومِ الآخِرِ، ولما ينتظرُهم بعدَ الموتِ، قليلٌ جِداً؛ لَا شيءَ يُذكَر، [ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَى عَذَابٍ غَلِيظٍ]لقمان:24. ثم نَسُوقُهم سَوْقاً شديداً إلى عذابٍ شديدٍ أليمٍ في نارِ جهنَّم .. فَلا شيءَ أغلَظ وأشَد عَذاباً مِن نارِ جهنم .. العذابُ الذي يُنْسِيهم مَا كانُوا فيهِ مِن لهوٍ، ونَعيمٍ، ومتَاعٍ في الحياةِ الدُّنيا .. كما في الحديثِ، فقد صحَّ عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم أنَّه قال:" يُؤْتَى بأَنْعَمِ أهْلِ الدُّنْيا مِن أهْلِ النَّارِ يومَ القِيامَةِ، فيُصْبَغُ في النَّارِ صَبْغَةً، ثُمَّ يُقالُ: يا ابْنَ آدَمَ، هلْ رَأَيْتَ خَيْرًا قَطُّ؟ هلْ مَرَّ بكَ نَعِيمٌ قَطُّ؟ فيَقولُ: لا، واللَّهِ يا رَبِّ ..."مسلم.

* * * * *

فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا

45- [فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا]لقمان:33. فتُشغِلُكُم عن الآخِرَة .. وتُنْسِيكُم عمَّا يتَرَبَّصُ بِكُم بعْدَ الموتِ!

إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ

46- [إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ]؛ بأن يَبعثَ الناسَ مِن قبُورِهم ليومِ الحِسَابِ، ومحاسَبةِ الناسِ على ما كان مِنهم مِن عمَلٍ .. هو [حَقٌّ]؛ صِدْقٌ، ويَقِينٌ .. وإنه لآتٍ لا شَكَّ فِيه، [فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا]؛ فلَا تُشغلنَّكُم الدُّنيا، وزِينتُها، والتفاخرُ بها، عمَّا سيُلاقِيكُم يومَ القِيامَة من حِسَابٍ، وعمَّا يَنفعُكم يومَ القِيامَةِ، [وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ]لقمان:33. ولا يحملنَّكم حِلْمُ اللهِ بكم، وصَبرُه عليكم، وعلى ما يَصدرُ عنكم من عملٍ، وتقصيرٍ .. على التَّمادِي في الآثامِ، والمعَاصِي .. إذ لا تَدرُون متى يحلُّ بكم انتقامُه وعذَابُه؛ في الدُّنيا قبلَ الآخِرَة!

* * * * *

وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ

47- [وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ]لقمان:34. يَتنَقَّلُ الإنسانُ في أمصَارٍ، ومُدنٍ شَتَّى .. يَذهَبُ في الاتجاهَاتِ الأربعَةِ مِن الأرضِ .. وفي البرِّ والبَحْرِ .. وهو لا يَدْرِي في أيِّ بقعَةٍ مِن الأرضِ سيتوَسَّدُ فيها وسَادَةَ التّوقُّفِ عن كلِّ شَيء .. وسَادَةَ الموتِ .. ولو عَلِمَ البُقعَةَ التي سيُدفَنُ فِيها، ويَتوسَّدُ فيها وسادَةَ الموتِ، لظَلَّ بعيداً عَنْها، هارِباً مِنْها .. لكنَّهُ ـ إذا دَنَا أجَلُه ـ يُسَاقُ إليها سَوْقاً وهو لا يَدرِي .. تَقُودُه الأسبابُ إليها وهو لا يَعْلَمُ أنَّ في استجابَتِه لتلكَ الأسْبابِ حَتْفَهُ، وقَبْرَه .. تَقُودُه الأسْبَابُ التي يَرَى فِيها حياتَهُ، ورِزْقَهُ، وسَعَادَتَهُ إلى مَوتِهِ، ومُوقع قَبْرِه، وهو لا يَدْرِي!

* * * * *

قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ

48- [قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ]؛ أينما تكونُوا، سَواءٌ كنتم تحتَ الأرضِ مِئاتِ الأمتارِ، في مخابئ ومَلاجِئ محصَّنة .. أمْ في قصُورٍ شَاهِقَةٍ مُشيَّدَةٍ، مُحاطَة بالجنْدِ والحرَسِ .. عندما يأتي الأجَلُ، فإنَّ مَلَكَ الموت الموكَّل إليه بقبضِ الأرواحِ، سَيزُورُك، ويَفتحُ عليك البابَ، مَهمَا غَلُظَ، وثَقُلَت أقفَالُه .. لكن مِن غيرِ قَرعٍ للبَابِ، ولا استئذَانٍ، ولَا إمْهالٍ، ولَا إشْعَارٍ مُسبق .. والعَاقِلُ مَن يعملُ لتلكَ السَّاعَةِ، ويَستعدُّ لها .. والغَافِلُ كل الغفْلَةِ مَن يَغفَل ويَلهُو عَنها، [ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ]السجدة:11. بعدَ أن يَتوفَاكم مَلَكُ الموتِ .. ستُبعثون وترجعُون إلى اللهِ، ليُحاسبكم على ما كان مِنكم مِن عمَلٍ، فمن عملَ خَيراً، فسيجدُ خَيراً، وليحمد الله، ومَن عملَ شَرّاً فلا يلومَنَّ إلا نفْسَه.

* * * * *

تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ

49- [تَتَجَافَى]؛ مِن الجفَاءِ، والنَّأيِ، والبُعدِ، فتبتَعِدُ وتَتَنَحَّى، [جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ]؛ يَقومُون للصَّلاةِ في الليلِ، بَعدَ رَقْدَةٍ ونَومٍ .. فينفُضُون عن أنفُسِهم دِفْءَ الفِرَاشِ .. ويَدخلُ في ذلك انتظارُ صَلاةِ العَتْمَةِ، حيثُ يمنعون أنفسَهم عن النَّومِ، ويَنأون ويبتعِدُون عن المضاجع والفُرُشِ انتظاراً لصلاةِ العِشَاءِ، مع حاجَةِ الجسَدِ للراحَةِ والنَّومِ، [يَدْعُونَ]؛ وقتَ قِيامِهم، وانتظارِهم للصَّلَاةِ، [رَبَّهُمْ خَوْفاً]؛ مِن عِقَابِه، [وَطَمَعاً]السجدة:16. في عَفْوِه ورَحمتِه .. فجمَعُوا بين الرَّجَاءِ والخوفِ .. بخلافِ المرجئةِ فإنهم اقتَصَرُوا على الرَّجَاءِ، وتَوَاكَلُوا عليه .. وبخلافِ الحرُوْرِيَّةِ الخوارِج، فإنَّهم اقتَصَرُوا

على الخوْفِ، فوَقَعُوا في القنُوطِ مِن رحمةِ اللهِ .. ومِن جميلِ مَا أُثِرَ عن بعضِ السَّلفِ قولهم:" مَن عبَدَ اللهَ بالحبِّ وحدَه فهو زِنديقٌ، ومَن عبَدَهُ بالخوفِ وحدَهُ فهو حَرُورِي، ومَن عبَدَهُ بالرَّجاءِ وحدَهُ فهو مُرجئٌ، ومَن عبَدَهُ بالحبِّ، والخوفِ، والرَّجاءِ، فهو مُؤْمنٌ ".

* * * * *

وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا

50- [وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ]السجدة:22. يَدخلُ في هذا الوَعيد الشَّديدِ المخيفِ مَن يُعْرِض عن النَّصيحَةِ ـ مِن أيِّ طرَفٍ جَاءَت ـ المستمدَّةِ مِن كتَابِ اللهِ تعالى ومِن سُنَّةِ رسُولِه صلى الله عليه وسلم .. ويُقابلها بالاستخْفَافِ، والإدْبَارِ .. فرَادُّ النَّصيحَةِ يَقَعُ في ذَنْبَين: الذَّنْبُ الذي نُصِحَ لأجْلِهِ، وذَنْبُ رَدِّهِ للنَّصيحَةِ؛ وقد يكونُ أكبر مِن ذَنْبِه الأوَّل!

* * * * *

وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً

51- الإمَامَةُ في الدِّين تُنَالُ بالصَّبْرِ، واليَقِين[وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً]؛ قَادَةً يُقتَدَى بهم في الخَيرِ [يَهْدُونَ]؛ النَّاسَ إلى الحَقِّ، ومُبَايَنَةِ البَاطِلِ [بِأَمْرِنَا]؛ بأمْرِ اللهِ، وإذْنِه، ومَدَدِه لهم بالقُوَّةِ .. وهم نَالُوا هَذَا الشَّرفِ الرَّفيع، وهذه المرْتَبَةِ العَالِيَةِ [لَمَّا صَبَرُوا]؛ صَبَرُوا على الطَّاعَةِ، وعلى الأمْرِ، والنَّهي، وعَلى البَلاءِ، ومَشَاقِّ ومُتطلباتِ الدَّعْوةِ إلى الله .. فلم يَسْتَعْجِلُوا شَيئاً قَبْلَ أوَانِه، ولا شَيئاً يَسْتَبْطِئه اللهُ عليهم [وَكَانُوا بِآيَاتِنَا]؛ الشَّرعيَّةِ،

والكَوْنيَّة، الدَّالَّةِ على تَوحِيدِه، وعلى وَعْدِه، ووعِيدِه [يُوقِنُونَ]السجدة:24. يُؤمنون إيماناً جَازِمَاً لا يَعتَريه أدْنَى شَكٍّ.

* * * * *

مَّا جَعَلَ اللهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ

52- [مَّا جَعَلَ اللهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ]الأحزاب:4. كَافِرٌ، ومُؤْمِنٌ.

53- [مَّا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ]الأحزاب:4. قَلبٌ موحِّدٌ، وقَلبٌ مُشْرِكٌ .. قلبٌ يَعبدُ اللهَ، وقلبٌ يَعبدُ الطَّاغوتَ .. إنَّهما لا يجتمعَان في جوفِ امرئٍ واحِدٍ أبَدَاً!

54- [مَّا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ]الأحزاب:4. قَلبٌ مؤمنٌ موحِّدٌ، وقلبٌ كافرٌ مُشركٌ .. قلبٌ يَعبدُ اللهَ، وقلبٌ يَعبدُ الطَّاغُوت .. قلبٌ مخلصٌ صادِقٌ، وقَلبٌ منافقٌ كاذِبٌ .. قلبٌ يوالي المؤمنين، وقَلبٌ يُوالي أعداءَ المؤمنين .. لا يجتمعَان في جوفِ امرئٍ واحِدٍ أبَداً.

* * * * *

وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُم بِهِ

55- [وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُم بِهِ وَلَكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَّحِيماً]الأحزاب:5. خَطآن لَا يُؤخَذ بهما المرءُ: خَطأ ناجِمٌ عن اجتهادٍ، فلم يُدرِكْ الحقَّ .. وخَطأٌ ناجِمٌ عَن غَفلَةٍ، وسَهوٍ، مِن غَير قَصْدٍ .. وخَطَأ واحدٌ يُؤخَذُ به المرءُ، وهو الخَطَأ النَّاجِمُ عِن علمٍ، وقَصْدٍ، ونيَّةٍ .. [وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَّحِيماً]؛ لمن وقَعَ في الخطَأَين اللَّذَين لا يُؤاخَذ بهمَا المرءُ .. ولمن وقعَ في الخطَأ عن قَصْدٍ، وعَمْدٍ ثم تَابَ، واستغفَرَ، وأنَابَ .. والحمدُ للهِ رَبِّ العَالمين.

* * * * *

لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ

56- [لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ]؛ في سنَّتِه القوليَّةِ، والعَمَليَّةِ، والتَّقْرِيريَّةِ، [أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ]؛ قُدوةٌ، ومَثَلٌ أعْلَى، يُقتدَى بهِ في جميعِ جوانبِ الحيَاةِ، دِقَّهَا وجِلَّهَا، والشَّاملَةِ لجميعِ السُّلوكِ الإنْسَانِي، على اختلافِ تنوعِه، وطبقَاتِه، على امتِدَادِ العُصُور والأزْمَانِ، وإلى يومِ القيامَةِ: السيَاسيَّةُ منها، والاقتصاديَّةُ، والاجتماعيَّةُ، والأخلاقيَّةُ، والقضائيَّةُ، والشَّعائرُ التَّعبديَّةُ، وفي السلمِ والحرْبِ، وفي جميعِ ما جاءَ بهِ مِن عندِ ربِّه، [لِمَن كَانَ يَرْجُو اللهَ]؛ لِمَن كان يَرجُو ثوابَه، ويَخْشَى عقَابَه [وَالْيَوْمَ الْآخِرَ]؛ والنَّجاةَ والسَّلامَةَ في اليومِ الآخِرِ، إذْ لا نَجاةَ إلا مِن خلالِ مُتابَعةِ النبي صلى الله عليه وسلم، والاقتداءِ به، [وَذَكَرَ اللهَ كَثِيراً]الأحزاب:21. وكان كَثيرَ الذِّكْرِ للهِ عزَّ وجل، كثيرَ الذِّكْرِ لحقِّهِ عليه، وهذه موعظَةٌ لا يَتلَقَّاهَا على الوجْهِ الأكمَلِ والأحسَنِ إلا مَن كانَ كذلك، كثيرَ الذِّكْرِ للهِ عزَّ وجل.

57- قولُه تعالى:[لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ]الأحزاب:21. مِن مُقْتَضَاه أن تَتوفَّرَ في شَخصِ النبي صلى الله عليه وسلم جميعَ الصِّفاتِ والخِصَالِ التي تُغَطِّي جميعَ حاجياتِ الإنْسانِ ـ على اختلافِ طبَقاتِه، وتنوعِ أنشطَتِه وأعمالِه ـ وإلى يومِ القيامةِ، إذْ حَاشَا الخالق سُبحانَه أن يَردَّكَ إلى قُدوةٍ، ويأمُرَكَ بالاقتداءِ به، ثم لا تجدُ في هذهِ القُدوةِ ما تَقتَدِي به، أو لا يُلبِّي جَميعَ حاجياتِك، في جميعِ مجَالاتِ حيَاتِك.

58- [لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ]؛ في سنَّتِه القوليَّةِ، والعَمَليَّةِ، والتَّقْرِيريَّةِ، [أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ] ؛ قُدوةٌ، ومَثَلٌ أعْلَى، يُقتدَى بهِ في جميعِ جوانبِ الحيَاةِ، دِقَّهَا وجِلَّهَا، والشَّاملَةِ لجميعِ السُّلوكِ الإنْسَانِي، على اختلافِ تنوعِه، وطبقَاتِه، على امتِدَادِ العُصُور

والأزْمَانِ، وإلى يومِ القيامَةِ: السياسيَّةُ منها، والاقتصاديَّةُ، والاجتماعيَّةُ، والأخلاقيَّةُ، والقضائيَّةُ، والشَّعائرُ التَّعبديَّةُ، وفي السلمِ والحرْبِ، وفي جميعِ ما جاءَ بهِ مِن عندِ ربِّهِ، [لِمَن كَانَ يَرْجُو اللهَ] ؛ لِمَن كان يخشَى اللهَ، ويَرجُو ثوابَه، ورِضَاه [وَالْيَوْمَ الْآخِرَ]؛ والنَّجاةَ والسَّلامَةَ في اليومِ الآخِرِ، إذْ لا نَجاةَ إلا مِن خلالِ مُتابَعةِ النبي صلى الله عليه وسلم، والاقتداءِ به، [وَذَكَرَ اللهَ كَثِيراً]الأحزاب:21. وكان كَثيرَ الذِّكْرِ للهِ عزَّ وجل، كثيرَ الذِّكْرِ لحقِّهِ عليه، وهذه موعظَةٌ لا يَتلَقَّاهَا على الوجْهِ الأكمَلِ والأحسَنِ إلا مَن كانَ كذلك، كثيرَ الذِّكْرِ للهِ عزَّ وجل.

59- قولُه تعالى: [لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ]الأحزاب:21. مِن مُقْتَضَاه أن تَتوفَّرَ في شَخصِ النبي صلى الله عليه وسلم جميعَ الصِّفاتِ والخِصَالِ التي تُغَطِّي جميعَ حاجياتِ الإنْسانِ ـ على اختلافِ طبقَاتِه، وتنوعِ أنشطَتِه وأعمالِه ـ وإلى يومِ القيامةِ؛ إذْ حَاشَا الخالق سُبحانَه أن يَردَّكَ إلى قُدوةٍ، ويأمُرَكَ بالاقتداءِ به، ثم لا تجدُ في هذهِ القُدوةِ ما تَقتَدِي به، أو لا يُلبِّي جَميعَ حاجياتِك، في جميعِ مجَالاتِ حيَاتِك.

* * * * *

وَكَفَى اللهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ

60- [وَكَفَى اللهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ]الأحزاب:25. يكفِي اللهُ المؤمنين القِتَالَ، وتبِعَاتِه، ويَردُّ بأسَ الكافِرِين الظَّالمِين بسببٍ كونيٍّ مِن عِندِه .. أو بإشْغَالِ الظَّالمِين بالظَّالمِين، ودَفْعِ الظَّالمِين بالظَّالمِين .. وبما لَا يَعْلمُ إلَّا اللهُ.

* * * * *

وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى

61- [وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى]الأحزاب:33. مَهمَا تَعَدَّدَت وتنوَّعَت مهامُّ المرأةِ خارج البيتِ فهي لا تُوازِي مَهَمَّتَها الأسَاس والمقدَّسَة في البيتِ، مَهَمَّة الأم التي تُربِّي الأجيالَ، والتي بها تقومُ وتنهضُ الأوطَانُ .. ومَهمَا تنوَّعَت وتعدَّدَت الألقابُ التي تُمنَح لها، فهي لا تُوازِي ـ من حيث القِيمة، والجمَالِ، والأثَرِ ـ لقب " أُمِّي " .. أدركَت الشياطينُ، شَياطينُ الأنسِ والجنِّ هذه الحقيقَة .. وأدركُوا أن لا سبيلَ لهم إلى إفسادِ ودَمارِ، وخرَابِ الأجيالِ، والمجتمعات إلا بإفسَادِ المرأةِ أوَّلاً .. وإبعادِهَا عن وظيفتِها الأسَاس .. وإخرَاجِها من بيتِها لتُزاحِمَ الرجالَ في جميع الميَادِين .. وفي الميادِين التي لا تليقُ بالرجالِ ولا بالنِّساءِ .. واعتبرُوا كلَّ عمَلٍ لها خارِجَ البيتِ مهمَا كان العمَلُ خاصَّاً بالذُّكُور دُون الإناثِ، أو كان العمَلُ هابِطاً، ومُهيناً، ومحرَّماً .. عمَلاً؛ تستحقُّ المرأةُ بموجبِه لقبَ عامِلَة، وموظَّفَة .. باستثناءِ عملِها العَظيم والكَبير في البيتِ؛ المؤسسةُ الصَّغيرةُ والأُولَى، والأهَم بالنسبةِ للمجتمع الكَبير .. لا يَعتبرونَه عمَلاً .. بل ينظرُون إليه نظرةَ إزدِراءٍ واستهجَانٍ .. فجمعُوا عليها عملَ البيتِ، وتربيةَ النَّشء والأبنَاءِ، ومَا يتعلقُ بحقُوقِ الحياةِ الزَّوْجيَّةِ ـ وإنه لعملٌ كبيرٌ وضَخم ـ وبين العمَلِ عند الناسِ خارج المنزلِ؛ الذي قد يَستغرقُ مِن وقتِها في اليومِ مَا لا يقلُّ عن عَشرِ سَاعاتٍ .. وهذا مَا لا طاقَةَ لها به، ولا طاقَة لها للتوفيقِ بينهما؛ إذْ لا بدَّ مِن التضحيةِ بأحَدِ العمَلَين، والمهَمَّتَين؛ فضحَّت ـ إلا مَن رحمَ اللهُ ـ بعملِ ومهمَّةِ البيتِ، وهي بتضحيتها هذه ضحَّت ببيتِها، وبأبنائِها، وبتربيتِهم تربيةً سويَّةً صالحةً، ليتلَقَّفَهم الشارعُ .. وقُرناءُ السُّوءِ، ودُورُ الخنَا، والسُّكْرِ، والمخدرَات .. كما أنَّها ضحَّت بزوجِها، وبحقِّه في السَّكَنِ الدَّافِئ والجميل ..

وإذا أردنا للمجتمعاتِ أن تعودَ مِن جَديدٍ إلى رُشْدِها، وطُهرِهَا، وتقدُّمِها الحضَارِي .. لا بُدَّ أوَّلاً مِن أن نُعيدَ للمرأةِ مهمَّتَها ووظيفتَها الأسَاس كأُمٍّ، وكزوجَةٍ صَالحَةٍ.

* * * * *

إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ

62- لمن يحصِرُ مَهَامَ المرأةِ في مجَالٍ واحِدٍ من مجَالات الحياة، وأنها لم تُخلَق لِسِواه، يقول تعالى:[إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ] ؛ كُلّ الإسْلام، [وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ]؛ كُل الإيمان [وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيراً وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً] الأحزاب:35. فهي في جميع ما تقدَّمَ ذِكْرُه شريكةُ الرجلِ سواء بسواء، وقال تعالى:[وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ] ؛ وهو الخيرُ كُلّه [وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ] ؛ وهو الشرُّ كُله، [وَيُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللّهُ إِنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ]التوبة:71. فيَجبُ عليها نصرةُ دينِ اللهِ كما يجبُ على الرّجلِ، كُلٌّ بحسب استطاعَتِه، وظرْفِه، ومَكَان تَواجِدِه.

* * * * *

مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ

63- [مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ]الأحزاب:40. ليس في كُتبِ اليهود والنّصارى ما يمنع من مجيء نبيٍّ بعدَ موسى، وعيسى عليهما السلام، بل كتُبهم مليئةٌ بالبشَاراتِ التي تُبشرُ بمجيءِ النبيِّ محمدٍ صلى الله

عليه وسلم من بعدِ مُوسى وعيسى عليهما السَّلام .. وبعدَ مجيءِ محمدٍ صلى الله عليه وسلم، أعلَن إعلانَه الخالد أن لا نبيَّ بَعدَه، وأنَّه خاتمُ الأنبياءِ والمرسَلين، كما في هذه الآية الكريمة، وكما في الحديث الذي أخرجَه البخاري في صحيحِه:" كانَت بنُو إسرائيلَ تَسُوسُهم الأنبياءُ، كلَّما هلَكَ نبيٌّ خلَفَهُ نبيٌّ، وإنَّه لا نبيَّ بَعْدِي ". وقَد مَضَى على هذا الإعلان الخالِد أكثر من ألف وأربعمائة عام، ولا يزال قائماً، وإلى يومِ القِيامة .. ومع ذلك لم يجرؤ أحدٌ ـ من جميع مِلَلِ الأرضِ ـ أن يدَّعي النُّبوَّةَ، وأنه نبيٌّ مُرسَل، ومَن تجرأَّ على الإدِّعاء، سرعان ما انكشف كَذِبُه، وبانَ دَجَلُه، وانقَطَعَ أثَرُه .. ألَا يَدلُّ ذلك على أن محمداً صلى الله عليه وسلم صادقٌ في دعوته ونبوَّتِه، وفِيما أخبَرَ عن ربّه، وأنه لا يَنطقُ عن الهوَى، إن هو إلَّا وحيٌ يُوحَى؟!

* * * * *

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللهَ ذِكْراً كَثِيراً

64- [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللهَ ذِكْراً كَثِيراً]الأحزاب:41. المُحِب كثيرُ الذِّكْرِ لمن يُحِب، وعَلى قَدْرِ المحبّةِ يكونُ الذِّكرُ .. ما أحبَّ من نسي .. النسيانُ والمحبَّةُ لا يجتمعان، لذا جاء الأمر بأن نذكرَ اللهَ كثيراً.

* * * * *

وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا رَسُولَ اللهِ

65- قال تعالى:[وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا رَسُولَ اللهِ]الأحزاب:53. الأذَى الصريحُ الذي يمارسُه الكفّارُ، والزَّنادِقَةُ، الكلُّ يَعلَمه .. أمّا الأذَى الخفِي والمبطّن، والذي يمارسه مَن يُحسَبون على الملّة، وأهل القِبلةِ، هو الذي ينبغي تعريتُه، وأن يُشارَ إليه .. من صورِ هذا النّوعِ من الأذَى: الطّعنُ بالسُّنّة، والاستخفافُ، والاستهانَةُ بها، والانتقاصُ

من قَدْرِها ومن حُجّيَّتِها .. ومنها، القولُ بالاكتفاءِ بالقرآنِ من دونِ السّنّةِ، والرجوعِ إليها؛ فيخرجونها من دائرةِ الاستدلالِ والاحتجَاج .. ومنها، رَدُّ كثيرٍ من الأحاديثِ بزعم أنها آحادٌ، وظنيّة الدَّلالة .. ومنها، تقديمُ العقلِ على الثّابتِ من سُنّته، وجعلُ العقلِ حَكَماً على السُّنّة، يأخُذ منها ما يهوى، ويردُّ ما يهوى .. ومنها، الكذِبُ على رسولِ الله صلى الله عليه وسلم، وكَثرَةُ الاستدلالِ بالأحاديثِ الموضوعةِ المكذوبة، والضّعيفة، على أنها من أقوالِه، وما هي من أقوالِه .. ومنها، الاستخفافُ والانتقاصُ من قَدْرِ أصحابِه الكِرام، والطَّعنُ والغمزُ بهم أو ببعضِهم، وإخراجُهم من دائرةِ المرجعيّةِ التي يُرجَعُ فيها إلى فَهمِهم وأقوالهم في مسائلِ الدِّين .. ومنها، عَدَمُ استحضارِ أقصَى درجَاتِ الأدَبِ، والتَّوقير، عند الحديثِ عن أهلِه، وآلِ بيتِه الكِرام .. ومنها، إماتةُ سنَّته بإحياءِ ما يُضادُّها من البِدَع .. ومنها، الغُلُو في شخصِ النبي صلى الله عليه وسلم، وفي إطرائه، ورَفعِه إلى مقام الألوهيّة، والربوبية .. ومنها، الغُلُو في الأئمّةِ، والشّيوخ، والتَّعصّب لهم، ولأقوالهم، ورفعهم إلى مَقامِ النَّبيّ صلى اللهُ عليه وسلم .. فهذا كله مما يُؤذي رسولَ الله صلى الله عليه وسلم، ولهؤلاء كُلِّهم يُقال:[وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ]، ولهؤلاء كُلٌّ له نصيبه ـ بحسْبِ أذاه ـ من قوله تعالى:[إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَاباً مُّهِيناً]الأحزاب:57.

* * * * *

إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ

66- [إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً]الأحزاب:56. صَلاةُ اللهِ على عبدِه ونبيِّهِ محمد صلى الله عليه وسلم تكونُ بثنائِه

عليه، ورَفْع مقَامِه، وذِكْره، في الأرضِ وفي السماءِ، وتَبريكه .. وصَلاتُنا والملائكةُ عليه ﷺ ثناءٌ عليه، وإظهارٌ لفضْلِه وشَرَفه، ولعظِيمِ حقِّه، ودُعاءٌ بأن يُثني اللهُ عليه، ويُعلِي مِن ذِكْرِه ومَقَامِه ﷺ. وصَلاتُنا على النبيّ صلى الله عليه وسلم وإن كانت دعاءً مِنَّا له، إلَّا أن خيرَ وبركةَ ونَفعَ الصَّلاةِ عليه يَرتدُّ على المصَلّين عليه بالخيرِ الكثِير .. وأضعَافاً مُضاعَفَة .. وقَد جاءَ في ذلك أحاديثَ عِدَّة، نَذكُرُ بعضَها، فقد صحَّ عن النبيّ صلى الله عليه وسلم أنه قال:" مَن ذُكِرتُ عندَه فليُصلِّ عليَّ، فإنَّ من صلَّى عليَّ مرةً صلى اللهُ عليه عَشراً ". وقال صلى الله عليه وسلم:" من صَلَّى عليَّ واحدةً، صلى اللهُ عليه عَشرَ صَلواتٍ، وحَطَّ عنه عشرَ خَطيئاتٍ، ورفعَ له عشْرَ درجات ". وقال صلى الله عليه وسلم:" مَن صلَّى عليَّ من أمتي صلاةً مخلِصاً مِن قَلبِه، صلَّى اللهُ عليه بها عَشرَ صَلواتٍ، ورَفَعه بها عشْرَ درَجاتٍ، وكتبَ له بها عَشرَ حسنَاتٍ، ومحَا عنه عَشرَ سيئاتٍ ". وقال صلى الله عليه وسلم:" أولَى النَّاسِ بي يومَ القيامةِ أكثرُهم عليَّ صَلاةً ". وعن أُبي بن كَعب، قال: فقلتُ يا رسولَ الله! إنِّي أُكثِرُ الصلاةَ عليكَ، فكم أجعلُ لك مِن صَلاتي ـ أي مِن دُعائي ـ؟ قال:" ما شِئتَ "، قال: قلتُ الرُّبعَ؟ قال:" ما شِئتَ، وإن زدتَ فهو خيرٌ لك "، قلت: النُّصفَ؟ قال:" ما شِئتَ، فإن زدتَ فهو خيرٌ لك "، قال: قلتُ ثُلُثَين؟ قال:" ما شِئتَ، وإن زدتَ فهو خيرٌ لك"، قال: أجعَل لك صلاتي كُلَّها؟ قال:" إذاً تُكفَى همُّكَ، ويُغفَر لك ذنبُكَ ". وفي رواية عنه، قال: قال رجلٌ: يا رسولَ الله! أرأيتَ إن جعلتُ صَلاتي كلها عليك؟ قال:" إذاً يكفيكَ اللهُ تبارك وتعالى ما أهمَّك من دُنياكَ وآخرتك ". وقال صلى الله عليه وسلم:" أكثروا الصلاةَ عليَّ يومَ الجمعةَ، فإنه أتاني جبريلُ آنفاً عن ربِّه ﷻ فقال: مَا على الأرضِ مِن مُسلمٍ يُصلي عليكَ مرَّةً واحدَةً، إلا صلَّيْتُ أنا وملائكتي عليه عَشراً ". صَلاةُ الربِّ سُبحانه على مَن يُصلي على عَبدِه ونبيِه محمد صلى الله عليه وسلم .. تَكفِي وزِيَادَة .. لكن

زِيادَةً في الفَضلِ والتَّرغِيب، فقد جَعلَ اللهُ تعالى جميع الملائكة ولَا يعلمُ تعدادَهُم إلا اللهُ .. أن يُصلوا على مَن يُصلي على النبيّ صلى الله عليه وسلم مرةً واحدةً عشرَ مرَّاتٍ؛ أي مُقابل أن تُصلي على النبيّ صلى الله عليه وسلم مرَّةً واحِدةً، يُصَلَّى عليك يا عَبدَ الله مِليارات المرَّات .. وصَلاتُ الله على عبادِه مَغفرةٌ ورَحمةٌ، وبركَة .. وصَلاةُ الملائكةِ على المصَلّين على النبيّ صلى الله عليه وسلم دُعاءٌ لهم بالمغفرةِ والرَّحمةِ، والبَرَكَةِ. وقالَ رسولُ اللهِ ﷺ: "أكثِرُوا الصَّلاةَ عليَّ، فإن اللهَ وكَّلَ بي ملكاً عند قَبرِي، فإذَا صَلَّى عليَّ رَجلٌ مِن أمَّتي، قال لي ذلك الملَك: يا محمد إن فلانَ ابنَ فلانٍ صَلَّى عليك السَّاعةَ". فتُذْكَرَ للنبيّ صلى الله عليه وسلم باسمِكَ واسمِ أبيكَ إذَا صَليتَ عليه .. ويُصبح اسمُكَ معرُوفاً له إذَا أكثرتَ مِن الصَّلاةِ عليه .. اللهمَّ صَلِّ وسَلِّم على عَبدِكَ ونبيكَ محمد، وسَلِّمْ تَسليماً كَثيراً، كثيراً؛ عَدَدَ خَلْقِك، ورِضَا نَفْسِك، وَزِنَةَ عَرْشِك، ومِدَادَ كلماتِك.

* * * * *

إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ

67- [إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ]الأحزاب:57. والأَذَى أنوَاعٌ ودَرَجَات: مِنهُ الظَّاهِرُ، ومِنهُ البَاطِنُ الخَفِي، ومِنهُ التَّصْرِيحُ، ومِنهُ التَّلْمِيحُ، ومِنهُ المبَاشَرُ، وغَيرُ المبَاشَرِ .. واللهُ [يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى]طه:7.

* * * * *

وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ

68- [وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ]؛ هؤلاءِ الذين يُؤذُون المؤمنِين والمؤمنَات، ليسُوا مِن المؤمنِين والمؤمنَات، إنما هم مِن الكافِرين، والمنافقِين، والفَاسِقين؛

مَرضَى القُلُوب .. يُؤذُون المؤمنِين والمؤمنات لإيمانِهم، ولأنَّهم من المؤمنِين والمؤمنَات، فتُسيئهم الحسنَةُ التي تُصيبُ المؤمنِين، وتَسرُّهم السيئةُ التي تُصيب المؤمنِين، [بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا]؛ بغيرِ ما قالُوا، وما فَعلُوا .. يُشهِّرُون بهم بين الخلائِقِ، ويَنسبُون إليهم أُموراً لم يفعلُوها، ولم يقولُوا بها، أو يَزيدُون عمَّا صدَر عنهم مِن قَولٍ وفِعل؛ فيُضَخِّمُون الأشياءَ، ويجعلُون مِن الحبَّةِ قبَّة؛ بُغيةَ التَّشهيرِ، والأذَى، [فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَاناً وَإِثْماً مُّبِيناً]الأحزاب:58. وهؤلاء قد وقَعُوا في إثمٍ عظيمٍ؛ إثمُ الكذِبِ، والزُّورِ، والبُهتانِ، والظُّلمِ .. هذا فِيمَن يُؤذِي المؤمنين فِيما لم يَصدُرْ عنهم مِن الخطَأ .. فكيف بمن يُؤذِيهم، ويُشهِّر بهم لإيمانِهم، ولحسناتِهم، وجهَادِهم، ولأنَّهم يَأمرُون بالمعرُوفِ، وينَهون عن المنكرِ .. فكيفَ بالذي يُؤذِي كِبارَ أئمة العِلمِ؛ الذين شَهدَ لهم الناسُ بالعلمِ، والخيريَّةِ، والفَضْلِ .. ويقولُ فيهم ما ليسَ فِيهم .. لَا شكَّ أنَّه أشَد كذباً، وزُوراً، وبُهتاناً، وأشَد إثماً وعذاباً يومَ القِيامة .. وفي الحديث القُدسي:" إنَّ اللهَ قالَ: مَن عَادَى لي ولِيَّاً فقَد آذَنْتُهُ بالحَرْبِ "البخاري. وكان مِن السَّلَفِ مَن يَقُول:" إيَّاكُم وأذَى المؤمن؛ فإنَّ اللهَ يحوطُه، ويَغضَبُ لَه ".

* * * * *

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاء الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ

69- [يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاء الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ]؛ يُرخِين ويُقَرِّبْن، [مِن جَلَابِيبِهِنَّ]؛ على وجوهِهِن؛ بحيث يُغطي الحاجِبَين .. ومن السلف مَن قال: يُغطِّي جميعَ الوجه باستثناءِ العَينَين .. فالإدناءُ أمرٌ زائدٌ على مجرَّدِ غِطاءِ الرأسِ، والشَّعرِ، [ذَلِكَ أَدْنَى]؛ أقرَبُ، وأرجَى [أَن يُعْرَفْنَ]؛ لأن يُعرفْنَ بأنهنَّ حرائر من لباسِهن السَّاتِرِ، فلا يتجرَّأ عليهن الفسَّاقُ؛ كما يتجرَّأوا على الإماءِ المملوكَات؛ عند خروجِهن

للخدمَةِ، وتَعرضهنَّ لشيءٍ من التَّكشُّفِ بسببِ الخدمَةِ، [فَلَا يُؤْذَيْنَ]؛ فإذا عُرِفْنَ أنهنَّ حرائر، وتمايَزْن بحجابهنَّ الكامِل عن الإماءِ المملُوكات .. فلا يتجرَّأ على اعتراضِهن أو التَّحرشِ بهنَّ فاسقٌ أو منافقٌ؛ لعلمِه بالعَواقِب الأليمةِ لمن يتعرَّض لهنَّ .. فإن قِيل: ولكن اليومَ لا يُوجَد إمَاءٌ مملوكات .. أقول: ولكن يوجدُ فاسِقاتٌ، متبرِّجات، وكاسياتُ عارِيَات، وهنَّ السَّوادُ الأعظَم من النِّساءِ في هذا الزمانِ وللأسَف، وفي المقابلِ يوجَدُ جيوش مِن الفسَّاقِ والعُصَاةِ .. ولَا بُدَّ للمسلمةِ الحرَّةِ مِن أن تتميَّز عن الفاسقات بحجابِها الساتِر الذي يَعصِمُها من نفسِها أن تتجرَّأ على مواطنِ الزَّلَلِ والسُّوءِ، ويَعصِمُها من تَعدِّي الفاسِقين عليها؛ لعلمِهم أنَّها كمسلمةٍ محجَّبةٍ لا تقبلُ الخضُوعَ والتَّحرشَ كغيرِها من الفاسِقاتِ المتبرِّجات .. فإذا استوَت معهُنَّ في التبرجِ، تجرَّأ عليها الفسَّاقُ كما يتجرأون على غيرِها من المتبرِّجات، وتعرَّضَت للأذَى كما يتعرَّضن، [وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَّحِيماً]الأحزاب:59. لمن كانت تخرجُ لحاجَتِها مِن دون أن تُدني وتُرخي جلبابها على وجهِها، قبل نزولِ الأمرِ بالإدْناءِ .. ولعدَمِ علمها بالحكمِ الشَّرعي .. أما بعد نزُول الأمرِ بالإدناءِ، وعلمهنَّ بالحكم الشَّرعي، فإنهنَّ لا يُعذَرْنَ لو خرجنَ من دونِ أن يُدنِين عليهن من جلابيبهنَّ .. تقولُ أمُّ المؤمنين أمُّ سلمة رضي الله عنها:" لما نزَلت: يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ خرجَ نساءُ الأنصارِ كأنَّ على رؤوسِهِنَّ الغِربانَ منَ الأَكْسِيَةِ ". وإذا كان هذا الأمرُ بالإدناءِ يَتنزل على نساءٍ يَعِشْن في أطهَرِ وأشرَف بقعةٍ في الأرضِ، وأطهَرِ وأشرَفِ مجتمعٍ إنسانيٍّ عرَفَته، وتَعرفهُ البشريَّةُ جمعَاء وإلى يومِ القِيامَةِ؛ إنها المدينةُ المنوَّرة، وإنه مجتمعُ المدينة المنوَّرة في عهدِ النبي صلى الله عليه وسلم، وعهدِ أصحابِه الكِرام رضي الله عنهم أجمعين .. فمن بابِ أَولَى أن يشتدَّ الالتزامُ بهذا الحكمِ الشَّرعي المنزَّل في بلدانٍ ومجتمعَاتٍ تَشيعُ فيها الفواحِشُ والمنكرَات، ويكثرُ فيها الفسَّاقُ والفجَّارُ، والتَّعرضُ

والتحرشُ بالنِّساءِ .. بل كثير من المجتمعاتِ والعواصِم الغربيَّة وغيرُها لا تكاد تجد امرأةً تَسلم من التَّحرش والأذَى .. ففي إحدَى الاستطلاعات الموثَّقة تَذكر أن نصفَ النساءِ العامِلات في بريطانيا قد تَعرَّضْن للتحرشِ والأذَى .. ويُقَال أيضاً: مَن الذي يَعرف طبَائعَ وأخلاقَ الناسِ، وما يناسبهم، والأذَى الذي يمكنُ أن يصدرُ منهم، أو يتعرَّضُوا له .. والظروف التي تحملُهم على الأذَى .. ومَن الذي يعرف مَا يناسِبُ المرأةَ، وما لا يُناسبها .. ليُقرِّر فِيما بعد أن هذه المدينَةِ أو هذا المجتمع، أو هذا الزَّمان يحصلُ فيه أذَى دُون غَيره مِن المجتمعات، والأزمنةِ .. اللهُ أم الإنسانُ .. أم النَّسَويَّات المتمَرِّدَات والمتنمِّرَات على الحجابِ، وعلى حدُودِ الله؟!

* * * * *

وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا

70- [وَقَالُوا]؛ الجنُودُ .. العَوَامُّ .. التَّبَعُ .. يومَ يرونَ الحِساب عينَ اليَقِين، [رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءنَا]؛ أَطَعْنَا قَادَتَنا مِن المُلُوكِ، والرؤسَاءِ، والأمراءِ، والأحْبَارِ، والرُّهْبَانِ .. أَطَعْناهُم في تَكذِيبِ الأنبياءِ والرُّسُلِ .. أَطعنَاهُم في الشِّرْكِ، وعِبادة المخْلوقِ .. في تحليلِ الحرَامِ، وتحريمِ الحَلالِ .. وفي تحْسِينِ القَبِيحِ، وتَقْبيحِ الحسَنِ .. وفي إحْقَاقِ البَاطِلِ، وإبطالِ الحَقِّ .. وفي نصرَةِ الظَّالِمِ على المظلُومِ .. أطعنَاهُم لِذَواتِهم فِيمَا يأمرونَنَا به، وينهونَنا عَنه؛ مِن دونِ أن ننظُرَ أينَ هُم مِن الحقِّ فِيمَا يأمرُون، وفِيمَا يَنهون .. [فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا]الأحزاب:67. فأضلُّونَا ـ بسَببِ طاعَتِنَا لهم تِلكَ الطَّاعَةِ العَمياء البَاطلَةِ ـ طَريقَ الحقِّ والهِدايَةِ؛ فلم نَهتَدِ إليه .. إنَّه الإقْرَارُ المتأخِّرُ الذي لا يَنفَعهُم في شَيءٍ .. ولا يَزِيدُهم إلَّا حَسْرَةً ونَدَامَةً!

* * * * *

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً

71- [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً]الأحزاب:70. قَوْلاً موافِقَاً للكتابِ، والسُّنَّةِ .. فمَا وافَقَ الكتابَ والسُّنَّةَ فهو الكلامُ السَّدِيدُ، ومَا خالَفَهمَا فهو قَولٌ غَيرُ سَدِيدٍ.

* * * * *

اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْراً وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ

72- [اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْراً]؛ الشُّكْرُ كما يكونُ بالقَولِ، يكونُ بالعمَلِ، ومِن جِنْسِ النِّعمَةِ؛ فمَن رُزِقَ المالَ كانَ شُكرُهُ بإخراجِ الزَّكاةِ، وبَذلِه على الفُقراءِ، وذَوِي الحَاجَةِ .. ومن رُزِقَ العِلمَ كانَ شُكرُهُ ببذلِه للنَّاسِ، وعدَمِ كُتمانِه .. ومن رُزِقَ القُوَّةَ كان شُكرُهَا بالأمْرِ بالمعرُوفِ والنَّهيِ عن المنكَرِ، وإنْصافِ المظلومِ مِن ظَالِمِه، والضَّربِ في الأرضِ وفْقَ طاعَةِ اللهِ .. كذلك شُكْرُ نِعْمَةِ العَينِ والبصَرِ، يكونُ بغضِّ البَصرِ عن المحرَّماتِ، وبالنَّظَرِ في آياتِ الله .. وشُكر السَّمْعِ يكونُ بالاستماعِ إلى القُرآنِ الكريمِ، ومواعظِ ودرُوسِ العلماء، وكل ما هو نافعٌ، وبإكْرَامِه عن سَماعِ الحرَامِ .. وشكر اللِّسانِ، يكونُ بِذِكْرِ اللهِ تعالى، والصَّدْعِ بالحَقِّ، وقولِ الصِّدقِ، وبإكرامِهِ عن الكَذِبِ، والزُّورِ، والنَّميمَةِ، والغِيبةِ .. وشُكْرُ القَلبِ أن يكونَ عَامِراً بحبِّ اللهِ تعالى وذِكْرِه، وأن لا يَنطَوِي على اعتقادٍ فاسِدٍ، أو نيَّةٍ باطِلَةٍ ضَارَّةٍ .. وهكذا كُلُّ نِعمةٍ ـ ومَا أكثَرُ نِعَمِ اللهِ علينا ـ يكُونُ شُكرُهَا مِن جِنْسِها، [وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ]سبأ:13. مَن يجمَع بين شُكْرِ القَولِ، وشُكْرِ العَمَلِ.

* * * * *

وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ

73- [وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ]سبأ:13. كثيرٌ هم الذين إذا أنْعمَ اللهُ عليهم نِعْمةً، تَطلَّعُوا إلى غيرِهَا، قبل أنْ يَشْكرُوها، ومِن دُونِ أن يَشْكرُوها .. وكأنَّها لم تَكُنْ .. وهكذا هم في تَطلُّعٍ مُستَمِرٍّ إلى تَحصِيلِ مَزيدٍ مِن النِّعَمِ، مِن دُونِ أنْ يَشْكرُوا مَا لَدَيهم مِنَ النِّعَمِ .. إلى أنْ يَفْجَأهُم الموت .. ولا يَمْلأُ بَطْنَ ابنِ آدَمَ إلَّا التُّرابُ!

74- [وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ]سبأ:13. الّذين يَشْكُرُونَ المخلُوقَ والخالِقَ.

* * * * *

قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ

75- [قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ]؛ كيفَ تَعبدُون غيرَ اللهِ، وتتوجَّهون إلى هذا الغيرِ بالدُّعاءِ لقضَاءِ الحوائجِ، وصَرفِ المصَائبِ، وهو لا يملكُ على الحقيقَةِ شيئاً في الأرضِ، ولا في هذا الكون الفَسيح، وما يملِكُه؛ فهي ملكيَّةٌ صوريَّة؛ سُرعَان ما تخرجُ عنه، ويخرجُ عنها، إلى غيرِه .. ومحاولاتِكم في دعائِهم التي لم تتوقَّف؛ هل نفعوكم شَيئاً أو أجابُوكم إلى شيءٍ ممَّا تَسألونَهم إيَّاه؟! وكيفَ يجيبُونكم إلى ما تَسألونَهم إيَّاه وهم لا يَملِكُون شَيئاً، ولا مِثقَالَ ذرَّةٍ، ففاقِدُ الشيءِ لَا يُعطِيه؟! [وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ]؛ وهم ليسُوا شُركاءَ للهِ في الخلْقِ، ولا في المُلْكِ، ولا في العِبادَةِ؛ فمن لا يخلقُ، ولا يملِكُ، لا يحقُّ له أن يُعبَد، [وَمَا لَهُ]؛ للهِ سُبحانه [مِنْهُم]؛ من هؤلاءِ الشُّركاءِ الذين تَعبدُونهم وتَدعونَهم مِن دونِ الله، [مِّن ظَهِيرٍ]سبأ:22. مِن مُعِين، يُعينه في شيءٍ مِن شُؤونه، أو على خَلقِ شيءٍ من خلقِه؛ لكمالِ قُدرتِه، وعِلمِه، وغِناه .. فهو سُبحانه أغنَى الأغنيَاء عن الشِّركِ، والشَّرِيك.

* * * * *

حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ

76- [حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ]سبأ:23. لا يَزالُ الناسُ مِن غيرِ المسلمين مختلفِين فِيما بينَهم .. مَن الجهةِ المخوَّلَةِ التي يحقُّ لها أن تحكمَ على الشيءِ بأنَّهُ حَقٌّ أو باطِلٌ .. مَن له الحقُّ في تحدِيدِ الحقِّ والباطِلِ

.. الخيرِ والشَّرِّ .. وأن يحكمَ على الأشياءِ، فيقول: هذا حَقٌّ فاتَّبعُوه، وهذا باطِلٌ فاجتنِبُوه .. هذا خَيرٌ، وهذا شَرٌّ .. ويكونُ حُكمُه نَافِذاً ومُلزِماً للجميع؟

وللجوابِ عمّا اختلفُوا فيه، يُقال لهم: الذي له الحقُّ في أن يحكمَ على الشيءِ بأنَّه حَقٌّ أو باطلٌ .. ثم يكونُ حُكمه نافِذَاً ومُلزِماً للجميع، هو الذي يتصفُ بجميع صفاتِ الكمالِ، والجمالِ، التي لا يعتريها النَّقصُ، أو الضعف مِن جانبٍ من الجوَانبِ .. الغنيُّ بذاتِه عن غيرِه .. ومَا سِواه فقيرٌ إليه .. وهذَا غير متَحقّق إلا باللهِ الواحِد الأحَد، الذي له الأسماءُ الحُسنَى والصِّفاتُ العُلْيَا .. فاللهُ تعالى هو الحقُّ، لا يقولُ إلا حَقَّاً .. ولا يَصدرُ عنه إلا حَقاً .. وما سواهُ فهو مخلوقٌ ضَعيفٌ، جاهلٌ، فقيرٌ إلى غيرِه في جميع أحوالِه .. ومَن كان جاهِلاً، ضَعيفاً، فَقيراً .. صِفاتُ النَّقصِ تُحيطُ به من كلِّ حدَبٍ وصَوب .. لا يحقُّ له أن يحكمَ على الأشياءِ، فيُحدّد مَن مِنها حقٌّ، ومَن منها باطِلٌ .. ولو فعَلَ، فسوفَ يُخطئُ، ويَظلمُ مَن تحتَهُ، ومَن يتَّبعُه .. ولمَّا تجرَّأ الإنسانُ الضعيفُ الجاهِلُ - في جميع العُصُور، وجميع الأنظمةِ الوضعيَّةِ على اختلافِ صوَرِها - على أن يتصدَّرَ هذا الحق لنفسِه مِن دونِ الله تعالى .. وجَدْناه يَتعثَّر، ويُخطِئ، ويَظلمُ .. وما يقولُ عنه اليومَ بأنه حقٌّ، غداً يقولُ عنه باطِلاً، وما يقولُ عنه باطلاً، يقولُ عنه غداً حَقاً .. وما يحلِّلُه اليومَ يحرِّمُه غَداً، وما يحرِّمهُ اليومَ يحلهُ غَداً .. وما يُحَسِّنُه اليومَ، يُقبِّحه غَداً، ومَا يُقبحُه اليومَ، يحسنُه غَداً .. والناسُ بالنسبةِ له، ولأحكامِه وتشريعاتِه لا يَعدُون أن يكونُوا حَقلَ تجارب .. وما ذلك إلا لأنه ضعيفٌ، وعاجزٌ، وجاهلٌ .. لا يحيطُ بكلِّ شيءٍ عِلماً .. ومهمَا أوتي من العِلم، يبقَى جاهِلاً في أمورٍ كثيرةٍ، وهو قياساً إلى عِلمِ اللهِ تعالى لا شيء!

فإن قِيل: كيفَ لنا أن نعلمَ بحكمِ اللهِ على الأشياء ...؟!

أقول: لا سبيلَ إلى ذلك إلَّا عن طريقِ مُتابعَةِ الرُّسُل، وتَصديقِهم، الرُّسلُ الذين أرسلَهم اللهُ تعالى للناسِ، وأوجَبَ على الناسِ طاعتَهم، ومُتابعتَهم، وتَصديقَهم فِيما يُوحَى إليهم من ربِّهم سُبحانه وتعالى .. [قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ]؛ ماذا أوحَى اللهُ تعالى إلى أنبيائِه ورسُلِه، [قَالُوا الْحَقَّ]؛ فجميعُ ما أوحاه اللهُ تعالى إلى أنبيائِه ورسُلِه هو الحقُّ، لا يخرجُ عن معنى الحقِّ المطْلَقِ .. وما سواهُ فهو الباطِلُ .. هذا هو السَّبيلُ، لا سبيلَ آخَر غيره، غير سَبيلِ الضَّلالِ، والكُفْرِ، والضَّياعِ!

* * * * *

وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً

77- [وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ]؛ لمْ نرسلْكَ يا محمَّد إلى قومٍ دونَ قَومٍ، أو أمَّةٍ دُونَ أُمَّةٍ، أو إلى جِنْسٍ دُونَ جِنْسٍ، أو لونٍ دُونَ لوْنٍ .. وإنما أرسلناكَ للناسِ أجمَعين في زمَانِك وإلى يومِ القِيامَةِ؛ عُربهم وأعجَمهم، أبيضهم، وأحمرهم، وأسودهم، لا يُستَثْنَى أحَدٌ مِنهم، [بَشِيراً]؛ لمن أطاعَك، وآمَن بكَ، واتَّبعَكَ، بالفوزِ، والجنَّةِ، [وَنَذِيراً]؛ لمن عصَاكَ، ولمْ يؤمِنْ بكَ، ولمْ يتبعْكَ بالخسرَانِ، والعَذابِ الأليم في نارِ جهنَّم، [وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ]؛ هم الكُفَّار المعانِدُون، جميعُ الكفَّارِ، في زَمنِ النبيِّ صلى الله عليه وسلم، وإلى يومِ القِيامَةِ، [لَا يَعْلَمُونَ]سبأ:28. هذه الحقِيقَة، ولا يُؤمنون بِها!

* * * * *

هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ

78- [وَقَالَ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا]؛ الأتْبَاعُ .. يَقُولون يومَ القِيامةِ .. يَومَ تتكَشَّفُ الحقَائقُ، وتتهاوَى فيه النَّيَاشِينُ، والأوْسِمَةُ، والألْقَابُ، ويكونُ الحكمُ فيه كله لله، [لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا]؛ للمتَعَالين عن الحَقِّ، والمستخَفِّين بالخلْقِ، من المتبُوعِين المُطاعِين مِن الأسْيادِ،

والزُّعَماءِ، والحُكَّامِ، [بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ]؛ كان مَكْرُكُم وخِداعكُم لنا متواصِلاً، على مَدَارِ الوقتِ؛ مَكْرُ الليلِ موصُولٌ بمَكْرِ النَّهارِ، ومَكْرُ النَّهارِ موصُولٌ بمَكرِ الليلِ، لم تُعْطُونا فُرصةً للتأمُّلِ، والتَّفكُّرِ، والتَّحررِ من ضغْطِكُم ومكْرِكُم، لننظرَ أين نحنُ من الحَقِّ، [إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَن نَّكْفُرَ بِاللهِ]؛ هذا المكرُ المتواصِلُ مَهما تَعَدَّدت وسَائِلُه، وغايَاتُه ـ وما أكثرها ـ إلا أنَّها جميعها كانت تَصبُّ في غَايةٍ واحدةٍ؛ وهي أن نكفرَ باللهِ العظيم، [وَنَجْعَلَ لَهُ أَندَاداً]؛ ونَجعلَ له شُركاءَ، نعبدُهم ونُطِيعُهم من دُونِ الله .. وهم في هذا التَّحاور والتَّلاومِ، [وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ]؛ الأتباعُ والمتبُوعِين، الرؤساءُ والمرؤوسِين سَواء .. يُسِرُّون النَّدامَةَ في أنْفُسِهم .. ولاتَ حِينَ مَنْدم .. ندم تنتفي معه الفرصَةُ للمراجعَةِ، والتَّوبةِ، والاسْتدراكِ .. ما أشَدَّه من نَدَمٍ .. ومَا أشدَّها على النفسِ مِن حَسْرَةٍ .. وعلموا أن هذا التَّلاوم والتراجعَ في القولِ بين الأتْباعِ والمتبوعِين لم يعد ينفعهم في شيء .. ولو فعلوا شيئاً منه في الحياةِ الدُّنيا؛ لربما قد نفَعَهُم الشيءَ الكثير، وأنقذهم من هذا الموقِفِ العَصِيب .. فليس أمامهم من خيارٍ إلا العَذَاب:[لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ]؛ لَمَّا تستشرفُ لهم نارُ جهنم بلهيبِها وألسِنَتِها، [وَجَعَلْنَا الْأَغْلَالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا]؛ مِن الفَريقَين: الأتباعُ والمتبوعِين .. الأغلال الثقال في أعناقهم وهم يساقون إلى النارِ، وهم في النَّار، ليتابعوا تحاورهم، وتلاومهم في النار، والأغْلالُ في أعناقِهم .. [هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ]سبأ:33. يعملون من الكفرِ والشركِ والظُّلمِ .. فاللهُ تَعالى مُنَزَّه عن الظُّلمِ .. ولكنَّ المشركين ـ بشركِهم وكُفْرِهم، وإعراضِهم ـ كانوا أنفسَهم يَظْلِمون!

* * * * *

وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالاً وَأَوْلَاداً وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ

79- [وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالاً وَأَوْلَاداً وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ]سبأ:35. أكثرُ ممَّا يَعتدُّ به أهلُ الباطِلِ على باطِلِهم، وأنهم على حقٍّ؛ أنهم الأكثرُ عَدَداً، والأكثرُ جمعاً ومَالاً .. ويَعتبرُون ذلك علامةً، ودَليلاً على أنهم على حقٍّ، وأن اللهَ تعالى يحبُّهم، ولن يَعذِّبهم يومَ القِيامَة .. وهذا اعتقادٌ باطلٌ يَردُّه القرآنُ الكريم في كثيرٍ من الآياتِ التي تُبين أن الحقَّ لا يُعرَف بالكثرَةِ أو القلَّةِ، ولا بكثرةِ ما يجمعُون من حُطَام الدُّنيا .. وإنما يُعرَف بموافقةِ ومتابَعةِ الشَّرعِ المنزَّلِ، لَا غَير.

* * * * *

قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُم بِوَاحِدَةٍ

80- [قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُم بِوَاحِدَةٍ]؛ بنصيحةٍ واحدةٍ، والنصيحةُ هنا هي لغيرِ المسلمين، وهي [أَن تَقُومُوا لِلَّهِ]؛ لأجلِ اللهِ، والإيمانِ به، ولكي تَتعرَّفُوا على الحقيقةِ كما هي من عندِ الله، [مَثْنَى وَفُرَادَى]؛ لأنَّ ما زادَ عن هذا العدَدِ مدعاةٌ للرِّياءِ، والصَّخَبِ، والجِدَالِ، واختِلاطِ الأصواتِ والأفكارِ، وتَأثِير التَّفْكِير الجَمْعِي على تَفْكِيرِ وقَرَارَاتِ الفَرْدِ .. وهذا كله يكونُ على حسَابِ التَّفكيرِ السديدِ الهادِئِ واستِقْلَاليَّته، الذي يُوصِلُ صَاحِبَه إلى الحقِيقَةِ، وإلى بَرِّ الأَمَانِ، [ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا]؛ بعقُولِكُم .. متجرِّدين للحقيقَةِ، وللحقيقةِ وحَسْب .. بَعِيداً عن الأَهْواءِ، والعَصبيَّاتِ، والتَّحزباتِ، والأحكامِ السابقَةِ التي قد تُحيلُ بينكم وبين الحقِّ، [مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ]؛ تتفكَّرَوا بحقيقةِ وصِفاتِ محمدٍ صلى الله عليه وسلم .. فستجدونَه صادِقاً، أميناً، عَاقِلاً .. قد اجتمعَت فيه أنبلُ وأكملُ وأعظمُ صِفاتِ الإنسانيَّةِ .. وأنَّه على خُلُقٍ عَظِيمٍ .. وأنه ليسَ بمجنونٍ كما يشيعُ الكفارُ المغرضُون الحاقِدُون .. وهذا يَستَدْعي منكم أن تؤمِنُوا به، وأن توقِّرُوه، وتصدِّقُوه

فيمَا يخبركُم به عن اللهِ تعالى .. وفِيما جاءكُم به مِن عندِ اللهِ .. لا أن تَكْفرُوا به .. فإن أبيتم وأعرضتم، وآثرتم الكفرَ، فاعلمُوا أن محمداً صلى الله عليه وسلم [إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ]سبأ:46. وفي الحديثِ فقد صحَّ عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال:" والذي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بيَدِهِ، لا يَسْمَعُ بي أحَدٌ مِن هذِه الأُمَّةِ يَهُودِيٌّ، ولا نَصْرانِيٌّ، ثُمَّ يَمُوتُ ولَمْ يُؤْمِنْ بالَّذِي أُرْسِلْتُ به، إلَّا كانَ مِن أصْحابِ النَّارِ "مسلم. لأن السؤالَ الكبيرَ الذي يُلاحِقُهم، ويُريدُ منهم جواباً؛ كيف تَسمعون بالنبيِّ محمدٍ صلى الله عليه وسلم، وبصفاتِه النبيلةِ الراقيةِ التي اجتمعَ فيها الكمالُ البَشري، وتحقَّقت فيه أعظمُ الأخلاقِ وأرفَعُها وأرقَاها .. ثم بعد كل ذلك لا تُصدِّقُونه، ولا تُؤمنُون به أنه رسولُ اللهِ .. وأنه صادقٌ فِيما جاء بهِ من عندِ ربِّه ..؟!

81- [قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُم بِوَاحِدَةٍ أَن تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ]سبأ:46. في هذهِ الآيةِ الكريمةِ دَعوةٌ لجميعِ الناسِ؛ مؤمنِهم وكافِرِهم؛ أن يُعْمِلُوا عقُولَهُم، ويُطيلُوا التَّفكُّرَ في صِفاتِ، وسِيرةِ، وحياةِ، وأخلاقِ النبيِّ محمدٍ صلى الله عليه وسلم .. فالمؤمنُ يَزدادُ بهذَا التفكُّرِ إيماناً ويقيناً .. والكافرُ يكونُ له سبَبَ هدايةٍ ورشَادٍ .. فأعظمُ وسيلةٍ تُعينُ الكافرَ على الإيمانِ باللهِ تعالى، والدخولِ في دينِه الإسلام، بعدَ القُرآنِ الكريم .. أن يتفكَّرَ بسيرةِ النبي صلى الله عليه وسلم، وبأخلاقِه العظيمَةِ .. ولو فعلَ بتجرُّدٍ آمنَ وأسلمَ لا محالةَ بإذنِ الله تعالى .. ولا يَصدنَّهُ من أن يفعلَ ذلك ما يَراهُ مِن أخلاقٍ غيرِ جيدَةٍ منفِّرَةٍ مِن قِبَلِ بعضِ المسلمين؛ لأن القضيَّةَ تتعلّق بمصيرِه بعدَ الموت .. والحقُّ لا يُعرَفُ بالرِّجَالِ، وما عليه النَّاسُ، وإنما الرِّجالُ يُعرَفُونَ بالحقِّ.

* * * * *

وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ

82- [وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ]سبأ:54. لَمَّا رَأَوا العَذَابَ، تَعَالى الحسَرَات والآهَات؛ ويَتمَنَّونَ لو تُتاح لهم فرصةٌ جديدةٌ للتَّوبَةِ، والإيمانِ .. وأنَّى لهم ذلك؛ في يومٍ لا يَنفعُ فيه النَّدَمُ، ولا التَّلاومُ، ولا مجالَ فيه لاسْتِئنافِ العمَلِ، ولا فِدَاء!

* * * * *

مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا

83- [مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِن بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ]فاطر:2. لو اجتمعَت الأنسُ والجِنُّ، وكان بعضُهم لبعضٍ ظهْرِيًّاً .. ليمنعُوا خَيراً أرادَه اللهُ لإنسانٍ، أو لفريقٍ مِن النَّاس .. لَا يَقدرُون على مَنْعِه .. فخيرُ اللهِ يَصلُ، ويُصيبُ مَن يَشاءُ له أن يُصيبَه .. وإذَا أرَادَ أن يُمسِكَ خَيراً عن إنسانٍ، أو فريقٍ مِن الناسِ .. فلو اجتمعَ الأنسُ والجنُّ، وكانَ بعضُهم لبعضٍ ظِهْرِيًّاً على أن يُرسلُوه، ويُوصلُوه، لما استَطاعُوا إلى ذلك سَبيلاً، [وَهُوَ الْعَزِيزُ]؛ فإرادَةُ اللهِ هي الغالبَةُ، وهي النَّافِذَة، لَا رَادَّ لأمرِ اللهِ، ولا غَالِبَ إلا اللهُ، [الْحَكِيمُ]؛ الذي يَضعُ الخيرَ في المكَانِ والزمانِ المنَاسِبَين، ويمنَعُه عن المكانِ والزَّمانِ المناسِبَين .. وهذا مَعنَى قَد وردَ في حديثٍ نبويٍّ عظيم، قال صلى الله عليه وسلم لابنِ عبَّاسٍ، وكانَ غُلامَاً:" يا غُلامُ إنِّي أعلِّمُكَ كلماتٍ، احفَظِ اللَّهَ يحفَظكَ، احفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تجاهَكَ، إذا سأَلتَ فاسأَلِ اللَّهَ، وإذا استعَنتَ فاستَعِن باللَّهِ، واعلَم أنَّ الأمَّةَ لو اجتَمعت ـ وفي رواية: لَو أنَّ الخلقَ كُلَّهُم جميعًا أَرادُوا ـ أن ينفَعوكَ بشَيءٍ لم يَنفعوكَ إلَّا بشيءٍ قد كتبَهُ اللَّهُ لَكَ، ولو اجتَمَعُوا على أن يَضرُّوكَ بشَيءٍ لم يَضرُّوكَ إلَّا بشيءٍ قد كتبَهُ اللَّهُ عليكَ، رُفِعَتِ الأقلامُ وجَفَّتِ الصُّحفُ ". وهذا يَستدْعِي مِنكَ يا عبدَ اللهِ أن لا تخشَى إلَّا اللهَ .. وأن لا تَسألَ إلّا اللهَ .. وأن لا يتعلق قلبُكَ إلا بالله.

* * * * *

إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوّاً

84- [إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوّاً إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ]فاطر:6. قد يأتيكُم الشيطانُ مكتَسياً ثوبَ الحقِّ، وثوبَ الناصِحِ، والمشفِقِ، والمحبِّ .. وهو في كلِّ ذلك كاذِبٌ مخادِعٌ .. فاحذَرُوه ولا تُصدِّقُوه .. فهو عدوٌّ لكم يريدُ بكم الشرَّ، والضَّررَ، والهلَاك .. وحتى تنجُوا مِن كيدِه ومكرِه فاتخذُوه عدوّاً؛ ناصِبُوه العدَاءَ، ولَا تُسالموه لحظةً واحِدَةً .. وعدَاوتُكم له تكمُنَ في معصيتِه، وأن لا تُصغُوا إليه، ولا تُطيعُوه في شيءٍ يأمركُم به .. وأن تطيعُوا اللهَ ورسولَه صلى الله عليه وسلم .. أمَّا مَن اقتصرَت عداوتُه للشيطانِ على لعنِه فقط، مع طاعتِه لَه .. فهذَا لم يتخذْهُ عَدوّاً، [إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ]؛ وهذا حافزٌ آخَر لكي تتخذُوه عدوّاً؛ فهو مهمَا زَيَّنَ لكم أنَّه يدعوكُم إلى الجنَّةِ، والنَّجاةِ، والسَّعادَة .. فهو كاذِبٌ، مخَادِع .. إنما يدعُو حزبَه لأن يكونُوا من أهلِ نارِ جهنَّم .. وحزبُه هم جميعُ الذين أطاعُوه وعبَدُوه من الكافِرين والمشركِين على اختلافِ مللِهم، ومُسمياتِهم، وانتماءاتِهم!

* * * * *

إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ

85- [إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ]؛ إليهِ يَصعدُ ذِكْرُ اللهِ، ومَا وَالاهُ مِن الأَمْرِ بالمعرُوفِ، والنَّهي عنِ المنْكَرِ، [وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ]فاطر:10. يَقبَلُه، وحَتَّى يكونَ العمَلُ صَالحاً ومَقْبُولاً لَا بُدَّ له مِن شَرطَين: الموافَقَةُ والمتَابَعَةُ للسُنَّةِ، والإخْلاصُ.

* * * * *

مَن كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعاً

86- [مَن كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعاً]فاطر:10. لم يَترُك اللهُ لغَيرِه شَيئاً مِنَ العِزَّةِ، فتُطْلَب مِنه .. وإنَّما جعَل العِزَّةَ كُلَّها خَالِصَةً له وَحْدَه مِن دُونِ أحَدٍ مِن خَلْقِه .. ومَن أرَادَ العِزَّةَ أو شَيئاً مِنهَا، فليَطْلُبها ممَّن يَملِكُها وليسَ ممَّن يَفْقِدُها!

* * * * *

يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاء إِلَى اللَّهِ

87- [يَا أَيُّهَا النَّاسُ]؛ كلُّ الناسِ؛ الملوكُ والأمراءُ، الحكَّامُ والمحكومُون، الرؤساءُ والمرؤوسُون، الأغنياءُ والفُقراءُ، [أَنتُمُ الْفُقَرَاء إِلَى اللَّهِ]؛ أنتم جميعُكم على مَدارِ الوقتِ، وفي جميعِ أحوالِكُم وتقلباتِكم بحاجةٍ ماسَّةٍ إلى اللهِ، لَا غِنَى لكم عن اللهِ طرفَةَ عَين .. اعبدُوه ووحِّدُوه .. وسَلُوه مِن فضلِه يُؤْتِكُم، ويَزِدْكُم .. لا تحملنَّكم السَّلامَةُ في وقتٍ من الأوقاتِ، أو الغِنَى في جانبٍ من جوانِبِ الحياةِ على الظلمِ والطغيانِ .. وعلى نسيانِ هذه الحقيقَةِ؛ وهي أنَّكم فقراءُ إلى اللهِ .. وأنَّ مَا أصابَكُم مِن خَيرٍ فهو مِن اللهِ، [وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ]؛ عنكم، وعنِ الخلْقِ أجمعين؛ لكمالِ غِناه، وكمالِ أسمائِه الحُسنى، وصِفاتِه العُلْيا .. ومَا تقدِّمُوه مِن خَيرٍ، تُقدِّمُوه لأنفسِكُم، [الْحَمِيدُ]فاطر:15. وهو سُبحانه المحمُودُ دَائماً وأبَداً على أفعالِه، وصِفَاتِه، وعطَائِه، ونِعَمِه التي لا تُحصَى.

88- [يَا أَيُّهَا النَّاسُ]؛ كلُّ الناسِ؛ مؤمنهم، وكافرهم، مِن دونِ استثناءٍ لأحَدٍ منهم، [أَنتُمُ الْفُقَرَاء إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ]فاطر:15. مهما كان الإنسانُ قوياً، وغنياً .. فهو قياساً إلى قوَّةِ، ومُلْكِ، وغِنَى الله .. ضعيفٌ، وفقيرٌ .. بَل ولَا شَيء .. وما هو فيه مِن فضلٍ وغِنى فمِنَ الله .. ومَن كان كذلك حريٌّ به أن يتواضَعَ، وأن لا

يحمله غناه على الكِبرِ، والظُّلمِ، والتَّعَالي على الخلقِ .. وأنْ يشكرَ اللهَ، وأن يردَّ الفضلَ إليه، وأن يَسأله سُبحانه مَزيداً مِن فَضلِه.

* * * * *

وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ

89- [وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى]؛ الكافرُ المشرِكُ، [وَالْبَصِيرُ] المؤمنُ الموحِّدُ، [وَلَا الظُّلُمَاتُ]؛ ظُلمات الكُفْرِ والشِّركِ، [وَلَا النُّورُ]فاطر:19-20. نورُ الإيمانِ والتَّوحِيدِ .. لا يَستويَان مَثَلاً .. ولَا مكانَةً ومَرتبَةً، ولا جَزَاءً.

* * * * *

وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ

90- [وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ]فاطر:22. هذا مَثَلٌ ضُرِبَ للكفَّارِ الأحيَاءِ المعَانِدِين، المعرِضِين؛ فمثَلُهم مَثَلُ الأمواتِ في القُبُورِ، فكما أنَّكَ لا تُسْمعُ مَن في القُبُورِ، سماعاً يَستفيدُون منه، كذلك لا تَستطيعُ أن تُسْمعَ أحيَاءَ الكفَّارِ المعانِدِين، سَماعاً يَستفيدُون مِنه لآخِرَتِهم، ودُنيَاهُم.

* * * * *

إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاء

91- [إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاء]فاطر:28. العالِمُ مَن جمعَ بين العِلمِ، والعمَلِ، واليَقينِ، والخشيَةِ .. وميدانُ التَّنافُسِ والسِّباق فيما بين العُلماءِ يكونُ في العَمَلِ،

واليقينِ، والخشْيةِ، والإخْلاصِ .. وعلى قَدْرِ الخَشيةِ يكونُ العِلمُ، وعلى قَدْر العِلمِ تكونُ الخشْيَةُ، ومَن لا خَشْيَةَ له، لا عِلمَ له، فكل منهما لازِمٌ ومَلْزُومٌ للآخَر.

92- [إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاء]فاطر:28. مَفْهُوم المخَالَفَةِ؛ مَن كانَ جَرِيئاً على الظُّلمِ، والحرَامِ، لا يخْشَى اللهَ .. ليسَ مِن العُلماءِ؛ مَهمَا اتسَعَ صِيتُه، وكَثُرَ تحصِيلُه.

* * * * *

وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ

93- [وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ]؛ المؤمنُ يَعيشُ الحزَنَ طِيلَةَ حيَاتِه، لا يُفارقُه، فهو في حَزَنٍ دائمٍ؛ ليسَ على الدُّنيَا .. لَا .. وإنما الحزَنُ والإشفَاقُ على نفسِه مِن تَقصِيرها في الطَّاعَات، وفيما يجبُ للهِ مِن حَقٍّ .. والخوفُ مِن أن يَفوتَه رِضَا اللهِ، ونَعيمُ الآخِرَةِ .. فلَا يُزَكِّي نفسَه على اللهِ، ولا يمُنُّ على اللهِ حسنَاتِه، ولا يَستكثِرُها .. فهو يَعملُ، ويخافُ أن لا يُقبَل عملُه، أو أن يحاسَب على تفريطِه وتَقصِيرِه .. مِن غَيرِ سُوءِ ظنٍّ باللهِ .. فالحزَنُ يَظلُّ مُلازماً له إلى أن تَطَأَ قدَمُه ـ بإذنِ ربِّه ـ أرضَ الجنَّةِ، وتُصبحَ جهنَّم خلفَ ظَهرِه .. هنالك وحَسْب يَذهَبُ عنه الحزَنُ، ويَنطفئ كُلِّيًّا، ويتَساقَطُ عن كاهِلِه، كأنَّه لم يَعرِفْه مِن قَبل، ولم يَشعُرْ به قَط .. فيحمد اللهَ، ويَشكره أن أذهبَ عنه الحزَنَ، والخوفَ، ثم يَقُول:[إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ]؛ للسيئاتِ، [شَكُورٌ]فاطر:34. للحسَنَات.

* * * * *

وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِن دَابَّةٍ

94- [وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِن دَابَّةٍ]؛ الحياةُ الدُّنيَا ليسَت دَارَ جزَاءٍ ولا حسَابٍ؛ بحيث أن كلَّ مَن أخطَأ حتْماً سيلْقَى عقَابَه في الدُّنيَا .. ولو كانَت دارَ جَزاءٍ وحسَابٍ ـ كما يَظنُّ البعضُ! ـ مَا تركَ اللهُ شَيئاً يَدبُّ على الأرضِ إلا وأخَذَه، بسببِ ذنُوبِ الناسِ ومعَاصِيهم .. وهذا لا يمنعُ أن يَأخذَ اللهُ بعضَ الكافرين والظَّالمِين في الحياةِ الدُّنيَا، ببعضِ ذنوبِهم ومعاصِيهم، بشيءٍ من العذابِ والعِقَابِ، كما أفادَت بذلك نُصُوصُ أخْرَى .. وليسَ بما يستحقونَه مِن العَذابِ والعِقَابِ، فهذا يُرجَأ إلى يومِ القِيامَةِ، [وَلَكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى]؛ يؤخّرُ حسابَهم إلى يومِ القِيامَةِ، [فَإِذَا جَاء أَجَلُهُمْ]؛ فإذا جاءَ يومُ القيامَةِ، وبُعِثَ الناسُ للحسابِ، هناك يكونُ استيفَاءُ كَامِلِ الجزَاء، [فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيراً]فاطر:45. كان اللهُ بَصيراً عليماً بعبادِه المؤمنِين، وبأعمالِهم الصَّالحةِ، فيُجازِيهم الجنَّة، وكان عالماً بالكافِرين الظَّالمين، وبأعمالِهم الطَّالحةِ، فيُجازِيهم نارَ جهنَّم.

* * * * *

* * * * *

وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ

95- [وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ]يس:12. تُكتَبُ الآثارُ كما تُكتَبُ الأعمالُ؛ تُكتَبُ الخُطَا إلى المساجِدِ، وتُكتَبُ آثارُها على الأرضِ .. ويُكتَبُ السجُودُ، وتُكتَب آثارُه .. وتُكتبُ الصَّدقةُ، وتُكتَبُ آثارُها الجارِية .. ويُكتَبُ جهادُ المجاهِد، وآثارُه التي ينتفعُ بها الناس مِن ورائِه، ومِن بعدِه، ولو استمرَّ ذلك لمئاتِ السِّنِين .. ويُكتَبُ العِلمُ، وطَلَبُ العِلمِ، ونشْرُ العِلمِ، وكلُّ مَن ينتفعُ به .. فالكتابُ النافعُ الذي يتوارثُه النَّاسُ، وينتفعُون به، أثَرٌ مِن آثارِ صَاحِبِه .. والكلمةُ الطيبةُ التي يتناقلها الناسُ، وينتفعُون بها أثرٌ من آثارِ صاحِبها .. ومَا يأتي مِن صلبِك من أبناءٍ، وأحفَادٍ هم من آثارِك .. والآثارُ تنفعُ صاحِبَها مَا بقيت في الأرضِ، شَاهِدة لك، يَنتفعُ بها الناسُ .. وما يُقالُ في الآثارِ النافعَةِ يُقالُ في الآثارِ الضَّارَّةِ، كلُّ شيءٍ يُكتَب .. فكما تُكتَبُ السُّنَّةُ الحسنَةُ، وآثارُها، تُكتَب السنَّةُ السَّيئةُ، وآثارُها .. فاجتهِدْ أن تكونَ آثارُك من بعدِك ممَّا تنتفعُ بها بعدَ موتِك، ويومَ يقومُ الناسُ للحسَابِ، وفي الحديثِ:" مَن سَنَّ في الإسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً، فَلَهُ أَجْرُهَا وَأَجْرُ مَن عَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ، مِن غيرِ أَنْ يَنْقُصَ مِن أُجُورِهِمْ شَيءٌ، وَمَن سَنَّ في الإسْلَامِ سُنَّةً سَيِّئَةً، كانَ عليه وِزْرُهَا وَوِزْرُ مَن عَمِلَ بِهَا مِن بَعْدِهِ، مِن غيرِ أَنْ يَنْقُصَ مِن أَوْزَارِهِمْ شَيءٌ "مسلم.

* * * * *

وَجَاء مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى

96- [وَجَاء مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ . اتَّبِعُوا مَن لَّا يَسْأَلُكُمْ أَجْراً وَهُم مُّهْتَدُونَ . وَمَا لِيَ لاَ أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ . أَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِ آلِهَةً إِن يُرِدْنِ الرَّحْمَن بِضُرٍّ لاَّ تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئاً وَلاَ يُنقِذُونِ . إِنِّي إِذاً لَّفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ . إِنِّي آمَنتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ . قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ . بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ]يس:20-27. هذه الآياتُ تحكي قصةَ رجل صالح ندبَ نفسَه لنصرة رُسلِ الله ودعوتهم .. تتكرر نماذجه في كثيرٍ من الأزمنةِ والأمصَار .. التي تُحارَبُ فيها دَعوةُ الأنبياءِ والرُّسُلِ، ويَسودُ فيها حكمُ الطواغيت الظالمين!

97- [وَجَاء مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ]؛ أي مِن أطرافِها .. ومِن أقصَى وأبعدِ بابٍ من أبوابِها .. قاصداً وسطَ المدينة ومركزها .. المكان الذي يجتمعُ فيه الملَأُ وأتباعُهم .. عند حصول أي أمر هامٍّ ينزلُ بساحتهم ومدينتهم، يَقتضي منهم الاجتماع.

98- [رَجُلٌ]؛ إنه الشهيدُ الحبيبُ بن مري .. وقِيل حبيبُ النَّجَّار .. فهو رجلٌ لكن لا كالرجال .. رجل فيه كل معاني الرجولة والشجاعةِ والصدقِ والإقدام .. لا يخشى في الله لومة لائم .. رجلٌ صَادِقٌ في لهجتِه ودعوته .. صادق مع نفْسِه، وعقيدتِه .. ومَا يَدعو إليه .. فباطنه كظاهِرِه، وظاهره كباطنِه .. لا يتخلَّفُ قوله عن فعلِه، ولا فعلُه عن قولِه .. كفر بالطواغِيت؛ كل الطواغيت التي تُعبَد من دُونِ الله .. اعتقاداً وقولاً وعملاً .. فترجم التوحيدَ في جهادِه وصدعه بالحقِّ أحسن ترجمة وبيان .. حملَ على عاتِقَيه همَّ أمته وقومِه؛ كيف يُغيثهم .. كيف ينقذهم من الهلاك .. كيف يحميهم من أذى وشرِّ الطواغيت .. ويخرجهم من ظلمات الكفر والشرك إلى نور وعدل الإيمان والإسلام .. ولو أدَّى ذلك به إلى القتلِ والاستشهادِ.

99- [يَسْعَى]؛ فهو لم يجئ ماشياً بل جاءَ سَاعياً يركضُ ويهرولُ بأقصَى ما أُوتِيَ من قوَّةٍ وعزيمةٍ وإرادة .. لأنَّ الأمرَ هامٌّ لا يحتملُ التأخيرَ، أو التريثَ .. أو الإبطاءَ .. وبالتالي لا بدَّ من أن يأتيه سَعياً قبل أن يقعَ المحظُور .. وخشية أن يفوتَه موقفٌ فيه نصرة للهِ ولرسُلِ الله .. وكان قومُه قد تواطَؤوا واجتمعُوا على قتلِ رُسُلِ الله .. ويَا لَه من حدَثٍ جلَلٍ .. وكونه قد جاءَ يَسعى؛ فهذا دليلٌ على أنه كان همَّاماً .. وأن هَمَّ أمته وقومه قد امتلأت به نفسه .. لذا فقد جاءَ يسعى .. وقِيل: أنه كان مريضاً، مُصاباً بالجذَامِ، فما أقعدَهُ المرضُ عن الحراك والسَّعي!

100- [يَسْعَى]؛ مِن أجلِ ماذا .. هل من أجلِ امرأةٍ ينكحُها أو دُنيا يُصيبها .. كما هو شَأنُ وحالُ الكثيرِ .. لَا؛ ليسَ شيئاً مِن ذلك؟! فهو جاءَ[يَسْعَى]؛ إلى أن توسَّط قومَه وهم مجتمعين .. ليقرِّرُوا موقفَهم من أنبياءِ اللهِ، ومِن دعوتِهم .. فشَقَّ جموعَهم وناداهم بأعلى صَوتِه .. ناصحاً ومُشفقاً .. نَذيراً وبشيراً .. وقبلَ أن يأخذَ قِسطاً مِن راحة أو يَلتقطَ أنفاسَه مِن أثرِ السَّعي .. وبثباتِ المؤمن الواثق بوعدِ ربِّه، فـ [قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ]؛ فيما يُبلِّغُون عن ربهم .. وآمِنوا بهم .. تُفلحوا .. مفهومُ الأمرِ باتباعِ المرسَلين يقتضي النَّهيَ عن كلِّ دِينٍ يُخالِفُ دينَ المرسَلين .. إذْ لَا يَصح ولا يُقبلُ مِن المرءِ أن يَتبعَ دينَ المرسلين ثم هو في نفسِ الوقتِ يتبعُ دينَ الطواغِيت .. وعبادةِ الأصنامِ والأوثانِ .. فلا يجتمعُ في قَلبِ امرِئٍ اتباعٌ وانقيادٌ لدِينِ اللهِ واتِّباعٍ وانقيادٍ لدينِ الطَّاغُوت .. والقولُ باجتماعِهما هو مِن قَبيلِ القولِ بالشيءِ وضِدِّه في آنٍ واحد .. [اتَّبِعُوا مَن لاَّ يَسْأَلُكُمْ أَجْراً]؛ فمن علامَات صِدقِ الرُّسُل أنَّهم لا يَسألونَكم أجْرَاً وعَطاءً على دعوتِهم وجهادِهم ونُصْحِهم، وتبليغِ الرِّسَالة .. فأجرُهم على اللهِ .. وإنما يَسألونَكُم فقط أن تَدخلُوا في دينِ الله تعالى، وفي عبادته وتوحيدِه .. وأن تكفرُوا بالأوثانِ والطواغيت،

ونتبرَّأوا مِن عبادَتِهم .. أمَّا مَن يقتَاتُ ويَستغني مِن وراءِ دعوتِه، وكلماتِه .. ويكونُ همُّه الأكبر مِن وراءِ دَعوتِه كيفَ يتلقَّى العطَايا والمنَح مِن الآخَرين، ولو على حِسابِ الحقِّ .. فهؤلاء حريٌّ بأن لا يُسمَع لهم، وأن يُتَّهمُوا في دينِهم ومروءتِهم، ويُسَاءُ بهم الظن .. والأنبياءُ والرسلُ ليسوا شَيئاً من ذلك حاشَاهُم .. لِذا فإنه لحريٌّ بكم بأن تُصغُوا إليهم وإلى دَعوتِهم، وتتبعُوهم!

101- [وَهُم مُّهْتَدُونَ]؛ وهم إضافة إلى ذلك كله فهم مهتدُون موفَّقُون إلى الحقِّ، صراط اللهِ المستقيم .. مهتدُون في أنفسِهم ودَعوتِهم وكلِّ أحوالِهم .. فلا هِداية ولا مَنجَاة لأحدٍ إلَّا باتباعِهم وطاعتِهم، فاهتَدُوا بهم وأطيعُوهم .. لأنه قد يعترضُ معترضٌ فيقُول: هناك مِن دُعاةِ الباطلِ مَن لا يَسألونَ الناسَ المالَ والعطَايا على دَعوتِهم .. فيأتي الردُّ الحاسمُ عليهم: ولكنهم غير مهتدِين .. فهم إذْ لا يَأخذُون أجراً ولا مالاً ـ وما أقلّ هذا الصنفِ في دعاةِ الشَّرِّ والباطلِ ـ فإنهم يَدعون إلى الفحشَاءِ والمنكرِ والبَغي .. وهذا بخلافِ ما عليه الأنبياءُ والرُّسُل، وأتباعهم من العلماءِ العاملِين؛ فهم إضافة إلى كونِهم لا يَسألُون الناسَ الأجرَ والمالَ، فهم مهتدُون، يَدعُون إلى الهُدَى والحقِّ .. وما إن أنهَى خطابَه الإيماني الآنف الذِّكرِ أعلاه .. إلا واعترضَهُ الملأُ مِن قومِه مُستفسِرين، ومستنكِرين، ومهدِّدين .. هل أنتَ على دِينِ الأنبياءِ والرسلِ .. هَل تركتَ دينَنَا؛ دِينُ الآباءِ والأجدَادِ، دينُ عبادَةِ الأوثانِ والأصنامِ، والطواغِيت؟!

102- فأجابهم:[وَمَا لِيَ لاَ أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي]؛ ومَا الذي يمنعُني مِن أن أُفردَ اللهَ تعالى وحدَه بالعبادةِ وهو الذي خلقَني، فأحْسَن خَلقي .. وتفضَّل عليَّ بالنِّعَم التي لا تُعدُّ ولا تُحصَى .. فمن لوازِم مُتطلبات النِّعم التي خصَّ اللهُ بها العباد، أن يخصَّهُ العبادُ بالشُّكرِ ويُفردُوه بالعبادَةِ .. ثم هل من آلهتِكم المزعومة وأوثانِكم وأصنامِكم من يستطيعُ أن

يخلقَ شيئاً .. وإذا كان لا يَستطيعُ أن يخلقَ شيئاً، وهو أعجزُ وأضعفُ من أن يخلقَ بعوضَةً .. فهل مَن يخلقُ كمَن لَا يخلقُ .. هل يَستويان مَثلاً ؟! [أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لاَّ يَخْلُقُ أَفَلا تَذَكَّرُونَ]النحل:17. وقال تعالى:[أَيُشْرِكُونَ مَا لاَ يَخْلُقُ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ]الأعراف:191.

103- [وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ]؛ ثم أنكم أيُّها المشركُون الضَّالُّون لراجعُون إلى اللهِ تعالى يومَ القِيامَةِ، ومحاسَبُون على ما كان مِنكم من اعتقادٍ وعمَلٍ .. يومَ يَقعُ النَّدمُ على التفريطِ، ولاتَ حِين مَنْدَم .. فانظُروا ماذا قدَّمتم لأنفُسِكُم؟!

104- [أَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِ]؛ أي مِن دونِ اللهِ تعالى، [آلِهَةً]؛ أتَأَلَّهَهم، وأخصُّهم بالعبادَةِ، والطاعةِ، والمحبَّة، والتَّحاكم مِن دُونِ الله .. وقَد تَبين أنَّهم عاجِزُون قاصِرُون لا يملكُون شيئاً، ولَا يَقدرُون أن يخلقُوا شَيئاً، ولا يَنفعون ولا يَضرُّون أحداً إلا إذا شاءَ اللهُ .. وهذا سؤالٌ توبيخي تَقريعِي استنكارِي؛ أي كيفَ تحملُونني على أن أعبدَ آلهةً وطواغيتَ مِن دُونِ اللهِ تعالى ضَعيفَةً عاجزةً؛ لا تخلُقَ، ولا تنفعُ ولا تضرُّ .. أليس لكم عقول تتفكَّرون بها، تردعكُم عن ذلك؟!

105- ومِن علاماتِ ضَعف، وعجزِ، وقُصورِ هذه الآلهة المزعُومة:[إِن يُرِدْنِ الرَّحْمَن بِضُرٍّ]؛ أي إن يصيبني اللهُ ببلاءٍ، كالمرضِ وغيره .. [لاَّ تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئاً]؛ أي لا تَنفعني شفَاعَتهم في شَيءٍ، لا في الدُّنيا ولا في الآخِرَةِ؛ لأنهم لا شفاعَةَ لهم أصْلاً .. فالشفاعةُ تكونُ يومَ القيامةِ لمن ارتضَى اللهُ وأذِنَ له بأن يشفَعَ، مِن الأنبياءِ والرسلِ والصدِّيقين والشُّهداء، وغيرهم من المؤمنين الموحِّدين .. ولمن شاء الله أن يُشفَعَ له. [وَلاَ يُنقِذُونِ]؛ أي كذلك فهم لا يَستطيعون أن ينقذُوني أو يخلّصوني مما أنا فيه

من البلاءِ والمرضِ، والعذابِ .. فهم أضعَفُ وأعجزُ مِن ذلك .. فهم لا يملكُون من الأمرِ شيئاً، فالأمرُ كله للهِ تعالى وحده .. فكاشفُ الضُّر هو اللهُ تعالى وحدَه .. فإن أرادَك بفضْلٍ وخيرٍ فلا رادَّ لفضلِه وقضائه:[وَإِن يَمْسَسْكَ اللّهُ بِضُرٍّ فَلاَ كَاشِفَ لَهُ إِلاَّ هُوَ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدُيرٌ]الأنعام:17. وقال تعالى:[وَإِن يَمْسَسْكَ اللّهُ بِضُرٍّ فَلاَ كَاشِفَ لَهُ إِلاَّ هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلاَ رَآدَّ لِفَضْلِهِ يُصَيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ]يونس:107. [وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ]الشعراء:80.

106- [إِنِّي إِذاً لَّفِي ضَلاَلٍ مُّبِينٍ]؛ أي إن أصغيتُ إليكم وأطعتكُم فيما تأمرونني به؛ من عبادةِ آلهتِكم وأوثانِكُم، وأصنامِكم، وطواغيتِكم .. من دونِ ـ أو معَ ـ اللهِ .. فإني يَقيناً على خَطأ بيِّنٍ ظاهِر، وأنا من الهالكِين الخاسِرين الذين ضَلُّوا الحقَّ، والصراطَ المستقيم.

107- فلما سمعَ الملأُ من قومِه هذه الإجابة الإيمانيَّة عمَّا قد سألُوه عنه .. ولمسوا منه صِدقَ لهجتِه، والجِدَّ فِيما يقول .. عاودُوا الكرَّة في تهديدِه وزَجرِه ونهيه، وبالغُوا في التَّهديدِ والوعيدِ، إن لم يعد عن دينِه، ويَدخل من جديدٍ في دينِهم؛ دينُ عبادةِ الأوثانِ والطواغِيت .. فما كان جوابُه إلا أن قالَ لهم بكلِّ ثباتٍ ويَقِين، وبملْءِ فِيه:[إِنِّي آمَنتُ بِرَبِّكُمْ]؛ الذي خلقكُم، والذي خلقَ السماوات والأرضَ، الذي رزقَكُم وأمدَّكُم بالنعَم .. وكفرتُ بأصنامِكم وأوثانِكم وطواغيتِكم التي تعبدونَها مِن دونِ اللهِ .. وبيانُ هذا المعنَى من لوازمِ وشروطِ الإيمانِ بربِّ العالمين؛ إذْ لا يصحُّ إيمانُ بربِّ العالمين إلا بعدَ الكُفْرِ بالطاغوتِ، كما قال تعالى:[وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُواْ اللّهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ]النحل:36. وقال تعالى:[فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لاَ انفِصَامَ لَهَا وَاللّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ]البقرة:256.

108- [فَاسْمَعُونِ]؛ فافهمُوا مقَالي وخِطابي جيداً: بأنّي قد آمنتُ باللهِ ربِّ العَالمين .. وكفرتُ بالطواغيتِ كل الطواغيت التي تعبدونَها مِن دونِ اللهِ .. فافعلُوا مَا بَدَا لكُم .. فإنّي لا أَخشَاكُم، ولَا أَخْشَى جموعَكم ولا عسَاكِرَكُم .. فأنا لا أخشَى إلا الله .. فوثَبُوا عليه وثبةَ رجلٍ واحدٍ .. يملؤ نفوسَهم الحقدُ والكراهيَّةُ، والعداوةُ والبغضاءُ، فضربُوه، ورجمُوه .. وحرَّقُوه، ووطأوه بأقدامِهم، وتفنَّنُوا في تعذيبِه، والانتقامِ مِنه .. حتى قِيل أن أمعاءَه قَد خرجَت مِن دُبرِه .. حتَّى قتلُوه رحمه الله.

109- الكلُّ مِن حولِه فَرِحٌ بموتِه، يرقصُ على جثَّتِه .. والكلُّ منهم لا ينسَى حظَّه من اللطْمِ، والشَّتمِ، والرَّفْسِ .. حتى بعد موتِه .. عسى أن يَشفي بعضَ ما في نفسِه من غِلٍّ وحقدٍ على دينِ الله، وعلى أنبياءِ الله .. بينما جندُ اللهِ في السماءِ، كانوا في أشدِّ الشوقِ إليه، ليحتفُوا به بطريقتِهم .. ويفرحوا بحياتِه من جدِيد .. وبقدومِه عليهم كشَهيدٍ .. فلمَّا ماتَ، وخرجَت الروحُ من جسدِها إلى بارئِها، وتلقَّتها الملائكةُ فرحين ومُبشرين .. قِيل له مباشَرَة، وفي الحال:[ادْخُلِ الْجَنَّةَ]؛ لينعمَ بنعيمِها وخيراتِها وملذّاتِها .. جزاء إيمانِه، وجهادِه، ونُصحِه لقومِه، وثباتِه، وصَبرِه على البلاءِ .. فلمَّا رَأى ما هو فيه من النَّعيم والخيراتِ والمسرَّات .. بينما قومُه لا يزالُون ـ كالكلابِ المسعورَةِ ـ منشغلين بالانتقامِ من جسدِهِ الطَّاهِر، قال:[يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ]، ما أنا فيه، وما هم فيه؛ ما أنا فيه من النَّعيم المقِيم .. وما هم فيه من الشقاءِ والضلالِ المبين .. والانشغال بالاعتدَاءِ على جسَدِي، والذي لم يَصلْني من أَلَمِه شيء!

110- ثم يا ليتهم يَعلمون:[بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي]؛ ذَنْبي الذي كان مني قبلَ أن أتبعَ المرسلين، الذي لو متُّ عليه لكنتُ من الهالِكين الخاسِرين، [وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ]؛ فأكرمني بالمقامَات العَالية، بالمسرَّات والخيراتِ، والعطَاءِ الجزيل .. فإنهم لو علموا ذلك

عسَى أن يهتدُوا، ويؤمنُوا، ويُقلِعُوا عن شركِهم وضلالِهم .. فنصحَ قومَه حيَّاً، وبعد مماتِه .. رحمه الله، وغفرَ له، وزادَه شَرَفاً وتكريماً .. ومِن تَكرِيمِ اللهِ تعالى له أن خَلَّدَ اسمَهُ وقصَّتَهُ في آياتٍ قُرآنيَّةٍ تُتْلَى إلى قِيامِ السَّاعَةِ!

* * * * *

يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ

111- [يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ]؛ على الكافِرين مِنهم؛ ففِي الدُّنيَا لهم الشَّقَاءُ، والتِّيه، والضَّيَاع .. وفي الآخِرَةِ - يومَ لا يَنفعُ النَّدَمُ ولا التَّلَاومُ، ولا الغَمُّ والحزَنُ - لهم العَذَابُ الأليم .. فتجتَمعُ عليهم الحسَرَاتُ كُلها؛ حَسَراتُ الدُّنيا والآخِرَة .. والسَّببُ أنَّهم كانُوا [مَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلاَّ كَانُوا بِهِ]؛ وبدَعْوَتِه [يَسْتَهْزِئُون]يس:30. يَسْخَرون .. ويَتَهَكَّمُون .. فيندَمون ويَتَحَسَّرُون على ما فَرَّطُوا بحَقِّ أنفُسِهم، ومَا كانَ مِنْهم تِجَاهَ رُسُلِ الله، وتجاهَ دَعْوَتِهم .. وَلاتَ حِينَ مَنْدَم!

112- [يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ]؛ كَمْ فَاتَهُم مِن خَيرٍ، وكَمْ أصَابَهم مِن شَرٍّ .. والسَّبَبُ، أنَّهم [مَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلاَّ كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُون]يس:30. فبَدَلاً من أن يؤمنُوا به، ويُوقِّرُه، ويتَّبعُوه .. يَستهزئون ويَتَهَكَّمُون بهِ وبدَعْوَتِه، وأتْبَاعِه!

113- كلُّ مَن يَسْتَهزئُ بأَتْبَاعِ الأنبياءِ والرُّسُلِ، لاقتِدَائِهم واتِّبَاعِهم للأنبياءِ والرُّسُلِ، فهو يَسْتهزئُ بالأنبياءِ والرسُلِ ذَاتِهم.

* * * * *

أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنْ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لاَ يَرْجِعُونَ

114- [أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنْ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لاَ يَرْجِعُونَ]يس:31. أُمَمٌ وأَجيالٌ ـ قَد عَتَت عَن أمرِ رَبِّها ـ لا يَعلمُ عدَدَها إلا اللهُ .. قد ابتَلَعَها الموتُ .. ابتلعَتهم القُبورُ .. فلم تنفَعْهَم قوَّتُهم، ولا أموالُهم، ولا كَثرَتُهم شَيئاً .. رَحَلُوا عَن هذهِ الحياةِ ولم يَعُودُوا .. ولم يَقْدِرُوا أن يعُودُوا للحيَاةِ مرَّةً ثانيَةً .. ليَلْقَوا مَصِيرَهم، وحِسَابَهم الذي لا مَفَرَّ لهم مِنه .. أليسَ في ذلك عِظة وعِبرة للأحياءِ، وهُم صَائِرُون لا محَالَةَ إلى ما صَارَت إليه الأمَمُ والأجيالَ مِن قبلِهم .. هَلَّا سَألَ الطُّغاةُ الأَحْيَاءُ عَن مَصِيرِ مَن سَبَقَهُم مِن الطُّغَاةِ الأمْوَاتِ، كيفَ كانُوا، وإلى أينَ صَارُوا .. أمْ أنَّ إلْفَ الأحْياءِ لمنظَرِ الأمواتِ، والقُبُورِ، أنسَاهُم أنَّهم سَيمُوتُون، وأنَّهُم بِهم لاحِقُون؟!

* * * * *

وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ

115- [وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ]؛ عذَابُ الدُّنيَا، [وَمَا خَلْفَكُمْ]؛ عذَابُ الآخِرةِ .. فإذا اتقيتم عذَابَ الدُّنيَا، وعَذابَ الآخِرةِ؛ بامتثالِ ما أمرَ اللهُ بِه، وبالانتهاءِ عَمَّا نَهى عنه، [لَعَلَّكُمْ]؛ تفيدُ هنا التَّحقِيقَ، [تُرْحَمُونَ]يس:45. يرحمكُم اللهُ في الدُّنيا، والآخِرَةِ.

* * * * *

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ

116- [وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ]يس:47. يَستدلُّ الكفارُ بالقَدَرِ الكَوْني؛ وهو أن اللهَ تعالى قد قدَّرَ وجُودَ الفَقرِ، والفُقراءِ .. على إبطالِ وردِّ القَدَر

الشَّرْعِي الدِّيني؛ وهو أنَّ اللهَ تعالى يَأمرُ بالزكاةِ، ويحضُّ على الصدَقَاتِ، ويُجازِي عليها خَيراً مضَاعَفاً .. إذْ لو أرادَنا اللهُ ـ كما يَزعمون! ـ أن نتصدَّقَ ببعضِ أموالِنا على الفقَراءِ؛ لَمَا قدَّرَ وجُودَ الفَقْرِ، والفُقَراء، وهو قادرٌ على إغنَائِهم وإطعَامِهم .. فتارةً تَراهم يَستدلُّون بالقَدَرِ الكَوْنِي على شَرعيَّةِ الشِّرْكِ، والفواحِش، والمنكَرات، وتارةً يَستدلُّون به على بُطلانِ القَدَرِ الشَّرْعِي، ومَا يحبُّه اللهُ تعالى ويَرضَاهُ من الأعمالِ الصالحةِ .. واستدلَالُهم هذا مَردُّه لجهْلِهِم، وضَلالِهم، وكُفرِهم، وسُوءِ فَهمِهم للخطابِ الشَّرعِي، والمرَاد مِنه، وسُوءِ أدَبِهم، وفَهمهم لحقيقَةِ الحياةِ الدُّنيا؛ وهي أنَّها دارُ ابتِلَاءٍ، واختبارٍ، وكَدْحٍ، وعملٍ؛ وهذا من مقتضاهُ وجُود اللونين والنَّوعَين معَاً: الفَقْرُ، والغِنَى، الشَّيءُ وضدُّه، [إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ]. لفهمِكم الخاطِئ هذا!

* * * * *

أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ

117- [أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ]يس:60. كُلُّ مُشْرِكٍ ـ أيّاً كانت مِلَّتُهُ، وكانَ دِينُه ـ هو على الحَقِيقَةِ مِن عَبَدَةِ الشَّيْطَان، وسَيُحَاسَب يَومَ القِيَامَةِ على أنَّهُ مِن عَبَدَةِ الشَّيطَان.

118- إن لم تعبد اللهَ فأنت ـ لا مَحالَة ـ تَعبدُ الشيطان ـ وإن تسمَّيتَ باللا دِيني أو زَعمتَ أنك من الملحِدين، أو تَسمَّيت بأيِّ اسمٍ آخَر ـ وداخِلٌ في زِمْرةِ المعنيين مِن قولِه تعالى:[أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ]يس:60.

119- [أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ]يس:60. مَن لا يَعْبُدُ الرحمنَ، فهو لا محَالَة ـ أيَّاً كان دِينُه، وكان انتماؤه ـ يَعبُدُ الشَّيطانَ، ودَاخِلٌ في طاعَتِه ...!

120- [أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ]؛ عن طريقِ جميع الأنبياءِ والرسلِ، والكتُب التي أنزلها اللهُ عليهم .. وقبلَ ذلك عن طريقِ العهدِ والميثاقِ الذي أخذَهُ اللهُ مِن بني آدَم وهم كالذَّرِّ في ظَهرِ آدَم عليه السلام، فاستخرجَهم وأشهَدَهم على نفْسِه بالوحدانيَّةِ، وحَذَّرهم من عواقبِ الجحودِ والشِّركِ، [أَن لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ]؛ أن لا تُطيعُوا الشيطانَ فِيما يُزينُه لكم مِن الكُفْرِ، والشرْكِ، والفسُوقِ .. وفِيما يُوحِي إليكم من تحليلٍ للحرَامِ، وتحريمٍ للحلالِ، فإن أطعتمُوه فِيما يُوحي إليكم، فقد دَخلتُم في عبادَتِه مِن دُونِ اللهِ، [إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ]؛ فالشيطانُ عدَاوتُه لبني آدم ظاهِرةٌ وواضحةٌ، لا خَفَاءَ فِيها؛ فهو لا يُريدُ لهم الخيرَ .. فهو لا يريدُ لهم إلا الشرَّ، وينتهي بهم إلى نارِ جهنَّم .. ومَن كانَ كذلك حقُّه أن يُتخَذَ عدُواً لا وَلِيًّا. [وَأَنْ اعْبُدُونِي]؛ وَحِّدُوني، وأطيعُوني، ولَا تُشركُوا بي شَيئاً، [هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ]يس:60-61. لا عِوَجَ فيه عن الحقِّ، ينتهي بسَالِكِه إلى النَّجاةِ، وإلى الجنَّة.

* * * * *

وَمَنْ نُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ أَفَلَا يَعْقِلُونَ

121- [وَمَنْ نُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ أَفَلَا يَعْقِلُونَ]يس:68. قانونٌ عامٌّ يَشملُ الجميعَ .. يُؤدِّبُ الجميعَ، لا يَستَثني أحَداً مِن النَّاسِ .. كَم مِن مُعجَبٍ بجسَدِهِ وعضلاتِه الضخمَةِ والمفتولَةِ .. يمشي بينَ الناسِ مختَالاً، فخوراً .. كان يُشارُ إلى ضخامَةِ وقوةِ جسَدِه

بالبنَانِ .. انتَهى به الحالُ إلى الضَّعفِ، والترهُّلِ، والعَجْزِ .. وكم مِن امرأةٍ ـ يُسمونَها فنَّانَه! ـ كانَت تتبَاها بجمالِها، وبجسَدِها .. تَشدُّ إليها الأنظارَ .. وتتفنَّنُ في إبرازِ مفاتِنِها؛ تُؤذِي بها الناسَ .. انتَهى بها الحالُ إلى الضعفِ، والترهُّلِ، والعَجْزِ، تَعلُوها التَّجاعِيدُ، وقبحُ المنظَرِ .. ليعلمَ الجميعُ أنَّ الدائمَ الذي يُغَيِّرُ ولَا يَتَغَيَّر هو اللهُ تعالى وحدَه .. وأنَّ الذي يَقْدِرُ على أن يُغيرَ الإنسانَ مِن حَالَةِ القوَّةِ إلى حالَةِ الضَّعْفِ والعَجْزِ .. قادرٌ على أن يحييَه بعدَ موتِه، ويَبعثَه ليومِ الحِسَاب .. [أَفَلَا يَعْقِلُونَ]؛ هذه الحقيقة؛ فيَستدلُّون بها وبما يَعرفُون، وبما يُشاهِدُونه بأعينِهم على ما غابَ عنهم مِن شأنِ يومِ البَعْثِ، والنشُورِ، والحِسَابِ؟!

* * * * *

لِيُنذِرَ مَن كَانَ حَيّاً وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ

122- [لِيُنذِرَ مَن كَانَ حَيّاً]؛ مَن كا مُؤمِناً، حَيَّاً بإيمانِه، [وَيَحِقَّ الْقَوْلُ]؛ العَذَابُ، [عَلَى الْكَافِرِينَ]يس:70. على الأحياءِ الأَمْوَاتِ؛ الأحْيَاءُ بأجْسَامِهم، الأمْوَاتُ بأَرْوَاحِهم، وإيمانِهم، وعقُولِهم!

* * * * *

أَوَلَمْ يَرَ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ

123- [أَوَلَمْ يَرَ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ]يس:77. يُذَكِّرُ اللهُ الإنسانَ بأصْلِه الذي خلقَه منه .. وجاءَ منه .. وهو جزءٌ صَغيرٌ مِن النُّطْفَةِ، وليسَ كل النُّطْفَة، لا يتعدَّى حجمُه رَأْسَ الإبرَةِ .. كما في الحديثِ الصَّحيح:" مَا مِن كُلِّ المَاءِ يكونُ الوَلَدُ "مسلم. ثمَّ كيفَ أن اللهَ تعالى من هذا الجزءِ الصغير مِن النُّطفَةِ، الذي اسمُه الحيوانُ المنَوي .. خلقَه وصَوَّرَه فأحسَنَ خَلْقَه وصُورتَه .. ففَلَقَ له

العينَين، والأذُنَين، والفَمَ، والأنْفَ، والسَّبيلَين .. وخَلَقَ له أعضَاءَه الباطِنَةِ؛ القَلْب، ومَا سِواه .. وخلَقَ لكلِّ عُضْوٍ مِنْهَا وظيفَةً لَا تَستمرُّ الحياةُ ولَا تَسْتَقيمُ مِن دُونِه .. ووَهَب له السَّمْعَ، والبَصَرَ، والفُؤَادَ .. ولمَّا بَلَغَ أشُدَّهُ .. كَفَرَ، واستَعْلَى، واستَكْبَرَ .. وأخَذَ يُجادِلُ في اللهِ .. وفي وجُودِه .. وفي أسمائِه وصِفاتِه .. ويُنكر البَعْثَ، والنُّشورَ، والحِسَابَ .. ويُناظِرُ ويتحدَّى مَن يُثبت له وجودَ اللهِ .. وأنَّ اللهَ حَقٌّ .. أينَ الله .. " لا إله والحياةُ مادَّة " .. نحنُ أحرَارٌ في أنفُسِنَا؛ نفْعلُ مَا نَشاءُ .. نحيَا كالبهائِمِ، ونموتُ كالبهائِمِ؛ مِن غيرِ غايَةٍ ولَا رِسَالَةٍ .. ولَا رَقِيبٍ، ولَا حَسِيب .. يَفْعَلُ ذلكَ وأكثَر .. وقَد نَسِيَ خَلْقَهُ وأصْلَه .. وأنَّه جَاءَ مِن جِزْءٍ صَغِيرٍ مِن النُّطفَةِ لَا يَتعدَّى حجمُهُ رَأسَ الإبْرَةِ؛ التي تَسْتَدْعِي مِنه الإيمانَ، والشُّكْرَ، والتواضُعَ، والانكِسارَ أمَامَ عظَمَةِ اللهِ تعالى، وفَضْلِه عليه .. ألَا تَسْتَحي يَا ابنَ آدَم .. تتطاوَلُ وتَتجرَّأ على خالِقِك، ومالِكِك، خَالِقِ الخلْق، ومَالِكِ المُلْك .. وتُجَادِلُ في وَعْدِه ووَعِيدِه .. وأصْلُكَ مِن نُطفَةٍ قَذِرَةٍ، خَرَجْتَ مِنَ السَّبيلَين: مَرَّةً مِن سَبِيلِ أبِيك، ومَرَّةً مِن سَبيلِ أُمِّك ...؟!!

124- [أَوَلَمْ يَرَ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ]يس:77.

وجُودُ الخَصِيم الملْحِد، الذي يُخاصِمُ في وجُودِ اللهِ .. وفي حَقِّه على عِبَادِه .. وفي الوَعْدِ والوَعِيدِ .. في زَمَانِنَا .. وعبرَ جَميعِ الأزْمنَةِ والعصُورِ، وبنِسَبٍ مُتَباينَةٍ ومختلفَةٍ .. وإلى قِيامِ السَّاعَةِ .. هو نفْسُه دَليلٌ صَريحٌ على صِدْقِ هذه الآيَةِ الكَرِيمَةِ التي تتكَلَّمُ عنْهم بهذَا التَّفْصِيلِ، وهذا الوضُوح .. وهو دَليلٌ على وجُودِ اللهِ .. وأنَّ اللهَ تعالى حَقٌّ .. وأنَّ كلامَه حَقٌّ .. ولو لَمْ يُوجَد هَذا " الخَصِيم "، لكانَ حِينئذٍ يحقُّ لهذا الإنسان أنْ يتَشَكَّكَ، ويُشَكِّك، ويتَسَاءَل .. عَلامَ القُرآنُ يتكَلَّمُ عَن شَيءٍ غير موجُودٍ، ولَمْ يُوجَدْ مِن قَبْل ..؟!

فوجُودك يَا مُلْحِد، ودُخُولك في الخصُومَةِ هو بحدِّ ذَاتِه دَليلٌ على أنَّ اللهَ حَقٌّ .. وأنَّ كَلامَه حَقٌّ!

* * * * *

إِنَّ إِلَهَكُمْ لَوَاحِدٌ

125- [إِنَّ إِلَهَكُمْ]؛ الذي تُؤْلِهُونَهُ بالمحبَّةِ، والطَّاعَةِ، والعِبَادَةِ، [لَوَاحِدٌ]الصافات:4. وهو اللهُ تَعَالى وَحْدَه لَا شَريكَ لَه.

* * * * *

إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ

126- [إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ]الصافات:10. صَوْناً لرسالةِ خاتَمِ الأنبياءِ والمرسَلين .. وحتى لا يحصَل الكذبُ على اللهِ، والتحريفُ والتزويرُ لكلامِه .. كان الشيطانُ إذا ما استرَقَ السمْعَ إلى الملائكةِ، ليخطِفَ مِنهم الكلمَةَ والكلمَات .. ثم يُضيفُ إليها بعدَ ذلك مِن هواه مَا شَاءَ مِن الكَذِبِ والتحرِيفِ .. قبل أن يحصلَ شيءٌ من ذلك يُرسلُ الله إليه نجماً شهاباً يثقبه ويحرقُه، ويقتلُه، ويُحيلُ بينَه وبينَ مُرادِه .. وكذلك شياطينُ الأنْسِ في الأرْضِ .. حِفْظاً لكتابِ اللهِ تعالى مِن التَّحريفِ والتزويرِ، وسُوءِ التأويلِ .. كلما انبرَى منهم دَاعيةٌ مِن دُعاةِ الشرِّ والباطِلِ، والتَّحريفِ .. أرسلَ اللهُ إليه دَاعيةً مِن دُعاةِ الخيرِ والحقِّ .. يحرقُه، ويثقبُه، ويحرقُ شرَّه وباطِلَه، ويُبطِلُ دَعْوتَه .. مَا مِن شَرٍّ إلَّا ويُقابِلُه خَيرٌ يَدْحَضه.

* * * * *

وَإِذَا ذُكِّرُوا لَا يَذْكُرُونَ

127- [وَإِذَا ذُكِّرُوا لَا يَذْكُرُونَ]الصافات:13. وإذَا أُقيمَت عليهم الحُجَجُ والبرَاهِينُ النَّقْليَّةُ، والعَقْليَّةُ، والكونيَّةُ .. لا يتّعظُون، ولَا يَنتفعُون بها؛ لأنَّهم لا يُحسنُون الإصغاءَ إليها، ولا التَّفكُّر بها، ويتَعامَلُون معَها بكِبرٍ، وتَعَالٍ، واستخفَافٍ، وإعرَاضٍ!

128- [وَإِذَا ذُكِّرُوا لَا يَذْكُرُونَ]الصافات:13. إذَا دُعُوا للإيمانِ لَا يُؤمِنُون!

* * * * *

وَإِذَا رَأَوْا آيَةً يَسْتَسْخِرُونَ

129- كثيرٌ من الآياتِ الباهِرَاتِ الجاثِمةِ أمَام أعيُنِنَا، لا نَرى فيها إعْجَازاً؛ لأننا أَلِفْنَا رُؤيتها .. ومَا يُطالِبُ به البعضُ من الآياتِ والمعجِزَات، لو تمَّت، وأَلِفْنَا رُؤيتَها، لفَقَدَت في نفُوسِهم صِفَةَ الإعجَازِ، وطَلبُوا غيرَها من الآيَات .. صدق الله:[وَإِذَا رَأَوْا آيَةً يَسْتَسْخِرُونَ] الصافات:14. مَهْمَا أظْهرَ اللهُ تعالى للكافِرين المعاندين مِن آيَاتٍ بَاهِراتٍ؛ في أنْفُسِهم، وفي السَّماوَات، والأرضِ، لَن يَنْقَطعَ شَكُّهُم، ولن يَتَوَقَّفَ فُضُولُهم، حَتَّى يَقُولوا:[أَرِنَا اللهَ جَهْرَةً]النساء:153.

130- [وَإِذَا رَأَوْا آيَةً]؛ قُرآنيَّةً، أو آيةً كونيَّةً تَدلُّ على أنَّ اللهَ تعالى حَقٌّ، وأنَّه المعبُودُ بحقٍّ، وأنَّ القُرآنَ الكريم حَقٌّ، وأنَّ محمداً صلى الله عليه وسلم حَقٌّ .. ومَا أكثر الآياتِ الكونيَّةِ المتجدِّدَةِ التي يَرونَها على مدَارِ السَّاعَةِ .. كان مِن آخِرها إعصارُ " ميلتُون " المخيف؛ الذي دَمَّرَ مُدناً وقُرَى بكامِلِها في أمريكا، [يَسْتَسْخِرُونَ]الصافات:14. يُقابلُون هذه الآياتِ الباهِرات بالسُّخريةِ والاستهزاءِ .. وهذه بضَاعةُ البطَّالِين المفلِسين؛ الذين لا يَملكون الحُجَّةَ في مواجَهةِ الحُجَّةِ، ولَا يملكُون دَلِيلاً موافقاً للنَّقلِ، وللعَقلِ، فِيما

هم فيه من باطِلٍ .. لذا تراهُم يهربُون إلى الجانبِ اليَسيرِ والأسهلِ عليهم ـ في تَعامُلِهم معَ الحقِّ، ومعَ الحججِ والآياتِ الدَّالةِ عليه ـ وهو السُّخريةِ، والاستِهزَاءِ!

* * * * *

وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ

131- [وَقِفُوهُمْ]؛ يا أيُّها الملائكة .. قبلَ أن تَقذِفُوا المشْرِكين الكافرين في نارِ جهنَّم .. احبسُوهم عندَ صراطِ الجحيم، [إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ]الصافات:24. عمَّا كانَ مِنهم في الحياةِ الدُّنيا مِن اعتقادٍ، وقَولٍ، وعملٍ .. وعمَّا أجابُوا بهِ دعوةَ الأنبياءِ والرُّسُل .. وعمّا اقتَرَفُوه مِن جرَائم وآثَامٍ، بحقِّ الإسلامِ والمسلمين .. وبحقِّ بعضِهم بعضَاً؛ ليعلمُوا سوءَ ما كانُوا فيهِ، وأنَّه السببُ لما هم فِيه!

132- [مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ]الصافات:25. الموقفُ مُهِينٌ، ومُذِلٌّ، ومخيفٌ .. فجهنمُ بلهيبِها مِن أمامِهم .. ليسَ بينهم وبينَها سوى خطوات .. وسوى أن يأتي الأمرُ للملائكةِ بأن يَرمُوا بهم في النَّارِ .. لا هَمَّ لأحدِهم إلا نفْسَه .. وهُم في هذا الموقفِ .. وهذا الشُّعورِ .. يأتيهم السؤالُ التَّقريعي، الذي يَزيدُهم ذلّاً وحَسرةً، ونَدَامةً .. ما لَكُم لا ينصُرُ بعضُكم بعضَاً .. ولَا يُغيثُ بعضُكم بعضَاً كما كنتم تفعلون في الحياةِ الدُّنيا .. أينَ آلهتِكُم التي كنتُم تَعبدونَها مِن دونِ اللهِ؛ هل تَقدرُ على أن تنفعَكُم في شَيءٍ؟!

133- [بَلْ هُمُ الْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ]الصافات:26. مُسْتَسْلِمُونَ بذلّةٍ وانكسارٍ لحكمِ اللهِ .. ولمصيرِهم المحتومُ الذي يَستشرِفُهم، ويمتَدُّ بلهيبِهِ إليهم .. لَا قوَّةَ لهم ـ ولا خِيار ـ على الامتناعِ أو الاعتراضِ والمعارضَةِ .. كما كانوا يفعلُون في الحياةِ الدُّنْيا!

134- [وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءلُونَ]الصافات:27. الأتباعُ والمتبوعُون .. الرؤساءُ، والمرؤوسُون .. الطواغيتُ وجنُودُهم .. يُقْبِلُون على بعضِهم البَعض .. وجْهاً لوجْهٍ .. تَسقطُ يومئذٍ الحواجِزُ والمراسِمُ التي كانَت تَفصلُ بينَهم في الحياةِ الدُّنيا .. يَتلَاومُون .. ويَتعاتَبُون .. ويتجادَلُون .. ويحمِّلُ كلُّ طرَفٍ الطرفَ الآخَر المسؤوليَّةَ عمَّا وصَلُوا إليه .. وفِيما هُم فيهِ مِن الخزي والعَذَابِ .. وأنَّى يَنفعُ التَّلاومُ؟!

135- [قَالُوا إِنَّكُمْ كُنتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ]الصافات:28. قال الأتْباعُ لمتبوعِيهم .. والمرؤوسُون لرؤسائِهم .. والجنودُ لطواغِيتِهم .. كنتم تصدُّونَنا عن الإيمانِ .. وتَصدُّونَ الإيمانَ عَنَّا .. فكنتم حَاجِزاً مانِعاً بيننَا وبينَ كُلِّ خَيرٍ يأتي مِن جهةِ أنبياءِ اللهِ تعالى ورسُلِه .. وإذا مَا تُلِيَت آيةٌ من آيَاتِ اللهِ، كنتم شَديدِي اللَّغو، والصَّخَبِ، والشَّغَبِ حتَّى لا نَفْهم عنِ اللهِ شَيئاً .. فأنتم المسؤولُون عمَّا وصَلنَا إليهِ، وعمَّا نحنُ فيه مِن العَذَابِ!

136- لم يقولُوا لهم " كُنتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الشِّمَالِ "؛ لأنَّ كلَّ ما يأتي مِن جهةِ الشِّمالِ؛ مِن كُفرٍ، وفُسُوقٍ، وضَلالٍ، وشَرٍّ .. كان يَصلُ إليهم بسهولَةٍ، ومِن دونِ عوائق، وموانِع .. وكانت جميعُ القنوَاتِ مفتُوحَةً له، وتُرحِّب به .. وله كامِلُ الحريَّة!

137- [قَالُوا بَل لَّمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ]الصافات:29. فيردُّ المتبوعُون، والرؤساءُ على التَّابِعين والمرؤوسِين .. بل المشكلةُ تكمنُ فِيكُم؛ فأنتم كُنْتم كفَّاراً؛ تحبونَ الكفْرَ والعصيانَ، وتَكرهُونَ الإيمانَ والطاعَةَ .. فالذنبُ ذنبُكُم، ولَا تَلومُوا إلا أنْفُسَكُم!

138- [وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ]؛ مِن سُلطَةٍ وقوَّةٍ نكرهُكُم بها على الكُفرِ والعصْيانِ، بل كان كُفرُكُم بمحضِ اختيَارِكم، وإرادَتِكُم، ورِضاكم .. وبكلِّ حريَّةٍ وديمقراطيَّةٍ، [بَلْ كُنتُمْ قَوْمًا طَاغِينَ]الصافات:30. ظالمين تَسْتَعْدُون الحقَّ وأهلَه ..

وتُوالُون وتَنصرُون مِن يُعادِي الحقَّ وأهلَه .. وهو سَببٌ فِيمَا أنتم فيهِ الآن مِن الخزي والعذَابِ .. هذه هي الحقيقَةُ التي يجبُ أن تَعْتَرفُوا بِها!

139- [فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَا إِنَّا لَذَائِقُونَ]الصافات:31. فكِلَانَا، الأتباعُ، والمتبوعُون .. الرؤساءُ والمرؤوسُون .. غيرُ مَعذُورين .. وكِلانَا شُركَاء في الجرْمِ والوزْرِ .. وكلانا يَستَحِقُّ العذابَ .. وإنَّا وإيَّاكم لذائِقُوا العَذَابِ لا محَالَة .. قَد وجَبَ حكمُ اللهِ فِينا، ووعيدُه لَنَا!

140- [فَأَغْوَيْنَاكُمْ إِنَّا كُنَّا غَاوِينَ]الصافات:32. فنحنُ ـ الرؤسَاء المتبُوعُون ـ نَعترفُ إنَّا كنَّا ضَالّين .. وكلُّ ما فعلنَاه لكم أنَّنَا زَيَّنا لَكُم الكُفْرَ، والفُسُوقَ، والعصيانَ، وكَرَّهْنَا لكُم الإيمانَ .. وأضلَلنَاكُم عنِ الحقِّ .. وأنتم تَابعتمُونا بإرادَتِكُم واختيارِكُم!

141- [فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ]الصافات:33. هَذا التَّلاومُ .. والمراجَعَةُ في القَولِ، وتَبادُلِ التّهم بين الفَرِيقَين: الأَتْبَاعُ والمتبُوعُون .. لَا يَنفَعُهم في شَيءٍ .. بَلْ لَا يَزيدُهم إلَّا حَسْرَةً ونَدامَةً .. فكِلَا الفَرِيقَين كما كانُوا شُركَاءَ في الجرْمِ والوِزْرِ في الدُّنْيَا، بعضُهم أولياءُ بَعْضٍ، لا يُعذَرُ فَريقٌ دُونَ الآخَر .. كذلك كِلاهُمَا يَومَ القِيامَةِ شُركَاءُ في العَذَابِ.

فِيمَا تَقدَّم مِن آيَاتٍ تَنبيهٌ وتَحذيرٌ للأَتْبَاعِ أن يكونُوا على وَعْيٍ، ودِرَايَةٍ تَامَّةٍ فِيمَا يَتَّبعُون، ومَن يَتَّبعُون .. وأن يكونَ اتّباعُهم على بيِّنَةٍ، ودَليلٍ، وبَصِيرَةٍ .. وأن لا يُسْلِمُوا رِقَابَهم، وزِمَامَ أمُورِهم للطُّغاةِ الظالمين الآثمين!

* * * * *

إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ يَسْتَكْبِرُونَ

142- [إِنَّهُمْ كَانُوا]؛ الكُفَّارُ والمشْرِكُون، [إِذَا قِيلَ لَهُمْ]؛ قالَ لهم الأنبياءُ، وأتباعُهُم مِن المؤمنين، على مَدَارِ التَّاريخ، مِن لَدُن نُوحٍ عليهِ السَّلام، وإلى يومِنَا هذا، وإلى قِيامِ السَّاعَةِ .. قُولُوا، واشْهَدُوا ظَاهِراً وباطِناً أن:[لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ]؛ لا مَأْلُوه ولَا مَعْبُودَ بحَقٍّ في الوجُودِ إلَّا اللهِ .. أدَاةُ الاسْتِثْنَاءِ " إِلَّا " إذا جَاءَت بَعْدَ نَفْيٍ؛ تُفِيدُ الحَصْرَ والقَصْرَ؛ أي أنَّ المعْبُودَ بحقٍّ هو اللهُ تَعالى وحدَه لا شَرِيكَ لَه، ومَا سِوَاهُ فهو البَاطِلُ، [يَسْتَكْبِرُونَ]الصافات:35. يَسْتَعلُون على الحقِّ، ومَا دُعُوا إليه، ويُعْرِضُون عَنه .. ويَحتقِرُون، ويَتَهكَّمُون، ويَسْتَهزِئُون بمَن طالَبَهُم ودَعَاهم إلى هذا الحَقِّ .. إنَّهم يُطِيقُون أن يَسْمَعُوا مِنك كُلَّ دَعْوةٍ، وكُلَّ قَولٍ .. إلَّا " لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ "؛ فإنَّهم يَصمُّونَ آذانَهُم، ويُعْرِضُون، ويَسْتَكْبِرُون!

* * * * *

أَتَدْعُونَ بَعْلاً وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ

143- [أَتَدْعُونَ بَعْلاً]؛ أَتَعْبدُونَ صَنماً صنَعْتمُوه بأنفُسِكُم، وسميتُمُوه بَعْلاً، تتوجَّهُون إليه بالعبادَةِ والدُّعاءِ .. وهو صنَمٌ لا يَنفعُ ولا يَضرُّ .. وقِيل سُمِّيت مدينةُ " بَعْلَبَك " في لبنان على اسمِ هذا الصَّنمِ، ونِسْبة له، وهي لا تزالُ إلى اليومِ تحملُ هذا الاسمِ .. ومَا أكثر البُعُول في أمصَارِ المسلمين التي تُعْبَدُ مِن دُونِ اللهِ، [وَتَذَرُونَ]؛ عبادَةَ اللهِ، الذي خلقَكُم، وخَلَقَ كلَّ شيءٍ، وهو [أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ]الصافات:125. أحسَنُ الصَّانِعين والمصورِين؛ لأنَّه لا وجُودَ إلَّا لخالِقٍ واحِدٍ فقط، وهو اللهُ رَبُّ العالَمين .. قال القُرطبي في التفسير:" المعنَى أحسَنُ الصَّانِعين؛ لأنَّ الناسَ يَصنَعون ولا يَخْلُقون ". وقد حاولَ

الإنسانُ المعاصِرُ أن يصنَعَ " رُوبوتات "، يُحاكِي بها الإنسانَ في صورتِه، و بعضِ أعمالِه .. وهي في حقيقَتِها مهمَا طوَّرُوا بها خاويةٌ مِن الرُّوح، والوَعِي، والعواطِف، والمشَاعِر .. والدِّمَاغ .. لا يُمكنُ أن تفكِّرَ خارجَ صندُوقِها، وأكثر ممَّا زوَّدَها به الإنسانُ مِن معلومَاتٍ .. أو أن تعملَ عملاً أكثر ممَّا يأمرُها به، وأكثر ممَّا برمجَها عليه .. شَأنها شأنُ الكمبيوتر؛ فالكمبيوتر على قَدْرِ مُا تُودِعْ فيه مِن برامِج على قَدْرِ مَا يُعطِيك مِن أشياء تَتناسَبُ معَ وظِيفةِ البرامِج التي وُضِعَت فيه .. وهي تبقَى في دائرةِ المصنُوعَات، وليسَ المخلُوقَات .. لأنَّه لا خالِقَ إلَّا الله!

* * * * *

فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنْ الْمُسَبِّحِينَ

144- الحسَنَاتُ تُسْتَحْضَر، وتَتَشَفَّع عِندَ موردِ الشَّدَائد، والمصائب .. فأعِدُّوا الحسَنَات، لأيَّامِ الشِّدّة، تنفعُكم بإذن الله .. قال تعالى عن نبيه يونُس لما التَقَمَه الحُوتُ:[فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنْ الْمُسَبِّحِينَ . لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ]الصافات:143-144. فذُكِرَ له التَّسْبيحُ .. والثَّلاثَةُ الذين دخلُوا الغارَ، فَانْحَطَّتْ على فَمِ غَارِهِمْ صَخْرَةٌ مِنَ الجَبَلِ، فَانْطَبَقَتْ عليهم .. استَحْضَرُوا حسَناتهم، وتوسَّلوا بها إلى الله، فانفرَجَت عنهم الصَّخرة .. ولما انطبقَ البحرُ على فرعون، استنجَدَ واستَغاث .. ولم يكُن عنده إلا السَّيئات .. قال الله له:[آلآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ]يونس:91.

* * * * *

سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ

145- [سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ]؛ تنَزَّه وتَعَالى اللهُ عن كُلِّ وصفٍ يَصِفُه به الواصِفُون؛ سَواءٌ كان وَصْفُهم يُفيدُ الإثْباتَ أو النَّفيَ؛ لأنَّ وصفَهُم مَبْعَثُه

الجَّهل، وبغيرِ سُلطانٍ من الله، [وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ]الصافات:181. إلا المرسَلُون؛ الذين يُبلِّغُون عن اللهِ صِفَاته، وشرائعَه، ولا يخوضُون في صِفاتِ اللهِ إلا بِسُلطانٍ مِن اللهِ، وبوَحْي .. فهؤلاء ومَن اتَّبَعَهم، واتَّبعَ طريقتَهُم مِن المؤمنين، سَلامٌ عليهم .. وهم مُسْتثنُون مِن البَرَاء.

146- [سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ]؛ نَزَّه الخالِقُ نَفْسَهُ عن جَمِيعِ مَا يَصِفُهُ به المشْرِكُون، والفَلَاسِفَةُ، والمتكَلِّمُون؛ لأنَّهم يَصِفُونَه بَغَيرِ عِلمٍ، ولا سُلْطَانٍ مِن اللهِ، [وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ]الصافات:180-181. ثمَّ استثنى المرْسَلِين ممَّن يَصِفُونَه، فأثْنَى عَليهم وعلى منْهَجِهم خَيْرَاً؛ لأنَّهم لا يَصِفُونَ اللهَ تَعالى إلا بِعِلمٍ وبما يُوحَى إليهم مِن رَبِّهم.

* * * * *

بل الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ

147- [الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ]؛ في مَنَعَةٍ، وحَمِيَّةٍ، وكِبْرٍ، وتَعَالٍ عَلَى الحَقِّ .. هذه الصِّفَةُ أدَّت بِهم إلى الوقُوعِ في الصِّفَةِ الثَّانِيَةِ [وَشِقَاقٍ]ص:2. ومَا دَامُوا في عِزَّة لا بُدَّ أنَّهم سَيَقَعُونَ في شِقَاقٍ؛ أي مُعَادَاةٍ، ومخالَفَةٍ، ومُبَايَنَةِ الحَقِّ وأهْلِه .. فالحَقُّ وأهْلُهُ في شِقٍّ، والذين كَفَرُوا في شِقٍّ آخَر .. وهَذا عَامٌّ لا يَخُصُّ زَمَنَاً دُونَ زمَنٍ، ولا مَكَانَاً دُونَ مَكَانٍ.

* * * * *

وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ

148- [وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ]ص:6. يتعاهدُون فِيما بينهم على أن يصبرُوا على عبادةِ طواغيتِهم، وأصنامِهم، ومعبوداتِهم مِن دُونِ الله .. وعلى نصرَتِها، والذَّودِ عنها، وإعلاءِ كلمتها، والتضحيةِ في سَبيلِها .. هذا التَّعاهد مِنهم متجدِّدٌ عبر جميع الأزمنةِ والعصُورِ؛ في الماضِي، والحاضِرِ، والمستقبل .. يَفعلُون ذلك وهم، وطواغيتِهم، وأصنامِهم على باطِلٍ .. بينما في المقابلِ كثيرٌ من المسلمين يَضْعفُون عن عبادَةِ ربِّهم الحق، وعن نُصرةِ نبيِّهم الحق، ودِينِهم الحق .. فأيُّ الفريقَين أولَى بالصبرِ على عبادَةِ إلهِ ومعبودِه، والتضحيةِ في سبيلِه .. المشركُون أم المسلمون؟!

* * * * *

وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ

149- [وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الْأَيْدِ]؛ القوي في طاعَةِ وعبادَةِ اللهِ، كان يصومُ يوماً، ويفطرُ يوماً، [إِنَّهُ أَوَّابٌ]ص:17. إنه تَوَّاب، ورَجَّاع؛ صيغةٌ تفيدُ التَّكثير؛

أي شَديدُ، وسريعُ، وكثيرُ الاستغفارِ، والتَّوبةِ، والرُّجوعِ إلى اللهِ .. وإذا كان هذا في حقِّ نبيِّ الله داود عليه السلام .. فكيفَ بمن دونَه مِن العبادِ الخطَّائِين .. فإنه يتعيَّنُ عليهم دوامُ النَّظرِ في أخطَائِهم، وأنفُسِهم .. ومن ثمَّ حملُ أنفُسِهم على الاستغارِ، والتوبَةِ، والرجُوعِ إلى الله .. فالرجوعُ من المعصيةِ إلى الطَّاعةِ، ومِن الخطأ إلى الصوابِ .. وعَدم التَّمادِي في الخطَأ .. ومن ثمَّ الإكثارُ مِن الاستغفَارِ .. فضيلةٌ عظيمةٌ .. وهي صفةٌ محمودَةٌ، وصفةُ كمالٍ، تُعلِي مِن شَأنِ صاحِبها .. لَا مَنقَصَةَ فِيها .. وهي من أخصِّ خصَائصِ المؤمنِين الأوَّابِين، التَّوابِين.

* * * * *

فَاحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ

150- [فَاحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ]ص:22. فاحكُمْ بيننا بالعَدْلِ، ولا تَجُرْ في الحُكمِ، فتَميلُ لأحَدِنا على حِسَابِ الآخَر .. قالَهُ الخصْمَان لنبيِّ اللهِ داود عليه السَّلام .. ونبيُّ اللهِ دَاودُ لم يُنكِرْ عليهما قَولَهُما .. وشِدَّتَهما في الخِطابِ، والسُّؤالِ .. فصبرَ، وأجابَهُما عَن سؤالِهمَا ومشكلتِهمَا بكلِّ صَبرٍ وحِلْمٍ، وهو أهلٌ لكلِّ صبرٍ وحِلمٍ .. بينَمَا في زَماننا لو قِيلَ لشيخٍ يتصدَّرُ الفَتْوَى، والتوقيعَ عنِ اللهِ، وعنِ رسولِه صلى الله عليه وسلم .. ما الدَّليلُ من كتابِ اللهِ تعالى، وسنَّةِ رسولِه صلى الله عليه وسلم فِيمَا تُفْتِينا فِيه .. وهذا حقٌّ لكلِّ سَائلٍ .. لاشْطَاطَ غضَباً وغَيْظاً، وأنكرَ على سائلِه عن الدَّليلِ .. إذْ كيفَ يتجرَّأ أن يسألَه عن الدَّليلِ فِيمَا يُقرِّرُه، ويُفتِي فِيه، وهو الشيخُ المشهُورُ فُلان ابن عِلّان .. ألا نَثِق بي وبِعلمِي حتى تَسألَنِي عن الدَّليلِ .. وما أكثر هؤلاء المتَسَلِّقِين على العلمِ في زمانِنَا!

* * * * *

إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ

151- [إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ]ص:24. فيه أنَّ القِلَّة لا تَعنِي دائماً أنَّها على باطلٍ .. أو عَلامَةٌ على البَاطِلِ .. فكَم مِن حَقٍّ أنصَارُه وأتباعُه الواحِدُ، والإثنان، والثَّلاثَةُ .. كما في الحديث:" عُرِضَتْ عَلَيَّ الأُمَمُ، فَجَعَلَ يَمُرُّ النَّبيُّ معهُ الرَّجُلُ، والنَّبيُّ مَعهُ الرَّجُلَانِ، والنَّبيُّ معهُ الرَّهْطُ ـ وهم الذين لا يتجاوَزُ تعدادهم العَشَرة ـ والنَّبيُّ ليسَ مَعهُ أحَدٌ "متفق عليه.

* * * * *

كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ

152- [كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ]؛ يَا مُحَمَّد صلى الله عليه وسلم، [مُبَارَكٌ]؛ كثيرُ البركَةِ، خيرُه ـ مهمَا اغترِفَ منه ـ لَا يَنضَب .. ولكَي تَستفِيدوا مِن خَيرِه وبركتِه لا بُدَّ مِن أن تُقبلوا عليه، وعلى تِلاوتِه بتَدبُّرٍ، [لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ]؛ فالقرآنُ الكريم لم يتَنَزَّل لتلاوةِ حرُوفِه، وتَضييعِ حدُودِه، وشرائِعه .. لَا .. وإنما أنزلَه اللهُ تعالى لنتدبَّر آيَاتِه، ونتفكَّر فِيها، والتدبُّر هو الذي يجمعُ بين حُسْنِ التِّلاوَةِ، وحُسْنِ الخشُوعِ، وحُسْنِ الفَهم، والتَّفكُّر، وحُسْنِ الانقيَادِ والعمَلِ بأحكامِه، وشرائِعِه .. والذي يَقرأُه مِن غيرِ تَدبُّرٍ؛ كمن يمرُّ على كنزٍ مليءٍ باللآلِئ، والجوَاهِر، والنفَائِسِ، ثم هو مع حَاجَتِه الشَّديدَةِ لها، لا يَستخرجُ مِنها شَيئاً، [وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ]ص:29. فيستفِيدُ ويتَّعظُ، ويَعتبرُ أولُوا العقُولِ والنُّهَى، ويكُونُ القُرآنِ لهم سَببُ هِدَايَةٍ ورَشَادٍ.

* * * * *

ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ

153- [ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ]ص:42. نبيُّ اللهِ أيُّوب عليه السلام قد ابتلاهُ اللهُ تعالى في جسَدِه بأمراضٍ عَديدَةٍ .. حتَّى ابتعَدَ عنه كلُّ مَن حولَه إلا امرأته الصَّالحة .. فكان صَابِراً محتَسِباً .. ولمَّا أذِنَ اللهُ تعالى له بالشفاءِ أمرَه أن يغتسلَ بماءٍ بارِدٍ، وليس بماءٍ دافِئٍ أو سَاخِنٍ؛ لِمَا للماءِ البارِدِ - بإذنِ الله تعالى - من أهميَّةٍ في علاجِ الأمراضِ .. وهذا ما اكتشفَهُ الطبُّ المعاصِرُ .. وتكلَّم عنه مؤخَّراً الدكتور الأمريكي " بيرج "؛ المشهور بالطبِّ البَدِيل .. في تسجيلٍ صوتيٍّ له بعنوان:" فوائدٌ لَمْ أكنْ أعلَمُها عَن الاغتسالِ بالماءِ البارِدِ " .. لَمْ يَكُنْ يَعلَمُها وهو في القَرنِ الواحدِ والعِشرين .. فمن أعْلَمَ محمَّداً صلى الله عليه وسلم .. وأوحَى له هذا الكلام عن أهميَّةِ الاغتسالِ بالماءِ البارِدِ، قَبلَ أكثر من ألفٍ وأربعمائةِ سَنَة؟!

* * * * *

رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَى لِأُوْلِي الْأَلْبَابِ

154- لا يَحمِلَنَّك طولُ البَلاءِ على اليأسِ من رحمةِ الله .. فأيُّوبُ عليه السلام بعد ثَماني عَشرَة سَنَة مِن الصَّبرِ على البَلاءِ، جَاءَهُ الفَرَجُ [ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ . وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَى لِأُوْلِي الْأَلْبَابِ]ص:42-43. ويَعْقُوبُ عليه السلام بعدَ ثمانينَ سَنَةٍ مِن البَلاءِ، قَال:[عَسَى اللهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعاً]يوسف:83.

* * * * *

إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِراً نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ

155- [إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِراً نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ]ص:44. مِن غَايَاتِ البَلاءِ إِظْهَارُ الصَّبرِ عند المُبْتَلى؛ هل يَصْبر ويحتَسِب، أم يَتَسَخَّطُ، ويَشْكُو، ويَعتَرِض .. والنَّبي المُبتَلى أيُّوب عليه السلام .. رغم اجتماعِ البَلاءِ كُلِّه عليه .. إلا أنَّه قد نجحَ في اختبَارِ الصَّبرِ على البَلاءِ نجاحاً عَظيماً، يَليقُ به كنَبي .. فأصبَحَ مَثَلاً أعْلَا يُضرَب في الصَّبرِ على البَلاءِ .. تكفيه شَهادَةُ ربِّه له:[إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِراً]؛ محتَسِباً، رَاضياً، شَاكراً، [نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ]؛ إنَّهُ شَدِيدُ الإسْراعِ في الإنَابَةِ والرجُوعِ إلى الله.

* * * * *

وَقَالُوا مَا لَنَا لَا نَرَى رِجَالاً كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ الْأَشْرَارِ

156- [وَقَالُوا]؛ الكُفَّارُ، وهم في النَّارِ، [مَا لَنَا لَا نَرَى رِجَالاً كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ الْأَشْرَارِ]ص:62. مِن الإرهَابيين ...؟!

* * * * *

قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ

157- [قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ]ص:82. و [لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ]الأعراف:16. هذا هو عملُ الشيطانِ وجُندِه المستمر، والذي لا يَعرفُ التوقُّفَ .. الرَّصْدُ والتربُّصُ شراً بالمؤمنين .. والإغوَاءُ والإضْلالُ للناسِ أجمعين .. وصَرفُهم عن الطاعةِ إلى المعصيةِ .. فهي حربٌ مستمرةٌ بين الباطلِ بزعامَةِ إبليس اللَّعين، وبينَ الحقِّ وأتباعِه من المؤمنين .. والذي يريدُ أن يُوقفَ المعركةَ، ويُحْدِثَ سَلاماً بين

الطَّرفين .. تحت أي زعمٍ ومُسمَّى .. عليه أولاً أن يتَّفقَ معَ إبليس ويأخذَ منه عَهْداً بأن يُوقفَ إغواءَه، وإضلالَه .. وعدَاءَهُ .. وحربَهُ على الحقِّ وأهلِه .. وأنَّى!

* * * * *

وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ

158- [وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ]ص:86. مِن المرَائِين المتَصَنِّعِين؛ الذين يَتَكَلَّفُون في كَلامِهم، وفي مجَالِسِهم، ومَلْبَسِهم، ومَأْكَلِهم، ومَشْرَبِهم، ومَسْكَنِهم، وحَرَكَاتِهم .. وفي حُبِّهم وتَوَدُّدِهم .. ابتغَاءَ صَرْفِ وجُوه النَّاسِ إليهم .. والحصُولِ على إعجابَاتِهم!

* * * * *

وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ

159- [وَلَتَعْلَمُنَّ]؛ خِطَابٌ لجميعِ الكَافِرين الجَّاحِدين، والمُكَذِّبين، [نَبَأَهُ]؛ خَبرَ صِدْقِ مَا جَاءَكُم به محَمَّدٌ صلى الله عليه وسلم مِن عِنْدِ رَبِّه، [بَعْدَ حِينٍ]ص:88. عِندَ الموْتِ، وفي اللحْظَةِ الأُوْلَى مِن الموتِ ...!

* * * * *

وَأَنزَلَ لَكُم مِّنْ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ

160- [وَأَنزَلَ لَكُم مِّنْ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ]الزمر:6. إن قِيل: كَيفَ يُقالُ عن الأنعَامِ أنزَلَ، فهل الأنعَامُ ـ كما في صورتِها الحاليَّة ـ نزَلَت مِن السَّماءِ؟ أقول: الإنزَالُ يُحمَلُ على معنيَين كلاهُما تحتملُهمَا الآيةُ الكريمةُ: أنزَل، بمعنَى خَلَقَ .. وأَنزَلَ، بمعنَى أنزلَ المطَرَ، الذي به أحيَا الأرضَ، وجعَلَ كلَّ شيءٍ فيها مِن حيوَاناتٍ، ودَوَاب، ونباتَاتٍ، وغيرها ـ بإذن الله ـ حيًّا، فجميعُ هذه المخلوقَات أحيَاهَا اللهُ بسببٍ أنزَلَهُ مِن السَّماءِ، وهو المطَر، كما قال تعالى:[وَاللّهُ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا]النحل:65. فأحيَا به الأرضَ، ومَا فِيها، ومَن فيها، وقال تعالى:[وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاء كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ]الأنبياء:30. وقال تعالى:[وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِن مَّاء فَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ]النور:45.

* * * * *

إِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْ

161- [إِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْ وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ]الزمر:7. أسْوأُ المَنِّ، أنْ تَمُنَّ على اللهِ تَدينُكَ، وطَاعَتَكَ، وعِبَادَتَكَ، وتَرَى لِنَفْسِكَ بِذَلِك عليه حَقًّا، أو أنَّكَ بِذلِك قَدْ أسْدَيْتَ إليهِ مَعْرُوفًا. [فَمَنِ اهْتَدَى فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا]الزمر:41.

* * * * *

قُلْ يَا عِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ ..

162- [قُلْ يَا عِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ]الزمر:10. ما وجْهُ التَّرابُطِ بين الأمرِ بالتَّقوَى .. وبينَ قولِه تعالى:[وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ]؟

الترابطُ، أنَّ المؤمنين مطالَبُون بأن يتَّقوا اللهَ حَقَ تُقاتِه، وأن يَعبدُوه، ولا يُشرِكُوا به شيئاً .. وقد وسَّع اللهُ لهم الأرضَ، والمواطِنَ لأجلِ ذلك .. فإن ضاقَت عليهم الأمورُ في دِينِهم، وعِبادتِهم، ولم يتمكَّنُوا من تحقيقِ التَّقْوى .. في أرضٍ من الأراضِي أو موطِنٍ مِن المواطِن، تعيَّنَ عليهم أن يُهاجِرُوا إلى أرضٍ أُخرَى بمقدورِهم أن يَعبدُوا اللهَ فيها، ويحقِّقُوا معنى التَّقْوى بصورةٍ أفضَلَ وأحسَن .. إذْ لا يُقبلُ مِنهم أن يعتذرُوا بضيقِ الأرضِ معَ سِعَتِها .. ومعَ توسِعَتِها لغَرضِ تحقيقِ التَّقْوى، وسلامَةِ العِبادَةِ.

* * * * *

إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ

163- [إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ]الزمر:10. بغيرِ مكيالٍ، ولا مِيزانٍ .. لأنَّ أجرَ الصابرين على صَبْرِهم .. أعظَمُ، وأجَلُّ، وأكبرُ مِن أن يُكالَ أو أن يُوضَعَ في ميزانٍ .. ولِعَظِيمِ الأجْرِ لا يُوجَدُ مِكْيَالٌ يَسَعُ أجرَ الصَّابِرين .. إنه عطاءُ اللهِ الواسع والكَثِير بغيرِ حِسَاب!

* * * * *

الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ

164- [الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ]الزمر:18. أصْوَبَه، وأَقْرَبَهُ للكِتَابِ، والسُّنَّة.

165- [الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ]الزمر:18. المهم عِندَهم القَوْلُ؛ بغَضِّ النَّظَرِ عنِ قَائِلِه .. فالحِكمَةُ ضَالَّةُ المؤمِن؛ وإنْ لم يَكُن صَاحِبُها حَكِيماً.

* * * * *

أَفَمَن شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ

166- [أَفَمَن شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ]؛ فسَحَ قَلْبَه لقبولِ الإسلامِ، والدخُولِ فيه؛ فآمَن وصدَّقَ بما أخْبَرَ، وفعلَ ما أمرَ به، وانتهى عمَّا نَهى عنه وزَجَر، [فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّن رَّبِّهِ]؛ هذا النور يُقذَفُ في قلبِه منذُ اللحظةِ الأولى لنُطقِه بالشهادَتَين، ودخُولِه الإسلام .. وهو يزيدُ قلبَهُ انشرَاحاً، وراحَةً، ولذَّةً، وسعادَةً، واطمئنَاناً .. ويُضيئ له ظُلمات الطَّريقِ والشُّبهاتِ، ويجعله في حِرْزٍ وحصانَةٍ من الخيارَات الباطِلَةِ، والانحرافِ، والضَّلالِ .. ويشتَدُّ ضياؤُه ونورُه .. كلما أقبلَ على الإسلامِ وتعاليمِه أكثر .. وهو لا يَستوي مَثلاً معَ مَن يَرفضُ الإسلامَ ويُعرضُ عنه .. ويَضيقُ صَدرُه عن قبُولِه، والإصغاءِ إليه .. فهذا له معيشة ضنْكاً .. يَعيشُ الكآبَةَ والشَّقاءَ .. لا يَعرفُ السعادَةَ حقَّاً .. مهمَا امتلَك من أسبابِ الغِنَى والمتعةِ والشّهرَةِ .. وخيارَاتُه تظلُّ باطلةً، يَنتقلُ مِن خِيارٍ باطلٍ إلى خِيارٍ باطلٍ آخَر .. ومِن تجربَةٍ باطلَةٍ فاشِلةٍ إلى تجربةٍ باطلةٍ فاشلةٍ أُخْرَى .. لا يَهتَدي سَبيلاً؛ لأنَّه يَفتقدُ النورَ من ربِّه الذي يُضيءُ له الطريقَ، ويُعرفُه على حقيقَةِ الأشياءِ، [فَوَيْلٌ لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ اللَّهِ]؛ قلُوبُهم لا تُطيقُ أن تَذكرَ اللهَ، ولا أنْ تَقرأَ القرآنَ الكريم،

وتقفَ على دلالاتِه ومعجزاتِه الدامِغَةِ الباهِرةِ .. فهؤلاء لهم الويلُ والعذَابُ الأليمُ يومَ القِيامة، [أُوْلَئِكَ فِي ضَلَالٍ]؛ انحرافٌ ومَيلٌ عن الحقِّ إلى الباطِلِ، وعن الطُّهرِ إلى الرِجْسِ، وعن التَّوحيدِ إلى الشِّركِ، [مُبِينٍ]الزمر:22. ظاهرٌ بيّنٌ لمن تأمَّلَ حالَهم، وواقِعَهم!

* * * * *

إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ

167- [إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ]الزمر:30. [كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ . وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ]الرحمن:26ـ27. قانونٌ عام لا يَتخلّف أبَداً؛ يتربّص بالجميع، لا يَنجُو منه أحدٌ، يَشملُ الجميعَ؛ الشَّريفَ والوضيعَ، الحاكمَ والمحكومَ، الغنيَّ والفقيرَ، الكبيرَ والصَّغيرَ .. إنه قانون الموت؛ هازم اللذات، وقاهر الملوك والجبَابِرة .. تُرَاكَ يا ابنَ آدَم مَن الذي سَنّ هذا القانون وفرَضَه، وسلَّطه عليك، وقهرَك وملذَّاتك به .. ولماذا؟!

الموتُ برهانٌ سَاطعٌ على أن الدُّنيا دارُ عمَلٍ واختبار، به يُسدَل السِّتار، وينتهي الاختبارُ، ثم إنّ الآخِرةَ هي دار الجَّزاءِ، والقَرارِ؛ إمَّا إلى جَنّةٍ، وإما إلى نَار [مَنْ عَمِلَ صَالِحاً فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاء فَعَلَيْهَا ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ]الجاثية:15.

168- [إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ]الزمر:30. [كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ]العنكبوت:57. إنَّه قانُون الموتِ؛ قَانُونٌ عامٌّ يَجرِي على الجميع، لا يَستثْنِي أحَدَاً؛ لا نَبيَّاً، ولا عَالِماً، ولا مَلِكَاً، ولا رَئيسَاً، ولا غَنيَّاً، ولا فَقِيراً .. يَستوي أمَامَه الجميعُ .. يَخضَعُ له ولسلطانِه الجميعُ .. الكبيرُ والصَّغيرُ .. لا يَستَعْصِي عليه أحَدٌ، ولا يَقْدِرُ .. لا عِلاجَ له ولا دَوَاء، ولو اجتمعَ له أطبَّاءُ الأرضِ جميعاً .. فإذا جَاءَ الأجَلُ تعطَّلَت الأسبَابُ وتكسَّرَت، وانتفى الانتفَاعُ بها .. قاهِرُ وهَازِمُ اللَّذَّات .. مُؤَدِّبُ الجبَابِرَةِ والطُّغَاةِ

.. كفَاهُ واعِظَاً لمن لا تَعِظُه الكَلِمَات .. عِنْدَهُ تَكْثُرُ الحَسَرَات والنَّدَامَات .. والموفَّقُ مَن يُوفقهُ اللهُ للعمَلِ لمَا بَعدَ المَمَاتِ .. يَتَزَوَّدُ مِن دُنْيَاه بصَالح العمَلِ للحيَاةِ بعدَ الموتِ، حَيثُ تَبتدِئ الحياةُ الحقيقيَّةُ والأزَليَّةُ، التي لا مُنْتَهى لها .. فإمَّا إلى جَنَّةٍ، وإمَّا إلى نَارٍ.

* * * * *

وَإِذَا ذُكِرَ اللهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ

169- [وَإِذَا ذُكِرَ اللهُ وَحْدَهُ]؛ كأن تَقُول: أجاهِدُ في سَبيلِ اللهِ وحدَه، ولإعلاءِ كلمتِه .. أنفقُ مالي في سبيلِ الله .. أُوَالي، وأُعَادِي، أحبُّ وأكرَهُ في اللهِ، ولله، [اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ]؛ نَفَرَتَ، واكْفَهَرَّت قلوبُهم، وامتلأَت غَيْظَاً وكُرْهَاً، وذُعْراً مِمَّا يَسمَعُون، ووصَفُوا القائِلَ: بالتَّخَلُّفِ، والرجعيَّةِ، والتَّعصُّبِ، وأنَّه إنسانٌ ظَلَامِي، [وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ]؛ ذُكِرَت الطَّواغِيتُ، والأَوْثَانُ، ومَا يُعظِّمونَه، ويَعبدُونه من دونِ اللهِ، كأن تقولَ: أجاهِدُ وأقاتلُ في سبيلِ الوطَنِ، والإنسانيَّةِ، والقوميَّةِ، وفي سبيلِ الطَّاغُوت .. أُنفِقُ وأُعْطِي، وأخْدُم، وأُوَالي وأُعَادِي، أحْيَا وأموتُ في سبيلِ الإنسانيَّةِ، والوطَنيَّةِ، والقوميَّةِ، والدِّيمقراطيَّةِ، والعلمانيَّةِ، ونحو ذلك من الاطْلَاقاتِ الشِّرْكِيَّةِ، [إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ]الزمر:45. يَفرَحُون، ويَبْتَهجُون، ويُسرُّون بِكَ، وبما يَسمعُونه مِنْكَ، ويَصِفُونَك بأوصافِ وألقَابِ التَّفْخِيمِ والتَّعْظِيم، والإعْجَابِ .. وأنَّكَ إنسانٌ تَقَدُّمِي، ومُتَنَوِّرٌ .. ولا يَتردَّدُون حِينئذٍ أن يمنَحُوك أوْسِمةَ البطُولَةِ، والإعجَابِ، والرِّضَا!!

170- الشِّرْكُ لا يَخشَى الشِّركَ مَهمَا تَغَايَرا في المِلَّةِ التي يَنتسِبانِ إليها، ومهمَا اختلَفَت صُورتُه، فهما مُتآلِفانِ، مُتَناصِرَان، إنَّما يَخشَى التَّوحِيدَ .. والمشركُون أكثر ما يَبغضُون في الإسلامِ، التَّوحِيدَ، وأكثر مَا يَطرَبُون له، ويَستبشرون به الشِّرْك، كما قال

تعالى:[وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ]الزمر:45.

171- في اليَومِ يُقتَلُ في الأمْصَارِ المِئَات؛ لِغَاياتٍ وضْعِيَّةٍ وَضِيعَةٍ لا تَرقَى إلى مستوَى الرُّوحِ التي أودَعَهَا اللهُ تعالى في الإنسانِ، فلا يُقلِقُ الإنْسَانِيَّةُ العالميَّةُ مِن ذَلِك شَيئاً، فإذا ما قُتِل واحدٌ في سَبيل الله، أنكَرَت الإنسانِيَّةُ العَالميَّةُ، وضَجَّت، واشْمَأزَّت، ونَخَرَت .. صدَقَ اللهُ العظيم:[وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ]الزمر:45.

* * * * *

وَبَدَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ

172- [وَبَدَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ]الزمر:47. هذا الوَعيدُ الشَّديدُ والمخيفُ يَشمَلُ كلَّ مَن أسَاءَ العمَلَ؛ ولم يحقّقْ في عمَلِه شَرْطَي الإخْلاصِ، والمتابَعَةِ للنَّبي صلى الله عليه وسلم ولِسُنَّتِه، ثم يحسَبُ أنه يُحسِنُ صُنْعَاً، وأنَّ له أجرَاً على عمَلِه .. فإنَّه يُفَاجَأ يومَ القِيامَةِ بما أعَدَّ اللهُ له مِن الوَعِيدِ بخلافِ مَا كان يَظنُّ ويحتَسِب ...!

* * * * *

فَإِذَا مَسَّ الْإِنسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا

173- [فَإِذَا مَسَّ الْإِنسَانَ ضُرٌّ]؛ أصابَهُ ضيقٌ .. وشدَّةٌ .. وعسرٌ .. وكَربٌ .. وهَمٌّ .. وانتفَت الحِيلَةُ .. وضَاقَت به السُّبُلُ والمخارِجُ، وأدرَكَ عجزَهُ .. استَسْلَمَ و [دَعَانَا]؛ دَعَا اللهَ تعالى وحدَه، واستغَاثَ به، وألحَّ عليه في الطَّلَبِ، وانتفَى مِن حَوْلِه وقوَّتِه، ونَسِيَ ما سِوَاه من الآلهةِ المزعُومَةِ؛ لعلمِه أن لا أحَدَ يَقدرُ على كشْفِ الضُّرِّ عنه، وما نَزلَ به

مِن كَرْبٍ وشدَّةٍ، إلا الله .. يا رب لئن نجيتَني مِن هذهِ لأكُونَنَّ من الشَّاكِرين .. [ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِّنَّا]؛ فإذا استجابَ اللهُ دُعاءَه، وكشَفَ ما بهِ مِن ضُرٍّ، وأبْدَلَ ضُرَّهُ، وعُسرَه، وشِدَّتَهُ، خَيراً، وسعةً، ونِعمةً، وأمْناً .. وهَدَأت نَفْسُه، وذَهبَ عنه الرَّوعُ والخَوفُ .. نَسيَ هذا المجحودُ أينَ كانَ، وأينَ صَارَ .. وما كان منه مِن دُعاءٍ، واستغاثَةٍ باللهِ عَزَّ وجَل .. وما كانَ منه مِن عَهْدٍ .. و [قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ]؛ هذا الخَيرُ الذي أصَابَني بعدَ ضِيقٍ وشِدَّةٍ، أنا أستحقُّهُ، والفَضْلُ في تحصيلِهِ مَردُّه إلى جهْدِي، واجتهادِي، وعَرَقِي، وسَعيي، وكَدِّي، وتفكيري، ومَهَارَاتي، وعِلمي بطرُقِ تَحصِيلِه، [بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ]؛ بَلاءٌ، واختبارٌ، واسْتِدْراجٌ لهذا الإنسانِ الجحُود، الجَهُول، الكَفُور؛ هَل سَيَشْكُرُ، ويَردُّ الفضْلَ كلَّه للهِ، أم أنَّه سَيَكْفُرُ النِّعمَةَ، ويَجحَدُ فضْلَ اللهِ عليه، ويَردُّ الفَضْلَ لنَفْسِه، [وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ]الزمر:49. أنَّ السَّراءَ بعدَ الضَّرَّاءِ، قد يكونُ فِتنَةً واسْتِدْرَاجاً!

* * * * *

إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ

174- [إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ]الزمر:53. لمن تَابَ واستغفَرَ، يَغفرُ اللهُ له مَهمَا كانَ منْه مِن ذَنْبٍ .. فالتَّوبَةُ تجبُّ مَا قَبْلَها، والتَّائِبُ مِن الذَّنْبِ كمَن لَا ذَنْبَ لَه .. ولمَن لَمْ يتُبْ مِن أهلِ القِبْلةِ يَغفرُ اللهُ لمن شَاءَ؛ إن شَاءَ غَفَرَ، وإنْ شَاءَ عَذَّبَ وعاقَبَ .. إلَّا مَن مَاتَ على الكُفرِ والشِّرْكِ؛ فهذا قد أخَذَ اللهُ على نفْسِه عَهْداً أن لَا يَغفِر له أبَداً، كما في قوله تعالى:[وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُوْلَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ]البقرة:217.

* * * * *

وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم

175- [وَاتَّبِعُوا]؛ ظَاهِراً، وباطِناً، بالاعتِقادِ، والقَولِ، والعمَلِ، [أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم]؛ وهو القُرآنُ الكريم؛ أَمْرُهُ ونَهيُهُ، وخَبرُه، وقَصَصُه، ووَعْدُهُ، ووعيدُهُ .. وبرَدِّ مُتَشَابِهِه إلى محكَمِه .. وفَهْمه على مُرادِ اللهِ، ومُرَادِ رسولِه صلى الله عليه وسلم .. وهو قِيَاساً إلى الكُتُب التي أُنْزِلَت قَبلَه؛ الكِتابُ الأَحْسَنُ، والمهيمنُ، والنَّاسِخُ .. [مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ العَذَابُ بَغْتَةً]؛ فَجْأَةً مِن غيرِ مِيعادٍ معلومٍ ومحدَّدٍ، [وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ]الزمر:55. غافِلُون لا تعلَمُون .. ويُرادُ بالعذابِ هنا العذابُ الأصغَرُ في القَبرِ .. ثم العذَابُ الأكبرُ يومَ القيامَةِ؛ لأنَّ كلاهُما يأتيَان بَغْتَةً .. وكلُّ عَذَابٍ يَأتي بَعْدَاً ـ لأهوالِه وشِدَّةِ عَذَابِه ـ قِياساً للذي قَبْله يكونُ بَغْتَةً.

* * * * *

قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِّي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ

176- [قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِّي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ]الزمر:64. كلُّ مَن يَدعُو إلى عبادَةِ غيرِ اللهِ عزَّ وجل، أو يأمر بعبادَةِ غيرِ الله، ولو بجزئيَّةٍ أو صورةٍ مِن صُورِ العِبادَةِ؛ فهو جاهِلٌ بالإلهِ المستحِقِّ للعِبادَةِ .. جاهلٌ بأسماءِ وصِفاتِ الإلهِ الحَقِّ؛ الذي تَأبَى أسماؤُه الحُسنى وصفاتُه العُلْيَا أن يكونَ معَهُ إله وشريكٌ في المُلْكِ، والخَلْقِ، والأَمْرِ، والعِبادَةِ .. وهو أيضاً جاهِلٌ بحقيقةِ مَن يَدعو إلى عبادَتِه مِن دونِ اللهِ؛ إذْ كيفَ يَدعُو إلى عبادَةِ مخلوقٍ ضَعيفٍ يُخلَق، ولا يَخلق .. لا يَملكُ لنفْسِه، ولا لغيرِه نفعاً ولا ضَراً إلا ما شاءَ اللهُ .. ومِن هذه الآلهةِ التي يَدعُون إلى عبادتِها الصُّور، والحجارَةُ، والأصنَامُ؛ وهي

لا تَسمعُ، ولا تُبصِر، ولا تَضرُّ، ولا تَنفَع .. فأيُّ جَهلٍ بحقيقَةِ المعبُودِ، وبمن يجبُ أن تُصرفَ له العِبادَةُ يَعلو هذا الجَهْل .. وحينَما لا يَستحون، ولا يَخجَلُون مِن جَهلهم وشِركِهم .. ويَدعون إلى عِبادَةِ هذه الآلهةِ مِن دونِ اللهِ عزَّ وجل، فليس للمؤمنِ سوى أن يقولَ لهم مُنكراً ومُشَنِّعاً:[أَفَغَيْرَ اللَّهِ]؛ خَالِقُ الخلْقِ، وربُّ العَالمين؛ الذي له الأسماءُ الحُسْنَى، والصِّفاتُ العُليَا، [تَأْمُرُونِّي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ]؟! وفيه أنَّ المشركَ الذي يعبدُ آلهةً مِن دونِ ـ أو معَ ـ اللهِ، ويَدعُو إلى عبادتِها .. مهمَا أُوتِي من العِلمِ الدُّنيوي .. واجتمَعَ له من العِلمِ الدُّنيَوي .. فهو لا يخرجُ عن صِفَةِ الجَهْلِ، وعن مُسمَّى " الجاهِل "، وهو يَدخل في زُمْرةِ الجاهِلين اسماً، وصِفةً، ومَعنَى .. إذْ ما قِيمَةُ العِلمِ الذي أُوتيَه إذا لم يُوصلْهُ للغايَةِ التي خُلِقَ من أجلِها في هذهِ الحيَاة؟!

* * * * *

وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ

177- [وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ]الزمر:65. هذا دِينُ جميعِ الأنبيَاءِ والرُّسُلِ؛ مِن لَدُن آدَم عليه السلام، إلى خاتَمِ الأنبيَاءِ والمرسَلين؛ نبينا محمَّد صلى الله عليه وسلم .. فجميعُهم أُنزِلَ عليهم هذا القانُون الربَّانِي الصَّارم، والمخِيف؛ ليبلِّغُوه إلى أقوامِهم، ولمَن أُرسِلُوا إليهم؛ وهو أن الشِّركَ يحبطُ ويُبطلُ العمَلَ الصَّالح مهمَا كان عَظِيماً .. لَا يُقبَل ـ ولَا يَنفَعُ ـ مع الشِّركِ عمَلٌ صَالحٌ .. ويومَ القِيامةِ لَا يَغفرُ اللهُ لمشركٍ؛ أشرَكَ معه آلهةً أُخرَى، مهمَا كان منه مِن عمَلٍ صالحٍ .. والجنَّةُ لا يَدخلُها، ولَا يَشمُّ رائحَتَها مُشرِكٌ .. وهذا يَستدعِي النَّفيرَ مِن كلِّ

مَن يَنشدُ النَّجاةَ والسَّلامَةَ؛ لأن يَتفقَّه بالشِّركِ، وبضرُوبِه، وأنوَاعِه، ليحذَرَهُ، ويجتنبَه، ويُحذِّرَ غيرَه مِنه .. ولنا كتاب بعنوان " الشِّرك "، ننصَحُ بالاطِّلاعِ عليه.

* * * * *

ذَلِكُم بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِن يُشْرَكْ بِهِ تُؤْمِنُوا

178- [ذَلِكُم بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ]؛ لَا أقولُ: مِن أكثرِ، التي تُفيدُ التَّبعِيضَ .. بَل أقولُ: أكثرُ مَا يغيظُ الكافِرين - كلُّ الكافِرين على اختلافِ مِلَلِهم وأديانِهم - مِن دينِ اللهِ الإسلامِ، دَعْوَةُ التَّوحيد، الدَّعْوةُ التي تُفْرِدُ اللهَ تعالى وحدَه بالعبادَةِ بمعناها العَامِّ والخاصِّ، الشَّاملة لجميع مَا يحبُّه اللهِ تعَالى ويَرضَاه من الأقوالِ والأعمالِ الظَّاهِرَةِ والبَاطِنَةِ .. فإذَا ما دَعوا إلى عبادِةِ اللهِ وحدَه كَفَرُوا بالدَّعْوةِ، وامتَلأُوا غَيظاً وحِقْداً، على الدَّعْوةِ والدَّاعِي، [وَإِن يُشْرَكْ بِهِ تُؤْمِنُوا]غافر:12. وإذَا مَا دُعُوا إلى الشِّركِ، الذي يُشَرْعِنُ عِبادَةَ اللهِ تعالى معَ عِبادَةِ المخلُوق .. الشركُ الذي يَصرفُ العبادَةَ للخالِقِ والمخلُوقِ سَواء، أيَّاً كانت صِفَةُ هذا المخلُوقِ .. قد يَكونُ هذا المخلُوقُ إنساناً، وقد يكونُ حجَراً وصَنماً، وقَبراً، وقد يكونُ شجرةً، وبقرةً، وقد يكونُ شمساً أو قمراً ونجماً، أو شَيطاناً، وغيرَ ذلك .. فحينئذٍ وحَسْب يؤمنُون باللهِ كشريكٍ، وكواحِدٍ من مجموعِ الآلهةِ العديدة التي تُعبَد، وتُصرَف لها العِبادَة .. وهذا إيمانٌ فاسِدٌ باطِلٌ مَردُودٌ، يُرْدِيهِم، ولَا يَنفَعُهم في شَيءٍ .. فاللهُ تعالى أغنَى الأغنياءِ عنِ الشِّرْكِ، والشُّرَكَاء!

* * * * *

لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ

179- [لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ]غافر:17. محكمةُ السَّماءِ .. يومَ القِيامَةِ .. مكتوبٌ على بابِها، [لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ]؛ كما كُنتم تظَّالَمُونَ في حَياتِكُم الدُّنيَا .. فالعِبادُ يومَ القِيامَةِ إمَّا أنْ يُؤخَذُوا بعَدلِ اللهِ .. وإمَّا أن يؤخَذُوا بعفوِ ورحمةِ وإحسانِ اللهِ .. واللهُ تعالى يَفعلُ مَا يَشَاء .. عَامَلَنَا اللهُ تعالى بعفْوِه، ورحمَتِه، وإحسَانِه .. وصَلَّى اللهُ على سيدنا ونبينا محمد وعلى آلِهِ وصحبِهِ وسلم.

* * * * *

يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ

180- [يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ]غافر:19. هي النَّظْرَةُ الخاطِئةُ، والخَاطِفَةُ والسَّريعَةُ، على حِينِ غَفْلَةٍ مِن النَّاسِ!

* * * * *

إِنِّي أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ

181- [وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ]غافر:26. هذه ذَريعةُ الطّغاةِ والفراعِنة على مرِّ العُصورِ، وفي عَصْرِنا، وإلى يومِ القِيامةِ، في محاربتهم للحَقِّ وأهلِه، وصَدِّ الشُّعوبِ عن دينِ اللهِ!

182- [وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ]؛ يُبَدِّلُ طَريقَةَ حياتِكم، وعبادَتِكم، وطاعتِكم لي، إلى عِبادةِ وطاعةِ اللهِ، [أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ]غافر:26. فيُظهرُ دِينَه التَّوحِيدِي، على دينِكُم الشِّرْكِي .. يُظهِرُ عِبادةَ وطاعَةَ اللهِ على عِبادةِ وطاعَةِ الطَّاغُوتِ .. هذا هو مِقياسُ الفَسادِ عِند الطُّغاةِ الظَّالمين .. وهذه هي ذَرِيعَتُهم ـ مهما اختلَفَت عِباراتهم ـ على مَدَارِ التَّاريخ والأزمانِ، في محارَبةِ وتَقْتِيلِ الدُّعَاةِ إلى الله ...!

* * * * *

مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى

183- [مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى]غافر:29. احتِكَارُ رُؤيةِ وفَهمِ الواقِع، إحدَى مَصَائبِ الطُّغاةِ الظَّالمين، ومَن يَسيرُ على نهجِهِم .. فكلٌّ يرَى الواقعَ ويَفهمُه مِن زاويتِه، ومصلحَتِه، وعلى الآخَرين أن يتُابعُوه في فَهمِه ورُؤيَتِه .. وإلَّا تبرَّأ مِنهم، وأعلَنَ عليهم الحربَ، ونابَذَهم الألقابَ، وسَلَّطَ عليهم جامَ غَضَبِه .. بينما الواقعُ ليسَ نصَّاً منَزَّلاً .. يجوزُ أن تَتعدَّدَ فيه الأفهامُ والرُّؤى، بحسبِ ما يَظهرُ لكلِّ طرَفٍ، فما يَراهُ طرَفٌ مِن الأطرافِ لواقعٍ مُعَين قد لَا يَراه الآخَرُون .. وبالتَّالي تَأتي أحكامُهم مختلِفَةً .. وهذا النوعُ من الاختلافِ لَا يَنبَغي أن يُفْسِدَ الودَّ، ويُفرِّقَ الصَّفَّ، والكلمَةَ .. كان طاووس يقول:" عجباً لإخوانِنَا مِن أهلِ العراقِ يُسمون الحجَّاجَ مُؤمناً "؛ فرغم اختلافِ علمائنا الأوائِل على واقعِ الحجَّاجِ؛ هَل هو مؤمنٌ أم لَا .. فلم يحملْهم ذلك على التَّنابُذِ بالألقَابِ، وكان كل طرفٍ يُنادِي الطرَفَ الآخَرَ المخالِف له بأخوَّةِ الإيمانِ والإسْلامِ.

* * * * *

وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ

184- [وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ]غافر:44. فَوِّضْ الأمْرَ إلى اللهِ، ثمَّ لَا تَتَدَخَّلْ بعمَلِ اللهِ؛ كيفَ، ومَتَى، وأينَ.

185- [وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ]، عندمَا تخذُلك الأسبَابُ .. وتَضعفُ عن الانتصَافِ لحقِّك .. ارفَعْ قضيَّتَك إلى اللهِ .. إلى خَالقِ الأسبَابِ، [إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ]غافر:44. فاللهُ يَسمعُكَ ويَرَاك.

أحياناً يُقدِّرُ اللهُ للأسبابِ أن تخذلَك، حتَّى تَعودَ، فتقول: يا الله .. ولو عمِلَت الأسبابُ عملَها مِن غيرِ تخلُّفٍ .. لطَغَى الإنسانُ، ونسي أنَّ له ربَّاً يُرْجَع إليه!

لَا يَرفعُ الهمَّ، ويُزيلُ الكآبَةَ: كالتفويضِ، والرِّضَا، والتَّسْلِيم.

* * * * *

فَلَمَّا جَاءتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِندَهُم مِّنَ الْعِلْمِ

186- [فَلَمَّا جَاءتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ]؛ بالآيَاتِ والبَراهِين الدَّالَّةِ على تَوحِيدِ اللهِ تَعالى، وأنَّ اللهَ تعالى هو المعْبُود بِحَقٍّ، وأنَّ مَا سِوَاه فهُو البَاطِلُ، [فَرِحُوا بِمَا عِندَهُم مِّنَ الْعِلْمِ]؛ في رَدِّ الآيَاتِ، والبَرَاهِينِ، وهَذا لِسَانُ حَالِ الكُفَّارِ على مَدَارِ الأزْمَانِ؛ مِن قَبل، واليوم، وغَداً؛ فبَدَلاً مِن أن يحمِلَهُم العِلْمُ على التَّواضُعِ، وقُبُولِ الحَقِّ، يحْمِلهم عَلى الغُرُورِ، والعُجْبِ، والطُّغْيَانِ، والبَطَرِ، والكِبْر، والاسْتِهزاءِ، ورَدِّ الحق .. [وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُون]غافر:83. فيُنْزِل اللهُ بهم العَذابَ الذي كانُوا يَسْتَعْجِلُونَه، وكانُوا به يَجْحَدُون، ويَسْتَهْزِئُون ...!

* * * * *

فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ

187- [فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ]؛ فرَدُّوا الحقَّ، واستَحقَرُوا الخلْقَ، واستَعْلوا في الأرضِ بغيرِ حقٍّ .. فغرَّتهم قوَّتُهم، وأنسَتْهُم قوَّةَ اللهِ، وقُدرَتَه عليهم، [وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً]؛ لكثرةِ ما اجتمَعَت لهم أسبابُ القوَّةِ، والمنَعَةِ؛ وقَعُوا في العُجْبِ، والغُرُورِ، والكِبرِ، والتَّعالي على الخلْقِ .. وظَنُّوا أن لا أحَدَ أقوَى مِنهم، أو يُماثِلُهم في القوَّةِ .. وهؤلاء مثلُهم مثَل كلِّ قومٍ على مرِّ التاريخ والزَّمَنِ؛ الماضِي، والحاضِر، والمستقبلِ، يَقعُون فِيما وقعَ فيه قومُ عادٍ من العُجْبِ، والكِبرِ، والتَّعَالي، [أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً]؛ ألم يَعلم هؤلاء المتكبرين المستَعلِين بالباطِلِ أن اللهَ تعالى الذي خلَقَهم، وخلَقَ السماواتِ والأرضَ وما فِيهِنَّ، وسخَّرَ لهم أسبابَ القُوَّةِ فتنةً، واستِدْراجاً لهم، هو أقوَى مِنهم، وقادرٌ عليهم، وعلى أن يُذلَّهم، ويُهلكَهم إذا شاءَ، ومتَى يشَاء، [وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ]فصلت:15. لكن الآيَات الكونيَّة، والخلْقِيَّة، والسَّمعيَّةِ الكثيرةِ؛ الدَّالَّة على وحدانيَّةِ اللهِ تعالى، وأنَّه تعالى المعبودُ بحقٍّ .. وأنَّه القويُّ، والقادرُ على كلِّ شيءٍ .. كانوا بها لا يُؤمنُون، وعنها مُعرضِين .. وأنَّى لقومٍ هذه صِفتهم أن ينتَفعُوا لآخِرتِهم مِن آيَاتِ اللهِ!

* * * * *

وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّن الْخَاسِرِينَ

188- [وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّن الْخَاسِرِينَ]فصلت:23. ظَنُّوا ـ والظَّنُّ لا يُغْنِي مِن الحَقِّ شَيئاً ـ العَفْوَ مِن غَيرِ عمَلٍ .. فأَرْدَاهُم وأهلَكَهُم ظَنُّهم!

189- [وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّن الْخَاسِرِينَ]فصلت:23. ظَنَّ الكافرُون المشرِكُون ـ والظَّنُّ لا يُغْنِي مِن الحَقِّ شَيئاً ـ أَنَّهم أحبَابُ اللهِ، وخَاصَّتُه .. وأنَّ اللهَ سيَرحمُهم ويُدخِلُهم جَنَّتَه على مَا هم عليه مِن الشِّركِ والكُفْرِ .. فأهلَكَهُم وأردَاهُم ظَنُّهم!

190- [وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّن الْخَاسِرِينَ]فصلت:23. ظَنَّ الكافرُون المشرِكُون ـ والظَّنُّ لا يُغْنِي مِن الحَقِّ شَيئاً ـ أَنَّ اللهَ تَعالى يَقْبَلُ، ويَرْضَى الشِّرْكَ، والشَّرِيكَ، وأن يُقالَ أنَّ له ولَد .. فأهلَكَهُم وأردَاهُم ظَنُّهم البَاطِل هذا!

191- [وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّن الْخَاسِرِينَ]فصلت:23. ظَنَّ الكافرُون الملحِدُون ـ والظَّنُّ لا يُغْنِي مِن الحَقِّ شَيئاً ـ أَنَّ اللهَ تَعالى لن يبعَثَهم بعدَ الموْتِ للحِسَابِ، وأنَّه غَيرُ قادِرٍ على أن يحييَهم بعدَ موتِهم، وبعدَ أن يُصبِحُوا رُفَاتاً .. فخَابَ ظَنُّهم الباطِل، وأهلَكَهُم وأرْدَاهُم!

192- [وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّن الْخَاسِرِينَ]فصلت:23. يشملُ كلَّ مَن وصفَ اللهَ تعالى بالظَّنِّ، فاعتمَدَ الظَّنَّ في إثباتِ الصِّفَاتِ، أو نَفْيها، مِن غَيرِ سُلطَانٍ، ولَا دَليلٍ مِن كتَابِ اللهِ، أو سُنَّةِ رسُولِه صلى الله عليه وسلم .. فهؤلاء أيضَاً يُهلِكُهم ويُردِيهم ظَنُّهُم البَّاطِل!

* * * * *

وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ

193- [وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا]؛ وهو قولٌ يتوارثُه الكافرون فِيما بينهم على مدارِ الأزمانِ؛ مِن قبل، واليوم، وغَداً .. يَتوارثونَه ويتواصَونَ به ـ بصيغٍ مختلفةٍ، وأساليب عَدِيدةٍ ـ فَرَقاً من كتابِ اللهِ تعالى، ومِن أثرِه، وجمالِه وقوَّتِه .. يقولُون والرعبُ يملأُ قلُوبَهم:[لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ] ؛ لا تُصغُوا لهذا القُرآن، ولا لما يُتْلَى عليكم منه .. وإذا كانوا يَنهون عن الإصغاءِ إليه، فمن بابِ أولَى أن ينهوا عن قراءتِه، وعن تأمُّلِ وتدبرِ آياتِه؛ فإنه كتاب مُعْجِز، مُبْهِر، يَعلو، ولا يُعلَى عليه .. لا نأمنُ عليكم إن استمعتم إليه، وأقبلْتُم عليه، أن تترُكُوا دينَكُم، وآلهتَكم، وطريقتَكم المُثلى والماجِنةِ في الحياةِ .. وتَدخلُوا في دِينِ الإسْلامِ .. وحتَّى لا يحصلُ شيءٌ من ذلك .. فما هو الحَلُّ، وما هو السَّبيلُ ..؟! [وَالْغَوْا فِيهِ]؛ أحدثوا جميع أنواع الصخب، والضجيج، والتَّشويش، واللهو، واللعب، والتَّخْدِير .. فيختلط كل ذلك مع كلمات القرآن على المسامع، فتتلاشَى المعاني، ويضعف الأثر .. وهم يلجأون إلى هذا الخيار المتخلف والشيطاني؛ لعجزهم عن مواجهة حُجج وبراهين القرآن الكريم بالحجة، والعلم، والمنطق السليم .. ولعجزهم عن أن يأتوا بسورة من مثله .. وهذا الذي نشهده اليوم من صَخب، وكيد، ومكر على مدار الوقت، ترعاه وسائل إعلام الكافرين الحاقدين، ما هو إلا معنى من معاني [وَالْغَوْا فِيهِ]؛ .. لماذا؟ [لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ]فصلت:26. تغلبون القرآن، وتغلبون أثر القرآن، وتُضعِفُون من أثره على مسامع الناس، وعلى سلوكهم، وتوجههم .. وهم ـ كما ذكرنا من قبل ـ يلجأون إلى هذا الأذى، وهذا الخيار المتخلف؛ لأنهم يفتقدون الخيار المتحضّر في مواجهة القرآن الكريم، ومواجهة أثره الإيجابي على الناس!

أعرفُ ملحداً، كان يقولُ لي، وهو يحاورُني: قُلْ لي مَا شِئتَ .. لكن لا تُسمِعُني آيةً مِن القُرآن!

194- [وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا]؛ الرؤساء، والزعماء المتبوعين، لأتباعهم، ولبعضهم البعض:[لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ]؛ لخوفهم منه، ومن إعجازه، ومن قوة براهينه، وحججه على أنفسهم، وعلى أتباعهم .. وفي حال سمعوا أحداً يتلو القرآنَ؛ سواء كان النبي صلى الله عليه وسلم، أو أحد من أصحابه، تواصَوا فيما بينهم، [وَالْغَوْا فِيهِ]؛ أي تمادوا في الشَّغَب، والصَّخَبِ، ورفع الأصوات، حتى لا تصل كلماتُ القرآنِ إلى مسامع الناس، ولو وصلت؛ تصلُ مشوشَةً غير مفهومَةٍ .. وفي زماننا المعاصر لم يَقتصِرْ[وَالْغَوْا فِيهِ]، على الشَّغَبِ، والصَّخب، ورَفْعِ الأصوات .. بل ذهبوا أبعد من ذلك بكثير؛ فجميع وسائل إعلامهم؛ المرئية، والمسموعة، والمقروءة، وما تضخ من برامج، وأفلام، ومسلسلات، وشبهات حول الإسلام، وما يُنفقونه في هذا السبيل، كلها تصب في معنى [وَالْغَوْا فِيهِ]، لماذا كل هذا الجهد .. وكل هذا الإنفاق على هذا الجهد؟ [لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ]فصلت:26. أي لعلَّكم تغلبون القُرآنَ، وتغلبون أثَرَ القُرآنِ على الناس، فلا يستمعون إليه، ولو استمعوا إليه يصلهم مشوشاً غير مفهوم .. فيفقد أثره .. ومع ذلك فكتاب الله تعالى رغم كل هذا الكيد والمكر .. وكل هذا اللغو الضخم .. وكل هذه الحواجز .. فهو يشق طريقه إلى قلوبِ وعقول الناس، فيدخلون بسببه الإسلامَ أفواجاً .. وقولُهم [لَعَلَّكُمْ]؛ يُفيد الشَّكَّ وعدم التَّثَبُّتِ واليقين، وأنهم غير متيقنين من جدوى محاولاتهم؛ لعلمهم في قرارة أنفسهم، أن القرآنَ الكريم كَلامُ الله .. وأنَّه لا يُقَاوَم .. وأنه يَعلُو على كُلِّ ما سواه، ولا يُعْلَى عليه!

195- [وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ]فصلت:26. الذي يُدْمنُ الباطِلَ، وتَسْتَكِينُ إليه نفْسُه .. ويَركنُ إلى صومعَتِه .. لا يحبُّ أن يخرجَ مِنه .. ولا أن يُصْغِي إلى مَن يفتحُ عليه جرُوحَه .. ويُعكِّرُ عليه صَفْوَ تَفْكيرِه وتَصوراتِه الباطِلَةِ .. ويُظهِرُ جهْلَه وضَلالَه .. ويُخْرجُه مِن ظُلماتِ ودَرَنِ الباطِلِ الذي أدْمَنَه، وعاشَه دَهْراً .. ثم يُصَدِّقُه في إبطالِ مَا قَد شَبَّ عليه وأدْمَنَه .. فهو يُريدُ أن يَظلَّ مُعْتقداً أنَّ ما هو عليه مِن بَاطلٍ هو الحقُّ، ومَا سِواه هو البَاطِلُ .. ولا يحبُّ أن يَسمَعَ إلى القولِ الذي يُفْسِدُ عليه خَلْوَتَه مع الباطِلِ .. وكانُوا ولا يَزالُون يتَواصون فِيما بينهم:[لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ]، ولَا تَقرأوه .. وإذا قَرأتُموه اقرأُوه على مُرادِكم وفهمِكم، وليسَ على مُرادِ اللهِ، ومُرادِ رسولِه صلى الله عليه وسلم.

* * * * *

وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ

196- [وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ]فصلت:31. كنتُ أُحدِّثُ أحفَادِيَ الصِّغار عن مَصيرِ الحيواناتِ يومَ القِيامةِ ـ كل الحيوانات ـ أنَّ اللهَ تعالى يَقتصُّ للمظلومِ مِنها، مِن الظَّالِمِ .. هذا ما دلَّ عليه النصُّ، ويَقتضيه العدلُ الإلهِي .. ثمَّ يقولُ لها:" كونُوا تُراباً " .. فقاطَعَتْني حفيدَتي الذَّكِيَّة مَريم .. والدمْعَةُ تُرَقْرِقُ في عَيْنَيها .. وقالَت: إذا طلَبتُ مِن اللهِ تعالى أن يُبقي لي قطَّتِي " مِيمِي "، هل يُبقيها لي، وهَلْ مِن حَقِّي أن أطلبَ هذا الطلَب ...؟!

سؤالٌ لَمْ يُطرَح عليَّ مِن قَبل .. فأسئلةُ الأطفالِ غَيرُ أسئلةِ الكِبارِ .. قلتُ لها: نعم؛ اللهُ تعالى يُبقي لكِ قطَّتك " مِيمِي " .. ولَكِ أن تَطلُبي هذا الطلَب، وكلَّ مَا تَشْتَهِينَه وتُريدينَه .. فلا يُمنَعُ عنكِ شَيءٌ تُريدينَه، ولَا عنِ المؤمنين شيءٌ يُريدونَه ويتمنونَه يومَ

القِيامةِ، وهو مَا يقتضيه قولُه تعالى:[وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ]، أي ما تَطلبُون، وهذا وَعْدٌ مِن اللهِ .. ومَن أصدَقُ وأوْفَى مِنَ اللهِ وَعْدَاً؟!

* * * * *

وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللهِ وَعَمِلَ صَالِحاً

197- [وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً]؛ لَا أحَدَ أَحْسَن، [مِّمَّن دَعَا إِلَى اللهِ]؛ دَعَا إلى تَوحِيدِ اللهِ تعالى، وإلى عِبادَتِه، وإلى دينِه، على بصيرةٍ، وعلمٍ، [وَعَمِلَ صَالِحاً]؛ وقَرَنَ دَعوَتَهُ بالعمَلِ الصّالحِ؛ وهو كُلُّ ما وَافَقَ الكِتَابَ والسُّنَّة .. فلم يَقْتَصِرْ عمَلُه على الدَّعْوةِ مِن غَيرِ عمَلٍ لما يَدْعُو إليه مِنَ التَّوحِيدِ، والصَّلَاحِ، [وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ]فصلت:33. من المسْتَسلِمين، المنقادِين، والمطِيعين للهِ، ولدينِه .. ولأنَّ الدِّينَ عِندَ اللهِ الإسْلام.

198- [وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحاً وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ]فصلت:33. فيه بيانٌ لأهميَّةِ الدعوةِ إلى اللهِ في إصلاحِ النفْسِ، والجماعةِ، والمجتمَع .. كما فيه ترغيبٌ وتشويقٌ لكلِّ مسلمٍ ـ كان ذَكَرَاً أم أُنْثَى ـ أن يكونَ داعيةً إلى اللهِ تعالى .. وأن يكونَ مِن فئةِ الأحسَنِ من عبادِ اللهِ .. وأن يضعَ لنفْسِه هدَفاً كبيراً؛ وهو أن يكون داعيةً إلى اللهِ .. كل بحسب ما آتاهُ اللهُ من العِلمِ، والفهْمِ، والقُدْرَةِ .. وكل بحسب موقعِه ومكانتِه .. فلو لَمْ تُبَلِّـغْ ـ يا عبدَ الله ـ إلا آيةً أو حديثاً .. أو تدفعُ عن الإسلامِ شُبهةً أو بدعةً .. أو تكون سَبباً في هدايةِ ضَالٍّ .. أو تدلِّلُ على كلمةٍ أو مقالةٍ طيبةٍ نافِعةٍ، تنفعُ الناسَ في دينِهم ومعَاشِهم .. فأنتَ تدخلُ في عِدادِ الدُّعاةِ إلى اللهِ .. وبخاصَّة مع توفرِ وسائلِ التواصُلِ التي تُساعِدُ على نشرِ الكلمةِ الطيبةِ بأيسَرِ الطرُقِ .. فلا تزهَدَنّ بالقليلِ الذي بين يدَيك؛ فقد يكونُ كثيراً في ميزانِ حسناتِك .. وكثيراً عند غيرك ممَّن لم يؤتَ ما آتاكَ اللهُ .. وفي الحديث:" بلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً "البخاري. ومَا مِن صاحِبِ مشروعٍ دعوي ـ

مهما ابتدَأ مشروعَه متواضِعاً ـ إلا ولزمَه أمرَان، يتطوَّران، ويَزيدَان معَ الزمَنِ، ومِن خلال العملِ الدَّعوي: العملُ على تحسينِ مُستواه الدَّعَوي، والارتقاءُ بنفْسِه إيمانيَّاً، وعلمياً .. والعملُ على تطويرِ وتحسينِ مشروعِه الدَّعَوي؛ ليصبحَ أكثرَ اتسَاعاً وشمولاً .. المهم أن تَنوي، وتَبدَأ يا عبدَ الله!

* * * * *

ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ

199- [ادْفَعْ]؛ ادفَعْ سيئةَ مَن أسَاءَ إليك، [بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ]؛ ولا أحسَنُ من العَفْوِ والصَّفْحِ، مِن غيرِ عِتَابٍ، ولا مَنٍّ، ولا أذَى .. فإن فعَلْتَ ذلك،[فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ]فصلت:34. فالعدُو يَنقَلِبُ صديقاً ومُحبَّاً لك .. بعد أن كان عدوَّاً مُبغِضَاً .. والآيةُ فيها أن تَقليلَ الأعداءِ والعَداواتِ ـ ما أمكَنَ لذلك سَبيلاً ـ مَطلَبٌ شَرْعيٌّ، وعَقْليٌّ.

200- [ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ]فصلت:34. ليسَ كُلُّ سَيئةٍ يجوزُ أن تُقَابَل بمثْلِهَا .. بَلْ هنَاك كَثِيرٌ مِن السّيئاتِ تُقَابَل وتُدْفَع بالحَسَناتِ .. وبالإحْسَانِ .. وبِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ.

201- [وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ]؛ حَسَنَةُ التَّوحِيدِ، [وَلَا السَّيِّئَةُ]؛ سَيئةُ الشِّرْكِ .. فَلا يَستويَانِ أجْرَاً ولَا منزِلَةً في الدُّنيَا، والآخِرَةِ؛ فحَسَنَة التَّوحِيدِ تُخلِّدُ صاحِبَها في الجنَّةِ، وسَيئةُ الشِّركِ تخلِّدُ صاحِبَها في نَارِ جهنَّمَ أبَدَاً، [ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ]فصلت:34. هذه دَرَجَةُ الإحْسَانِ، وهي أَعْلى الدَّرَجَاتِ وأَمْثَلُهَا، وأعظَمُها أجْرَاً .. ومَن أرادَ الاقتصَاص، والمعامَلَة بالمثْلِ فقد أخَذَ بخيارِ العَدْلِ

.. وهو أقلُّ دَرَجَةً مِن الإحْسَانِ .. مَا لَمْ تَكُنْ الخصُومَةُ فِي الدِّينِ المنَزَّل، فحِينَئذٍ حَقُّ اللهِ عليكَ أن تَدفَعَ الباطِلَ بالحقِّ، والشِّرْكَ بالتَّوحِيدِ، والبِدْعَةَ بالسُّنَّةِ.

* * * * *

وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ

202- [وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ]فصلت:41. ومن عِزَّتِه أنَّه لا يَأتِي مَن يَأبَاه ويُعْرِضُ عنهُ، ولا يَنتَفعُ بهِ إلَّا مَنْ آمَنَ بهِ وأقبَلَ عَليه.

* * * * *

لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ

203- [لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ]؛ لَا سَبيلَ للباطِلِ وأهلِه ـ مهمَا حاوَلُوا، ومَكَرُوا، ومِن أيِّ جهةٍ جاؤوا، ومِن أيِّ مِلَّةٍ كانُوا ـ أن يُبْطِلُوا شَيئاً مِن القُرآنِ الكريم؛ لَا مِن تَنزيلِه، ولا مِن تَأويلِه .. ولا أن يَزيدُوا عليه حَرْفاً واحِداً، أو يُنقِصُوا مِنه حَرفاً واحِداً .. سَواء هذا الباطِلُ جاءَ مِمَّن سَبقَ نزولَ القُرآن الكريم مِن الأمَمِ السَّابقةِ مِن الكافرين الحاقِدين، أو مِمَّن جاؤوا، ويجيئون بعدَ نُزولِه مِن الكافرين الحاقِدِين، وإلى يومِ القيامَةِ .. فإنَّهم لو اجتمَعُوا جميعُهم على صَعيدٍ واحدٍ، لا يَستطيعُون أن يأتُوا بسُورةٍ مِن مِثْلِ هذا القُرآنِ، ولا أن يَزيدُوا عليه ـ ولا أن يُنقِصُوا مِنه ـ شَيئاً، ومَن يحاولُ فإنَّه يحاولُ عبَثاً، ومحاولَتُه تَرتَدُّ عليه بالخزْيِ والخسَرانِ؛ وذلك أنَّ اللهَ تعالى قد تكفَّلَ بحفظِه، ومِن تَكَفَّلَ اللهُ بحفظِه فَلَا ضَيعَةَ ولَا خَوْفَ عليه، [تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ]فصلت:42.

* * * * *

قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاء

204- [قُلْ هُوَ]؛ القُرآنُ الكريم، [لِلَّذِينَ آمَنُوا] حَصْراً؛ لأن الكافرَ المعرضَ، المعَارِضَ، والمدبرَ لَا يستفيدُ مما يُعرَضُ عليه .. وهو كلما ازداد إعْراضاً عن القرآنِ الكريم ازدادَ خسارَةً، وضياعاً، [هُدًى]؛ مِن الضلالِ إلى الهِدايَةِ .. ومن الباطلِ إلى الحقِّ .. ومِن ظلماتِ الجهلِ والشِّركِ إلى نورِ العلمِ والتوحِيدِ، [وَشِفَاء]فصلت:44. لكلِّ داءٍ ظاهرٍ أو باطِن .. فلم يُقيَّد الشفاءُ بما في الصُّدُور كما في سورةِ يونس الآية " 57 "، وإنما أُطلِقَ ليعمَّ الشفاءُ كلَّ داءٍ أينما كان موضِعه، وكان نوعه .. بما في ذلك الأمراضُ العضويَّةِ إذا وضعَ عليها القرآنُ، ورُقيَت بآياتِه، بصدْقٍ، وإخلاصٍ، ويَقين.

* * * * *

سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ

205- قوله تعالى:[سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ] فصلت:53. فيه دليلٌ أن الله تعالى قد أودعَ في الإنسانِ قُدرات كبيرة ـ سواء عرفَها أم جهلها ـ تمكّنُه من الصّعودِ إلى السّماء، ورؤية الآيات واكتشافها، ورؤية ما في النّفس البشريّة من دقائق وعظائم الآيات الباهِرات، واكتشاف واختراع ما يُعَد من لوازم تحقق رؤية الآيات في الآفاق وفي النّفس .. حتى يتبين له أن القرآنَ حقٌّ، وأنّ اللهَ تعالى هو الخالِقُ، وهو الحقُّ، وهو المعبود بحقٍّ.

وقوله تعالى:[سَنُرِيهِمْ]؛ يُفيدُ الاستِقبَالَ، والزَّمَنَ القَادِم .. والاسْتمرَارَ .. إلى مَتى ستَستمرُّ هذه الرؤيَةُ .. غَير محدَّدةٍ بزَمَنٍ نتوقَّفُ عنده الرُّؤيةُ .. وما هي المساحَةُ التي تَشْمَلُها الرُّؤيَةُ، وتمتَدُّ لها .. أيضاً غير محدَّدةٍ بمساحَةٍ محدَّدَةٍ .. مما يُعطي الإنسانَ الرُّخصَةَ والفُرصَةَ لبَذلِ مَزيدٍ مِن البَحثِ، والجَهدِ، والغَورِ في الاكتشافاتِ العِلميَّةِ، والاستفَادَةِ مِنْها.

206- مَهْمَا أُوْتِيَ الإنْسانُ مِن عِلْمٍ، فهو بِفَضْلِ [سَنُرِيهِمْ]فصلت53. ثمَّ هو بَعدَ ذلك مَحْكُومٌ ومختُومٌ عليه بقولِه تَعالى:[وَمَا أُوتِيتُم مِّن الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً]الإسراء:85.

* * * * *

فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ

207- [فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ]؛ وهم المؤمنُون الموحِّدُون، [وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ]الشورى:7. وهم الكافِرُون المشرِكُون!

* * * * *

لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ

208- [لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ]؛ نَفيٌ للأندَادِ، والشُّركاءِ .. ونَفيٌ أن يكونَ للهِ في جميعِ مخلوقاتِه مِثْل أو شَبيه، يُماثِلُه أو يشبهُه في شيءٍ مِن صِفاتِه وخصائصِه .. هذا النفي للتشْبيهِ يَشملُ نفي نوْعَي التَّشْبيه؛ نفيُ تَشبيهِ الخَالِق بالمخلُوقِ، ونفيُ تَشبيهِ المخلُوقِ بالخالِقِ؛ وهو أكثرُ اتِّسَاعاً وانتشاراً عند المشَبِّهين المشركين .. فقليلٌ هم الذين يقولُون اللهُ مِثل كَذا، أو يَشبهُ كذَا .. ولكن كثيرُون هم الذين يكون شِركُهم وكفرُهم مِن جهةِ تَشبيهِ المخلُوقِ بالخالِق، فينسبون إلى المخلُوقِ خصَائصَ وصِفَاتَ الألوهيَّةِ والربوبيَّةِ .. ومع ذلك كثيرٌ مِن النَّاسِ مَشغولٌ بردِّ ومُناقَشَةِ التَّشبيهِ الأولِ النَّادِر والقَليلِ، دُونَ التَّشبِيه الثَّاني الواسع والكَثِيرِ؛ لارتبَاطِه بالمخلُوقِ، وبالطَّواغِيتِ الظَّالمين الذين يُعبَدُون من دُونِ الله، والذين يَطيبُ لهم أن يَتشبَّهوا بخصَائصِ الألوهيَّةِ والربوبيَّةِ، وبما ليسَ فيهم، ولهُم، [وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ]الشورى:11. نفيُ التَّشبِيهِ، وأن يكونَ للهِ مِثْلٌ أو شَبيهٌ في مخلُوقاتِه، لا يَعني، ولا يَلزَمُ مِنه أن ننفِي مَا أثبَتَ اللهُ تعَالى لنفْسِه، وأثبَتَ النبيُّ صلى الله عليه وسلم لربِّه من الأسماءِ، والصِّفَاتِ مِن غَيرِ تَعطِيلٍ، ولا تحرِيفٍ، ولا تَشْبِيهٍ ولا تَمثِيلٍ .. والتي مِنها أنَّه تعَالى سميعٌ وبَصيرٌ؛ يَسمعُ ويَرَى؛ لا يَخفَى على سمعِهِ وبصَرِه شَيءٌ من مخلوقاتِه مَهمَا كان دَقِيقَاً وخَفيَّاً .. سُبحانَهُ وتعَالى.

* * * * *

وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ

209- [وَهُوَ]؛ اللهُ تعالى وحده؛ لا أحَدَ غيره، [الَّذِي]؛ يَقدرُ على أن [يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ]؛ فالتوبةُ بشروطِها تمحو مَا قَبلَها مِن السّيئاتِ؛ أيّاً كان نوعُها، وكان حجمُها، [وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ]؛ فلا يأخذُ عبادَه التائبين بسيئاتِهم؛ بل يعفو عنهم، وعمَّا كان مِنهم مِن سيئات .. وعليه لا يجوزُ أن يَنصرفُوا إلى غيرِه ـ أيّاً كان هذا الغَير ـ يسألونَه المغفرَة، وأن يعفُو عنهم، وعن ذنوبِهم، أو أن يتوسَّطَ لهم إلى اللهِ ليعفُو عن ذنوبِهم .. فهذا من الشِّركِ الذي لا يغفرُه اللهُ، إلَّا مَن تَابَ وجدَّدَ إيمانَه، [وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ]الشورى:25. مِن خَيرٍ أو شرٍّ، مَا تُظهرُون ومَا تُبطنُون، لا يخفَى عليه شيءٌ من أعمالِكُم .. فاتَّقُوه!

* * * * *

وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ

210- [وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ]؛ مِن العِبادِ مَن يَسأل اللهَ تعالى أن يُوسّعَ عليه في الرِّزقِ فوق حاجتِه .. وهؤلاء لَا يَعلمون لو أنَّ اللهَ تَعَالى أجابَهم لما يَطلبُون ويَسألُون لبَغَوا، وظلَمُوا، وأفسَدُوا في الأرضِ .. ولما أحسَنُوا التَّصرُّفَ بنعمةِ الغِنى والسَّعَةِ في الرِّزقِ .. ولقَسَت قلُوبُهم .. واللهُ تعالى يَعلمُ ذلك مِنهم .. فيمنَعُ عنهم التّوسُّعَ في الرِّزقِ رأفةً ورحمةً بِهم، وهم لَا يَشعرُون، كما يُمنَعُ المريضُ عمَّا يَضرُّهُ مِن الطَّعامِ .. وقَد ابتلى اللهُ أقواماً بالغِنَى الفَاحِشِ، بعدَ أن كانُوا فقراءَ؛ فحملَهُم الغِنى على الطُّغيانِ، والظُّلمِ، والفسَادِ، والبَطَرِ، والكِبرِ، والتَّعالِي على الخلْقِ، فكانَ الغِنى عليهم وبَالاً، والأمثِلَةُ على

هذا الصنفِ من الناسِ كثيرةٌ مِن الماضِي، والحاضِرِ .. والمستقبَلُ لن يخلُو مِنهم .. سِنَّةُ اللهِ تعالى في الظَّالمين .. وقَد قِيل:" خيرُ الرِّزقِ مَا لا يُطْغِيكَ، ولا يُلْهِيك ". [وَلَكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَاءُ]؛ ينزِّلُ من المالِ القَدْرَ الذي يَشَاءُ، على مَن يَشَاءُ، والذي يُناسِبُ عِبادَه، [إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ]الشورى:27. خبيرٌ بعبادِه؛ مَن يُفسِدُه الغِنَى ومَن لا يُفْسِدُه، ومَا هو القَدْر مِن المالِ الذي يتحمَّلُه ويَستحقُّه كُلُّ إنسانٍ .. فيُعطي كُلَّ إنسانٍ على قَدْرِ ما يَستطيعُ أن يتحمَّلَ .. إلا مَن أرادَ اللهُ فتنتَه؛ فهؤلاء يمدُّهم بالمالِ استدرَاجاً .. ليزدادُوا إثماً .. وليكونُوا عِبرةً لغَيرِهِم .. وليسَ محبَّةً لهم.

* * * * *

وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ

211- [وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ]؛ مِن بلاءٍ وشِدَّةٍ في أموالِكم، وأنفُسِكُم، [فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ]؛ مِن خطَايَا وذُنُوبٍ .. هذا هو الخيارُ الأوَّل الذي يَنبغي أن يُفزَع إليه، عند فهم وتفسير أسبابِ البَلاءِ، فلَا نُسارِعُ الذِّهَابَ إلى خِيارِ تَزكيَةِ النَّفسِ على اللهِ، [وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ]الشورى:30. مِن الخطَايا والذُّنُوبِ، فلا يُعاقِبُ عليها، لَا في الدُّنيا، ولا في الآخِرَة، وإنما يُقابِلُها بالعَفْوِ والغُفْرانِ، وهذا مِن رحمةِ، وحِلمِ الخالِقِ سُبحانه بعبادِه .. وقوله:[وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ]؛ فيه دلالة على بُطلان القول الشائع عند دُعاةِ " الكَارمَا "؛ دُعاةُ الطَّاقَة، والقائلُ أن كلَّ ذَنْبٍ لا محالَة، أن صاحِبَه سيُعاقَب عليه، وسيرَى في الدُّنيا وبَالَ صَنيعِه وذَنبِه.

* * * * *

وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ

212- [وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ]الشورى:37. كُلما كان العَفْو أقرَبَ إلى لحظَةِ الغَضَبِ، كان أفضَلَ، وأعظَمَ أجْرَاً .. العَفْو عِندَ انطِفَاءِ الغَضَبِ وانقضَائِهِ الكلُّ يُحسِنُه، بخلافِ العَفو عِندَ الغَضَبِ، والغَضَبُ في أوَّلِه!

* * * * *

وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ

213- [وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ]الشورى:38. كُلُّ أمْرٍ هامٍّ يهمُّ المسلمين ـ مِمَّا لَا نَصَّ فِيه ـ يخضَعُ للشُّورَى .. وعلى جميعِ المستوَيات .. وفي أيِّ مجالٍ مِن مجَالاتِ الحياةِ .. الخاصَّة والعَامَّة .. الاجتماعيَّةُ، والاقتصادِيَّةُ، والسياسِيَّةُ، والعَسكرِيَّةُ، والأخلاقِيَّة .. وكلما كان الأمرُ هامَّاً، تَعدَّى مصالحُه ومفاسِدُه للغيرِ كلَّما كانت الشُّورَى بحقِّه أوكَد، وأوْجَب .. ومِن محاسِنِ الشُّورَى أنَّها تَستخرجُ صفْوَةَ ما في عقُولِ المستشَارِين .. وتُوزِّعُ المسؤولياتِ والنتَائِجَ على جميعِ المستشَارِين؛ فيخفُّ الحَمْلُ مهمَا كان ثَقيلاً .. كما أنَّها وسيلةٌ راقِيةٌ مُتحضّرةٌ للمصَارَحَةِ والمفاتَحَةِ .. والمكاشَفَةِ .. وإخْرَاجِ مَا في النُّفُوسِ من كلامٍ، وأفكارٍ، وآراءٍ .. حَبْسُها في الصُّدورِ يَضرُّ بالجميع!

مِن مَسَاوِئ الاسْتِبْدَادِ، وتَغييبِ الشُّورَى .. عُزُوفُ أهْلِ المشُورَةِ، وأهْلِ الحَلِّ والعَقْدِ عن نَصِيحَةِ المستبِدِّ .. وعن إبدَاءِ آرَائِهم له .. وتَركُه يتخبَّطُ ويتَعَثَّرُ باسْتِبدَادِه!

* * * * *

فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللهِ

214- [فَمَنْ عَفَا]؛ عمَّن ظلمَهُ، وأسْقَطَ حَقَّهُ عليه، معَ قدرَتِه على الانتصَافِ مِنه، ولَمْ يُقابِلْ ظُلمَهُ وسيئتَه بسيئةٍ مماثِلةٍ، [وَأَصْلَحَ]؛ مَا فَسَدَ مِن حِبَالِ الودِّ والتواصُلِ بينَهُ وبينَ ظالمِه، [فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ]؛ فأجرُه ليسَ مِن النوعِ الذي تتَضَاعَف فيه الحسَنَةُ

إلى عَشْرةِ أضعَافٍ، إلى سبعمَائةِ ضَعْفٍ .. لَا .. بلْ أجرُه غير معلومٍ ولا محدَّدِ الحجمِ والكَمِّ؛ فهو مَتروكٌ لكَرَمِ، وجُودِ، وعَطاءِ اللهِ .. لَا يَعلمُ كم سيَتَضاعَفُ، ويتَعَاظَمُ، ويكبرُ إلَّا اللهُ، [إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ]الشورى:40. الذي يَبتدِئُ الظُّلمَ، والذي يَنتصِفُ لمظلمَتِه بظُلمٍ أكبرَ؛ فيُصْبحُ ظَالماً بعدَما كانَ مَظلُومَاً!

215- بالعَفْوِ تَتَمَتَّع في الدَّارَيْنِ أكْثَرَ مِنَ الانْتِصَافِ، [فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللهِ]الشورى:40. [وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللهُ لَكُمْ]النور:22. بَلَى!

216- مِن مَحَاذِيرِ الانْتِصَافِ ـ فِي زَمَانٍ تَغِيبُ فيهِ المحَاكِمُ التي تحْكُمُ بالعَدْلِ ـ قَلِيلٌ مَا يَسْلَمُ مِنَ الإسْرَافِ، فَتُقَابَلَ السَّيِّئَةُ بِسَيِّئَتَيْنِ، [وَاللهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ]آل عمران:57 . [إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ]البقرة:190.

217- مِن عَلامَاتِ التَّوفِيقِ وحُسْنِ الخِتَامِ؛ أنْ تَلْقَى اللهَ، وقَدْ عَفَوْتَ عَمَّن ظَلَمَكَ .. [وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ]فصلت:35.

* * * * *

وَلَمَنِ انتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُوْلَئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ

218- [وَلَمَنِ انتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُوْلَئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ]الشورى:41. ولمَن انتصَفَ مِن ظَالميه بَعدَما ظَلَمُوه، فانتصَرَ لنفْسِه ولحقُوقِه مِنهم، بالقَدْرِ ـ الكَم والكَيف ـ الذي ظلَمُوه به .. فهذا ليسَ عليه حَرَجٌ، ولا مؤاخَذَة .. وصَنيعُه لَا يخرَجُ عن صِفَةِ وحُدُودِ العَدْلِ.

* * * * *

وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَنشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتاً

219- [وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَنشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتاً كَذَلِكَ تُخْرَجُونَ]الزخرف:11. لمن ينكرونَ البَعْثَ، والنُّشُورَ، وينكرُون يومَ الحِسَاب .. كما أنَّ الله تعالى يُحيي أرضاً مَيتاً قاحِلَةً، مالحةً، جَدْبَاءَ، لا حَياةَ فيها لنبَاتٍ قَط .. بماءِ المطَرِ، يُنزلُه اللهُ تعالى بمقْدَارٍ محدَّدٍ يَنفعُ ولَا يَضرُّ؛ إذْ لو زَادَ لأضَرَّ، كذلك لو نقَصَ عن المقْدَارِ المطلُوبِ .. فتَخْضَرُّ، وتُزهِرُ، وتَزدَهِرُ، وتُعطِي الأرضُ عَطاءَها وثمارَهَا بإذنِ رَبِّها .. وهو مَا تَرونَه بأعيُنِكم، كذلك يُحيي اللهُ الموتَى، ويَبعثُهم مِن قُبورِهم لموقِفِ الحِسَابِ، بعدَ أن يكونُوا رُفَاتاً .. فالقادِرُ على إحياءِ الأرضِ بعدَ موتِها، قادِرٌ على إحياءِ الأجسَادِ بعدَ موتِها .. فاستدلَّ بحاضِرٍ مُشَاهَد، تُدركُه الأبصَارُ، على غائبٍ كائن، وآتٍ لا محَالَة .. لعلَّهم يَتفكَّرُون!

* * * * *

سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ

220- [سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ]؛ أعظَمُ الزُّورِ، وأظلمُ شَهادَةٍ يَشهدُ بها الكفَّارُ المشركُون؛ شَهادَتُهم أنَّ معَ اللهِ تعالى آلهةً أُخْرَى؛ [وَيُسْأَلُونَ]الزخرف:19. وسيُسْأَلُون ويحاسَبُون على شَهادَتِهم الكاذِبةِ، البَاطِلَةِ، الظَّالمةِ هذه!

221- [سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ]؛ كُلُّ مَن شَهِدَ شَهادَةَ زُورٍ أو باطلٍ .. وشَهِدَ على واقعٍ بغيرِ علمٍ، وبخلافِه، ستُكْتَبُ شَهادَتُه، [وَيُسْأَلُونَ]الزخرف:19. وسيُسألون عنها في الموقفِ الأكبر؛ يومَ لا ينفعُ مالٌ ولا بنُون!

صدَقَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم، يأتي زمانٌ تَرُقُّ فيه الأمانَةُ:" يُقالُ للرجُلِ ما أعْقَلَهُ! وما أظْرَفَهُ! وما أجْلَدَهُ! وما في قَلْبِهِ مِثْقالُ حَبَّةِ خَرْدَلٍ مِن إيمانٍ "متفق عليه.

* * * * *

وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ

222- [وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ]؛ في المِهَنِ، والميولِ، والهِمَمِ، فلِكُلٍّ بما آتاهُ اللهُ درجَة يَعْلُو بها على الآخَرِ، لا تَكْتَمِلُ الحياةُ ولا تَستقيمُ إلَّا به، [لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضاً سُخْرِيّاً]الزخرف:32. فكَما يَستخدِمُ الكبيرُ الصَّغيرَ، كذلك الصغيرُ يَستخدمُ الكبيرَ .. وكَما يَستخدِمُ الغَنِيُّ الفقيرَ، كذلك الفقيرُ يَستخدمُ الغنيَّ، وكما يَستخدمُ العالِمُ الجاهِلَ، كذلك يستخدم الجاهِلُ العالِمَ، وكَما يَستخدِمُ الحاكِمُ المحكُومين، كذلك يَستخدِمُ المحكُومُون الحاكِمَ .. فكُلٌّ رَاعٍ ومَرْعِيٌّ، خَادِمٌ ومخدُومٌ؛ خَادِمٌ للآخَرين فيما خَصَّهُ اللهُ به، مَخدُومٌ فيما يحتَاجُه مِن الآخَرِين .. وبذلك تَكتَمِلُ الحيَاةُ وتَستَمرُّ .. وهذا التنوعُ في الهِمَمِ، والمِهَنِ، والميولَات، الذي به تَكتملُ الحياةُ وتَسْتَقيمُ، وتَستَمِرُّ، مِن أعْظَمِ الدَّلالاتِ على عَظَمَةِ الخالِقِ سُبحانَه وتعالى.

223- [وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضاً سُخْرِيّاً]الزخرف:32. سُخْرِيّاً؛ ليسَت للتَّعَالِي والتَّفاضُلِ، أو للدَّلالة على أفضَلِيَّةِ طبقَةٍ على طبَقة .. أو فئة مِن شَرائِحِ المجتمع على فئة أخرَى .. لا .. وإنما هي للدَّلالة على التَّنَوّع، والتَّكامُلِ الضَّروري الذي به تنهضُ المجتمَعَات .. وتستَمِرَّ الحيَاة .. فالكلُّ ومِن دونِ استِثْناءٍ؛ الحاكِمُ والمحكُوم .. الأميرُ والمأمُور .. الغَنِي والفَقِيرُ .. الشَّريفُ والوَضِيعُ .. العَالِمُ والمتعَلِّمُ .. الزَّوجُ والزَّوجَةُ .. التَّاجِرُ، والعَامِلُ .. والمزَارِعُ .. كُلُّهم " سُخْرِيّاً "؛ يخدُم بَعضُهم بَعضاً، وكُلُّهم خَادِمٌ في مَواضِع، ومخدُومٌ في مَواضِع بحسَبِ مَوقِعِه .. وهذا من عَظِيمِ حكمَةِ اللهِ تَعَالى

في خَلْقِه .. تَصوَّروا لو كان كلُّ أفرادِ المجتمَع أطبَّاء أو عُلماء .. أو مُهندِسين .. أو رؤَساء .. أو مِن ذَوي المهنَةِ الواحِدَةِ .. هل يمكن لهذا المجتمَع أن يَعيشَ أو أن تُكتب له الحياةُ .. فسُبحانَ مَن وزَّعَ الاهتِمامَات، والمهَنَ، والتَّخصُّصات على عبادِه، ورَضَّى كُلَّ امرِئٍ بمهنتِه وعمَلِه؟!

* * * * *

وَلَوْلَا أَن يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً

224- [وَلَوْلَا أَن يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً]؛ يجتمعُون على الكُفرِ .. فيظنُّون أنَّ الكُفرَ سببٌ من أسبابِ الغِنَى .. وأن الغِنى علامةٌ دالَّةٌ على رِضَا اللهِ على الكافرين .. فيكفرُون بالله، [لَجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفاً مِّن فَضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ]الزخرف:33. قِّةُ الغِنَى، والتَّرفِ، والإسرافِ .. إمعَاناً في فِتْنَتِهم وزِيَادةً في الاسْتِدْرَاجِ .. لكِن اللهَ تعالى لم يُقَدِّرْ لهم ذلك؛ فجَعلَ منهم الغَنيَّ والفَقيرَ .. رحمةً بعبادِه المؤمنين، وحتى لا يُفتَنُونَ في دِينِهم .. ومع ذلك يُوجَدُ من ضُعفاءِ الإيمانِ مَن يَنظرُ إلى غِنَى بعضِ الكافِرين، في بَعضِ الأمْصَارِ على أنَّه عَلامَةٌ على صِحَّةِ مَنهجِهم وطريقَتِهم، وعَلامةٌ على أنَّ اللهَ تعالى يحبُّ الكافِرين!

* * * * *

فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ

225- [فَاسْتَمْسِكْ]؛ خِطابٌ للنبي صلى الله عليه وسلم، ولأمَّتِه من بَعدِه، بأن يَتَمَسَّكُوا بقوَّةٍ، [بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ]؛ القُرآنُ والسُّنَّة .. وجاءَ الأمرُ بالتمسُّكِ بقوَّةٍ؛ لأنَّ محاولاتِ شَياطينِ الأنسِ والجِنِّ في صَدِّ المؤمنين عن الحَقِّ المنَزَّلِ، وصَرْفِهم عنه، لَا، ولَن تَتوقَّفَ .. فهي مستمرَّةٌ استِمرَارَ الليلِ والنَّهارِ، وعلى مَدَارِ الوقتِ .. مما يَستَدعِي اليقَظَةَ

والحَذَرَ، والتَّمسكَ بقوَّةٍ .. وزِيادَة في التَّثْبيتِ على الحقِّ المنَزَّل [إِنَّكَ]؛ أنتَ، ومَن آمَن مَعَك، ومَا أنتم عليه مِن هُدَى وشَرَائِع، [عَلَى صِرَاطٍ] على طَريقٍ ونَهْجٍ [مُّسْتَقِيمٍ]الزخرف:43. حَقٍّ لا رَيْبَ، ولا لَبْسَ، ولا اعوِجَاجَ فِيه .. فَلَا يَحْمِلَنَّكُم كَيدُ الكافِرين ومَكْرُهُم عَلى الشَّكِّ في ذلِك.

226- [فَاسْتَمْسِكْ] ؛ خِطابٌ للنبي صلى الله عليه وسلم، ولأُمَّتِه من بَعدِه، بأن يَتَمَسَّكُوا بقوَّةٍ، [بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ] ؛ القُرآنُ والسُّنَّة .. فكلاهما وحيٌ .. وجاءَ الأمرُ بالتمسُّكِ بقوَّةٍ؛ لأنَّ محاولاتِ شَياطينِ الأنسِ والجِنِّ في صَدِّ المؤمنين عن الحَقِّ المنَزَّلِ، وصَرْفِهم عنه، لَا، ولَن تَتوقَّف .. فهي مستمرَّةٌ استِمرَارَ الليلِ والنَّهارِ، وعلى مَدَارِ الوقتِ .. مما يَستَدعِي اليقَظَةَ والحَذَرَ، والتَّمسكَ بقوَّةٍ .. وزِيادَة في التَّثْبيتِ على الحقِّ المنَزَّل [إِنَّكَ] ؛ أنتَ، ومَن آمَن مَعَك، ومَا أنتم عليه مِن هُدَى وشَرَائِع، [عَلَى صِرَاطٍ] على طَريقٍ ونَهْجٍ [مُّسْتَقِيمٍ]الزخرف:43. حَقٍّ لا رَيْبَ، ولا لَبْسَ، ولا اعوِجَاجَ فِيه .. فَلَا يَحْمِلَنَّكُم كَيدُ الكافرين ومَكْرُهُم على الشَّكِّ في ذلك.

* * * * *

فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ

227- [فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ]الزخرف:54. أَكْثرُ مَا يُسَاعِدُ الطُّغَاةِ على الاسْتِخْفَافِ بالشُّعُوبِ، واستِعْبَادِهم: الجَهْلُ، ثمَّ الجُبْنُ، والوَهْن.

228- [فَاسْتَخَفَّ]؛ فِرْعَوْنُ، [قَوْمَهُ] شَعبَهُ؛ باستعبادِهِم، وإذلالِهِم، واحتقَارِهم، واستِصْغَارِهم، وعَدمِ اعتِبَارِهم واستشارَتِهم، واحتِكارِ السُّلطاتِ كلها

لنَفْسِه مِن دونِهم، وادِّعائِه الربُوبيَّة والألُوهيَّة عليهم، [فَأَطَاعُوهُ]الزخرف:54. فاتَّبعُوه، وامتَثَلُوا أمْرَهُ في زَعمِه وإدِّعائِه الألوهيَّة والربُوبيَّة!

229- [فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ]الزخرف:54. اسْتَحْمَرَهُم، فَأَطَاعُوه، واتَّبَعُوه!

230- هذا النَّهجُ الفِرعَوني في القِيادَةِ والحُكْمِ .. ليسَ حقبةً مِن الزَّمَنِ قد انقضَت وولَّت .. لَا .. بل هو نَهجٌ مُتجدِّدٌ باستمرارٍ .. نُعَايشُه ونُكابِدُه .. يجدِّدُه طُغاةُ الحُكمِ والظُّلمِ مِن أحفادِ فِرعون ـ على مَدارِ العصُور ـ الذين يَنشدُون طَاعَةَ شعُوبِهم لذواتِهم وحُكمِهم مِن خِلالِ استعبَادِهم، وإذْلالِهم، وظُلمِهم، وتخويفِهم، وسْجنِهم، وتجويعِهم .. وما أكثر الطُّغَاةُ الذين يَسلكُونَ هذا المَسْلك الفِرْعَوني في الحُكْمِ مع شعُوبِهم في زَمانِنَا، لو أرَدْنَا أن نُعَدِّدَ، ونَذْكُرَ الأسماءَ!

* * * * *

فَلَمَّا آسَفُونَا انتَقَمْنَا مِنْهُمْ

231- [فَلَمَّا آسَفُونَا]؛ أَغْضَبُونَا وأسخَطُونَا بركُوبِهم للكُفْرِ، والظُّلمِ، والفُسُوقِ، والعُصْيَانِ، [انتَقَمْنَا مِنْهُمْ]الزخرف:55. في الدُّنْيَا، وفي الآخِرَةِ لهم عَذَابٌ أليم .. سُنَّةٌ مِن سُنَنِ اللهِ في خَلْقِه لا تَتخلَّفُ، وهي أنَّ الانتقامَ يَنزلُ بالكافِرين الظَّالمِين، الفاسِقين، في الدُّنيَا قبلَ الآخِرَةِ، ولو بعدَ حِين .. قَد يتأَخَّرُ الانتِقامُ لمزِيدٍ مِن الاستِدْرَاجِ، وابتلاءً وتمحيصاً للمؤمنِين، ولحكمةٍ يُريدُها اللهُ .. لكن لا يمتَنعُ عنهم الانتِقَامُ ولا يُمسَك!

* * * * *

إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ

232- [إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ]، الأمانةُ هي؛ الدِّينُ كُلُّه، والتَّكاليفُ كُلها، [عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا]؛ فاعتَذَرْن مِن حملِها مِن غيرِ اعتراضٍ ولا عُصيانٍ .. فرَقاً وخوفاً مِن أن لَا يُؤدُّوا حقَّها كما يَنبغي، أو أن يُقَصِّرُوا في أداءِ حَقِّها، [وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ]الأحزاب:72. ورضيَ الإنسانُ ـ ممثَّلاً بأبي البشريَّةِ والناطقِ باسمِهم جميعاً آدم عليه السلام ـ بأن يحملَ الأمانَةَ، ويُؤدِّي حقَّهَا .. وقبولُه لها مُلْزِمٌ لجميعِ أبنائِه مِن بعدِه، وإلى يومِ القِيامَةِ .. فلَا يحقُّ لأحَدٍ مِن بعدِه أن يَرفضَ الأمانَةَ، ويأبَى أن يحملَها .. فإن قالَ قائلٌ مِن الكَافِرين: أنَا لَا أقبلُ الأمانَةَ، وأرفضُها، وأردُّها .. وهي مُلزِمَةٌ لأبي آدَم مِن دُوني .. فهذَا لا يؤثِّرُ على صحَّةِ الصَّفْقَةِ، والعَقْدِ، وقبُولِ الأمانَةِ مِن الأساسِ .. وإنما هو فقَط يحكمُ على نفْسِه بالإنسلاخِ مِن صِفَةِ الإنسانِ السَّوي والعَاقِلِ، والبارِّ بعهدِ أبِيه .. ليستَوي مع الدَّوابِ، والحيوانَاتِ، والجمادَاتِ في رفضِهم للأمَانَةِ .. معَ فارِقٍ كبيرٍ؛ أنَّ الجمادَات أبَت أن تحملَ الأمانَةَ بأدَبٍ وخضُوعٍ، وخَشيَةٍ، وخَوفٍ مِن التَّفريطِ بحقِّها .. بينَما هذا الكَافِر يرفضُ الأمانَةَ كِبراً، وتَعَالياً، وجُحُوداً .. وعصَيَّاناً .. فلَا يَستويَان مَثَلاً!

* * * * *

وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاء إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ

233- [وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاء إِلَهٌ]؛ مَعبودٌ بحقٍّ، لا شَريكَ له .. والمشركُون غالِباً لا يُجادِلُون حولَ هذا الحقِّ؛ لأنَّهم لا سُلطانَ لهم على السَّماءِ .. ولا مَطْمَعَ لهم فيها .. وإنما يُجَادِلُون فِيما لهم فيه سُلطان ومَطْمَعٌ؛ وهي الأرض .. فجَاءَهم الجوابُ، [وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ]الزخرف:84. فكَما هو سُبحانه المعْبُودُ والمطاعُ بِحقٍّ في السَّماءِ، فهو كذلك

المعبودُ والمطاعُ بحقٍّ في الأرضِ، لا شَريكَ لَه، والتَّسليمُ بأنَّه المعْبودُ بحقٍّ في السَّماءِ، يَقْتَضِي التَّسليمَ بأنَّهُ المعبودُ بحقٍّ في الأرضِ .. فكُلٌّ منهما يَقْتَضِي الآخَر، ولازِمٌ لَه.

* * * * *

وَأَنْ لَّا تَعْلُوا عَلَى اللَّهِ

234- [وَأَنْ لَّا تَعْلُوا عَلَى اللَّهِ]الدخان:19. أن لَّا تَعْصُوا اللهَ، ولا تَتَعَالوا، وتَتكبَّرُوا على أمرِهِ، وحُكْمِهِ الشَّرْعي ...!

* * * * *

وَإِنْ لَّمْ تُؤْمِنُوا لِي فَاعْتَزِلُونِ

235- [وَإِنْ لَّمْ تُؤْمِنُوا لِي]؛ تُصدِّقُوني بأنِّي رسولُ اللهِ إليكم .. وأبيتم إلَّا الإعراضَ والكفرَ، [فَاعْتَزِلُونِ]الدخان:21. كفُّوا أذاكم وشرَّكُم عني .. ابتعدُوا عنِّي؛ لا تقربوني، ولا أقربُكم .. لي عملي، ولكُم أعمالُكم .. فاعتزالُ الشَّرِّ والأشرارِ خيارٌ دَلَّت عليه نصوصُ الشَّريعةِ، عندما تتحقَّقُ شُروطُه .. وهنا قاعِدةٌ في اعتزالِ الشَّرِّ يحسنُ ذِكْرُها: إن كانَ الشَّرُّ واحِداً؛ يجبُ اعتزالُه؛ سواءٌ كان الشرُّ كبيراً، أم صَغيراً .. فإن كان الشَّرُّ شَرَّان متسَاويَان ومتقَارِبَان في الشَّرِّ؛ أيضاً يجبُ اعتزالهما معَاً، حتى لو كانَا يجريَان ـ أو يجري أحدُهمَا ـ عليكَ بغيرِ رِضَاكَ .. وإن كان الشرُّ شرَّان أحدُهما أكبرُ من الآخَر، وأنتَ في الخِيار، لا يجري عليكَ أحدُهمَا، ولا تتأثَّر بأحدِهما ـ في دينِك، ومعَاشِك، وأمْنِكَ ـ يجب اعتزالهمَا معَاً .. أما إن كان الشَّرُّ شرَّان؛ أحدُهما أكبرُ من الآخَر، وكلاهمَا يجريان عليكَ لا محالَة، وكان لا بدّ لك من الاختيارِ، واختيارُك له دورٌ وأثرٌ في دَفْعِ الشرِّ الأكبَر؛ هنَا العَقْلُ والنَّقْلُ يُلزِمَانِك باختيارِ أقلِّهما شَرَّاً، وضَرَراً .. وهذا لا يَعني ولا يُفيد بأنَّك تَرضَى الشرَّ الأصغَر، والضَّرَرَ الأصْغَر .. لَا .. وإنما يَعني أنَّك تَرضَى بتقليلِ الشَّرِّ والضَّرَرِ .. وتريدُ دفعَ الشَّرِّ الأكبر بالشَّرِّ الأصغَرِ، والضَّررِ الأكبَر بالضَّرَرِ الأصْغَر .. هذا الذي دَلَّ عليه النَّقْلُ، والعَقْلُ .. وقولُنا باعتزَالِ الشَّرِّ على ضَوءِ مَا ذُكِرَ أعْلَاه؛ لا يَعني اعتزالَ نصْح

الأشرَارِ، وعدَمِ أمرِهِم بالمعروفِ، ونهيهم عن المنكرِ .. وعدَمِ الأخذِ على يدِ الظَّالِمِ مِنهم .. فهذا أمرٌ آخَر، ومختلِفٌ عن مَعنَى الاعتزالِ الذي أرَدناهُ، وأشَرْنَا إليه أعلَاه.

* * * * *

فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاء وَالْأَرْضُ

236- [فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاء وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ]الدخان:29. مَن ماتَ على الكُفْرِ .. أو استعْجَلَ الموتَ على الكُفْرِ .. فلَن يَضرَّ إلَّا نَفْسَه .. فلا يحسَبنَّ أنه بكفْرِه، واستعْجالِه الموتَ والانتحارَ .. سيَبْكيه الناسُ .. وسَتَبْكيه السَّماءُ والأرضُ .. لَا .. فالسماءُ والأرضُ لا تَبكيان لموتِ كافرٍ، ولا لمُنتَحرٍ يَستعْجِلُ نهايتَه، وإنما تَبكيان لموتِ المؤمنِ الصَّابرِ المحتَسِب؛ فتَبْكيه مواضعُ عبادَتِه، وسُجودِه وصَلاتِه، وآثارِه الحسَنَة .. هذا مَا يَقتضِيه مَفهومُ المخالفة .. ومَفْهومُ المبَاينَة؛ إذ لو كان المؤمنُ يشتركُ مع الكافرِ في هذه الخاصيَّة؛ وهي عَدَم بكاءِ السماءِ والأرض، لما خُصَّ الكافرُون بالذِّكرِ وحدهم دُون غَيرِهم .. وفي الحديثِ المرْسَل:" ألا لا غُربةَ على مؤمنٍ؛ ما مَاتَ مؤمنٌ في غُربةٍ غابَت عنه فيها بواكِيه إلا بَكتِ عليه السَّماءُ والأرضُ، ثُمَّ قرأَ رسولُ اللَّه صلَّى اللَّهُ عليه وسلَّم:[فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالأَرْضُ]؛ ثُمَّ قال: إنَّهما لَا يَبكيانِ على كافرٍ ". [وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ]؛ فإذا جاءَ أجَلُهم المكتُوبُ .. وجاءَ أجَلُ عقابِهم .. أُخِذُوا بالعقابِ .. ولَمْ يُمْهَلُوا لحظةً واحِدَة.

* * * * *

مَنْ عَمِلَ صَالِحاً فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا

237- [مَنْ عَمِلَ صَالِحاً فَلِنَفْسِهِ]؛ بِمَا في ذلك الخير الذي تعمَلُه لغَيرِك؛ فأنتَ تعمَلُه لنَفْسِك، وخَيرُه يَرتدُّ عليكَ في الدُّنيا والآخِرَةِ، [وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا]الجاثية:15. حتَّى لو أَسأْتَ لغَيرِك؛ فأنتَ على الحقِيقَةِ تُسيءُ لنَفْسِك .. وستَجِدُ عاقِبَةَ إِسَاءتِك في الدُّنيا والآخِرَة.

* * * * *

فَمَا اخْتَلَفُوا إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءهُمُ الْعِلْمُ بَغْياً بَيْنَهُمْ

238- [فَمَا اخْتَلَفُوا إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءهُمُ الْعِلْمُ بَغْياً بَيْنَهُمْ]الجاثية:17. العِلمُ يُوجِبُ الاتفاقَ، والاجتمَاعَ .. لكن عندما يجتمعُ في النفُوسِ الحسَدُ، والطَّمَعُ، والحرصُ، وحُبُّ الرِّياسَةِ .. يَضعفُ أثَرُ العِلمِ في النُّفوسِ .. ويحلُّ البَغيُ، والتَّفرُّقُ مكانَ الاتِّفاقِ والاجتمَاع!

* * * * *

وَاللهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ

239- [وَاللهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ]الجاثية:19. مَن صَدَقَ اللهَ في ولايَتِه .. صَدَقَهُ اللهُ في ولايَتِه، وكانَ وليًّا، وناصِرًا، ومُعِيناً له .. يتعاهَدُه بلطْفِه، وعِنَايَتِه .. ورِعَايَتِه .. ويُقاتِلُ دُونَهُ، ومَعَه .. وهو يَدْرِي أو لَا يَدْرِي .. هذا في الدُّنْيَا .. أمَّا في الآخِرَةِ فتَتَجَلَّى الولايَةُ في أعظَمِ وأكمَلِ صورِها؛ حيثُ الرضْوَانُ، والأَمَانُ، والجِنَانُ، والنَّعِيمُ العَظِيمُ المقِيمُ والدَّائمُ .. والجَمَالُ في أكمَلِ وأجَلِّ صوَرِه .. الذي لا يُكَدِّرُه شَيءٌ .. ومَهمَا بالَغْنَا في الوصْفِ فهو أعظَمُ، وألَذُّ، وأجمَلُ!

240- الناسُ يتخذُون بَعضَهم بَعْضَاً أولياءَ .. وكلُّ وليٍّ مِنهم يعتَدُّ ويعتزُّ بوليِّهِ الآخَر وبقوَّته، وجاهِهِ .. فَرِحٌ بِه .. وما أجملَك وأقواكَ، وأعزَّكَ، وأمنَعَكَ، وأوفرَك حَظَّاً ـ أنتَ يا عبدَ الله ـ أنْ تَتخذَ اللهَ وليَّاً لك .. أن تَلوذَ بولايَتِه؛ فلا تُوَالي إلا ما يُحبُّه ويرضَاه لَك .. اللهمَّ أنتَ وليُّنَا فوقَ الأرضِ .. وتحتَ الأرْضِ .. ويَومَ العَرْضِ عَلِيك .. وأنْتَ أرحَمُ الرَّاحمين.

* * * * *

أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ

241- [أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ]؛ محورُ اهتمامَاتِه نفسُه، ومَا تميلُ إليه وتَرغبُه، وتَهواه، ولَا شَيءَ غير نفسِه وما يهوَى؛ فهو يتألَّه نفسَه، ويَعبدُها من دُونِ الله؛ فما تميلُ إليه نفسُه وتَهواه وتَرغبُه، يأتيه ويَركَبُه، ويَنقادُ ويَسعَى إليه، وما تَستحسنه نفسُه فهو الحسَنُ، وهو الجميلُ، وهو الحقُّ، ومَا تستقبحُه نفسُه، ولَا تُريدُه فهو القَبيحُ، وهو السَّيء، وهو البَاطلَ .. فيجعَلُ مِن نفسِه ومَا تَهوى حَكماً على الأشياءِ بالحسْنِ أو القُبْحِ، بالحلِّ أو الحرمَةِ، [وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ]؛ مِنه سُبحانه؛ بأنه سيتألَّه نفسه وما تَهوى من دُونِ اللهِ، وأنه ـ بما أُشرِبَ مِن هَواه ـ لن يَهتَدِي ولن يَستفيد مِن الآياتِ، فكتَب عليه الضلالَ عن الحقِّ، والصِّراطِ المستقيم، [وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ]؛ فلم يَعُد يَنتفعُ بسمعِه لدينِه وآخِرَتِه .. وإنما يَنتفع به بما يُشبعُ هواه، ورغبَات نفسِه وحَسْب، وهو لو سمعَ الخطابَ الشَّرعي يَفهم دلالاتِه اللُّغوية مِن غيرِ أن ينقادَ له، أو يستفيدَ منه لدنياه وآخِرَتِه، فيكونُ سمعُه حجةً عليه يومَ القِيامَة، [وَقَلْبِهِ]؛ فلم يَعد يعقلُ في قلبِه شيئاً مما ينفعُه يومَ القيامَةِ، فلا مُتسعَ في قَلبِه إلَّا لما يَهوى وحَسْب، [وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً]؛ أيضاً بَصرُه لم يَعُد

يَرى الأشياءَ والمعَاني على حقيقتِها؛ فيرَى الحق باطِلاً، والباطلَ حقَّاً، والحلالَ حراماً، والحرامَ حَلالاً، والجميلَ قبيحاً، والقبيحَ جميلاً بحسبِ ما يُملي عليه إلهه هواه .. فتتعطَّل لديه الحواسُّ؛ فلم يعد ينتفع بها لما قَد خُلِقَت له، سوى مَا يُلبي هواه ورغباته مِن متَاع الدُّنيَا، [فَمَن يَهْدِيهِ مِن بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ]الجاثية:23. قال الطَّبري في التفسير:" فمن يوفِّقه لإصابة الحقّ، وإبصارِ محجَّةِ الرشدِ بعد إضلالِ الله إيَّاه، [أفَلا تَذَكَّرُونَ] أيها النَّاس، فتَعلمُوا أنَّ مَن فعَل اللهُ به ما وصفنَا، فلَن يَهتدي أبَداً، ولَن يجدَ لنفسِه وليّاً مُرشِداً ".

* * * * *

سورة الأحقاف

إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا

242- [إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ]؛ شَهِدُوا ظاهِراً وباطِناً .. بالقولِ والفِعلِ شهادَةَ التَّوحِيدِ " لا إله إلا الله "، [ثُمَّ اسْتَقَامُوا]؛ على العَمَلِ بالتَّوحيدِ، ومقتضياتِه من الطّاعَاتِ، حتَّى المماتِ، ولم يَلتفِتُوا عنه إلى غيرِه .. فَلا يكفِي القَولُ مِن غيرِ عمَلٍ؛ إذْ لا بُدَّ من الاستِقامَةِ على القَولِ بالعَمَلِ .. والاستقامَةُ تُفيدُ مَعنيَيْن: الثَّبَاتُ على الطَّريقِ المستقيمِ مِن غيرِ التفَاتٍ إلى الطُّرُقِ الأُخْرَى .. والثبَاتُ على الطريقِ إلى المماتِ، ولا يُقبَلُ بأقلِّ من المماتِ بسَاعةٍ واحدةٍ، بَل ولا دَقيقَةٍ واحِدةٍ .. هؤلاء [فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ]؛ ممَّا هو آتٍ، ويَنتَظرُهُم؛ فوقَ الأرضِ، وتحتَ الأرضِ، ويومَ العَرْضِ، [وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ]الأحقاف:13. على مَا فاتَهم، وتركُوه في الدُّنيا مِن بعدِهِم!

243- وفي الحديث:" قُلْ آمَنتُ باللهِ، ثمَّ اسْتَقِمْ "مسلم. اسْتَقِم بالعمَلِ على مَا آمَنْتَ به .. هذا هو المطلوبُ مِنك .. وهذا الذي يجبُ أن تحرصَ عليه، وتتمسَّكَ به .. وليسَ عليكَ بعدَ ذلك مِن شَيءٍ .. كما ليسَ لكَ وراءَ ذلك أن تَشترطَ على الإيمانِ، والاستقامَةِ عرَضَاً من عرُوضِ الدُّنيا، أو أن تَبْلُغَ غايَاتِك، وأهدافَكَ في الحيَاةِ الدُّنْيا .. لَا؛ فهذا ليسَ لك .. وإنما هو للهِ تعالى وحدَه، إن شاءَ اللهُ أعطَاكَهُ، وإن شَاءَ منَعَك .. واعلَمْ أنَّ مِنَ الأنبيَاءِ مَن لا يُؤمِنُ بهِ إلَّا الرَّجلُ الواحِدُ!

* * * * *

وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَا

244- [وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَا أَتَعِدَانِنِي أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتْ الْقُرُونُ مِن قَبْلِي وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ اللَّهَ وَيْلَكَ آمِنْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ]الأحقاف:17. هذا الحوارُ بين الوالِدَين المؤمنَين، وبينَ ولدِهما العاصِي والعَاق .. يمثِّلُ كلَّ حوارٍ - في كلِّ زمانٍ ومكانٍ - بينَ الحقِّ وبينَ الباطِلِ .. بينَ الهِدايَةِ وبينَ الضَّلالِ .. بينَ الإيمانِ، وبينَ الكُفْرِ، والإلحادِ .. بينَ الطَّاعَةِ وبينَ المعصيَةِ .. بين الرِّضَا وبينَ العُقُوق .. كم مِن والِدٍ يأمرُ أبناءَه بالصَّلاةِ، ومُصَاحبَةِ الأخيَارِ، واجتنَابِ الأشرَارِ، فيُقابلُ الأبناءُ أمرَه وطلبَهُ بالاستخفَافِ، والاستهزَاءِ، والإعرَاضِ .. وكم مِن أمٍّ تأمرُ ابنتَها بالحجابِ، والسِّترِ، والعفَافِ .. فتُقابلُ البنتُ طلَبَ أُمِّها بالرَّفضِ، والاستخفَافِ، والاستهزَاءِ .. ولهؤلاءِ جميعًا، ولمن كان على شَاكلتِهم مِن العُصَاةِ العَاقِّين لرضَا اللهِ، ورِضَا الوالِدَين، على مَا بينَهم مِن تَفاوتٍ في درجَةِ الانحرَافِ، يُقَال لهم:[وَيْلَكَ آمِنْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ].

* * * * *

فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ

245- [فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ]الأحقاف:35. هذا أمرٌ مِن اللهِ تعالى للنبي صلى الله عليه وسلم، وللعلماءِ مِن أمَّتِه مِن بَعدِه، وإلى قِيامِ السَّاعةِ .. بأن يَصبروا على أذَى المخالفين لهم مِن الناسِ .. وأن يمضُوا إلى ما أمرَهم اللهُ به .. وأن يجعلُوا مِن أُولي العَزْمِ من الرُّسُلِ قدوةً ومثَلاً أعلى لهم في الصَّبرِ على أذَى قومِهم، وفي الثباتِ، ومواجهةِ الشدائدِ، وهم: نوحٌ، وإبراهيمُ، ومُوسَى، وعيسَى عليهم السلام .. وأن لا يَستعجلُوا نزولَ العذَابِ على المخالِفين .. فهذا أمرٌ مردُّه إلى اللهِ تعالى وحدَه .. إن

شَاءَ رحمَهم، وهدَاهم، وأخرجَ من أصلابِهم مَن يوحِّدَ الله .. وإن شَاءَ عذَّبَهم، وأخذَهم أخْذَ عزِيزٍ مُقتَدِر .. فله الأمرُ مِن قَبلُ ومِن بَعد .. أمَّا الدُّعَاةُ إلى اللهِ تعالى فهمُّهم الأكبرُ والأساسُ دَعوَةُ الناسِ، وأطرهِم إلى الحقِّ .. وليسَ استعجَالَ نزُولِ العَذابِ بِهم.

246- [فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ]الأحقاف:35.

لكي يتمكَّن العلماءُ والدعاةُ إلى اللهِ تعالى أن يَصبرُوا صَبرَ أُولِي العَزمِ من الرُّسُلِ، وهُم: نوحٌ، وإبراهيمُ، ومُوسَى، وعيسَى، ومحمَّدٌ صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين .. فهذا يَستدعِي مِنهم أن يكونُوا على دِرايَةٍ جيدَةٍ مِن سِيرَةِ وجِهَادِ وصَبْرِ أُولِي العَزْمِ مِن الرُّسُلِ .. وأن تُعَمَّم دِرَاسَةُ سِيرَتِهم على التَّلاميذِ وطُلَّابِ العِلْم .. فالآيةُ فيها حضٌّ على التفقُّه بسيرَةِ أُوْلِي العَزْمِ مِن الرُّسُلِ .. وإلَّا كيف يمكنُ الاقتدَاءُ بهم في الصَّبرِ، والثباتِ، والجِهَادِ .. وأن نجعَلَ مِنهم لأنفُسِنا قُدوةً ومثَلاً أعلَى .. ونحنُ نجهلُ سِيرتهم العَطِرَة؟!

* * * * *

سورة محمد

ذَلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ

247- [ذَلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ]؛ الكُفرَ، والشِّركَ، [وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ]محمد:3. الإيمانَ، والتَّوحِيدَ.

* * * * *

وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانتَصَرَ مِنْهُمْ

248- [وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانتَصَرَ مِنْهُمْ]؛ لانتصَرَ مِنَ الكافرين المحارِبين بـ " كُنْ " فيكُون، مهمَا كانَت قوَّتُهم، وكان عددُهم، وكانت عِدَّتُهم .. فاللهُ تعالى لَا يُعجِزُه شيءٌ، وهو القَاهرُ فوقَ عبادِه، [وَلَكِن لِّيَبْلُوَ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ]؛ ولكن قضَت مَشيئةُ وحكمةُ اللهِ تعالى أن يبتليَ المؤمنين بالكافِرين، وأن يتدافعَ الحقُّ وأهلُه معَ الباطلِ وأهلِه، فيُدْفَعُ الباطِلُ بالحقِّ، فيدمَغُه .. وأن يُظهرَ عِلمَه بعبادِه؛ فيُعرَفُ المجاهدُ الصَّابرُ المُقْبِلُ مِن خلافِه، فيُعلي بهم كلمةَ الحقِّ، ويَصطَفي مِنهم شُهدَاءَ .. ويُرسلُ الكافرين والمنافقين إلى النارِ حطَباً للنَّارِ .. فقتلَى الحقِّ في الجنَّةِ، وقَتْلَى البَاطلِ في النَّارِ، [وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ]محمد:4. لن يُذهِبَ أعمالَهم الحسنَة من غير مثُوبةٍ وأجرٍ، بل يُضاعِفُ لهم الحسَنَات ويُنَمِيها، ويُجْرِيها لهم، وهم في عالَمِ البرزَخ وإلى أن تَقومَ السَّاعَةُ .. بخلافِ الكافرين المشركِين، فالشركُ يحبطُ أعمالَهم، ويُذهِبها، ويجعلُها هباءً مَنثوراً.

* * * * *

سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ

249- [سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ]محمد:5. الذين يُجاهِدُون في سَبيلِ اللهِ؛ فيجمَعُون بين جهادِ النَّفْسِ، وجهَادِ العدُو .. سيوفِّقُهم اللهُ لما فِيه خَيرَي الدُّنيا والآخِرَةِ .. فأسْعَدُ الناسِ وأوفرُهُم حظَّاً بهدَايةِ التَّوفيقِ، والتَّسديدِ هم المجاهِدُون، [وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ]؛ يُصلحُ خاطِرَهَم، وحَالَهم، وشَأنَهم، وتفكيرَهم .. ومِن إصلاحِ البالِ؛ سَدَادُ الرَّأيِ، وهدُوء النَّفْسِ، وراحَتِها، وبُعْدها عن القَلَقِ، والأرَقِ، والهمِّ، والكآبَةِ .. هذه الأمراضُ النَّفسِيَّة التي لَا يَسلمُ مِنها أو من بَعضِها أحَدٌ ضَلَّ طَريقَ الإيمانِ، والتَّوحِيدِ!

* * * * *

إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ

250- [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ]محمد:7. شَامِلٌ لجميع المؤمنين؛ على مُستوى الدَّولَةِ، ومستوى الجماعةِ، ومُستوى الفَرْدِ .. فَمَن نصَرَ اللهَ ولو كان فَرْداً؛ نَصَرَهُ اللهُ، وأظهرَه، وأعْلَى شَأنَه.

251- لا يكنْ همّكَ نَصرُ اللهِ لك، ولكن ليكُنْ همّك الأكبر، نَصرُكَ لله، فإذا ما نصرتَ اللهَ، جاءك نصرُ اللهِ والفَتح، قال تعالى:[إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ]محمد:7. فقدّمَ نصرَكَ له، على نصرِه لك، وجعَلَ نَصرَك له شرطاً لنصرِه لك .. ووعْدُ اللهِ لكَ ـ إن نصَرْتَه ـ لَا، ولَن يتخلَّف.

252- [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ]؛ بطاعَتِه، وطاعَةِ رسُولِه صلى الله عليه وسلم، [يَنصُرْكُمْ]؛ اللهُ على عَدُوِّكُم، [وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ]محمد:7. عِندَ لقاءِ العَدُو، ومواجَهتِه .. مَفْهومُ المخالَفَةِ؛ إن لم تَنصُرُوا اللهَ، لا ينصرْكُم اللهُ.

253- [إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ]محمد:7. على قَدْرِ مَا تَنصُرُوا اللهَ، يَنصُرْكُم اللهُ.

254- [إِن تَنصُرُوا اللَّهَ]؛ هَذا هو عَمَلُك، وهَذا هو ميدَانُك، ومَوْطِنُ اجتِهَادِك، [يَنصُرْكُمْ]محمد:7. هذا عَمَلُ اللهِ، لا نَتَدَخَّل بِه، ولا بكَيفيَّتِه، ولَا بزَمَانِه.

* * * * *

فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ

255- [فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ]محمد:19. لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ .. ليسَت مجرَّدَ كلماتٍ أو ذِكْرٍ يجرِي على اللسانِ معَ غَفْلةٍ عَن مَعْنَاها، وشرُوطِها، ودَلالاتِها، ولوازِمِها .. بَل هي عِلمٌ ليسَ لمُنتَهاه حَدّ يقِفُ عِندَه طالِبُ العِلم .. هي بَحرٌ ليسَ لمنتهاه شَاطِئ .. هي كَنْزٌ فوائدُه على مَدَارِ العُصُورِ والدُّهورِ لا تَنْضَبُ، ولا تَعرفُ النُّقصَانَ .. هي تَفسيرٌ دَقيقٌ لحركةِ الوجودِ كُلِّه .. ولو أنَّ ذرَّات الكونِ كُلِّه اتَّحدَت على كتابةِ رِسَالةٍ واحِدَةٍ؛ لكانت هذه الرِّسالة هي لا إله إلا الله .. " فإنَّ السَّمَاواتِ السَّبْع، والأَرَضينَ السَّبع، لَو وُضِعَتْ في كَفَّةٍ، ووُضِعَتْ لا إلهَ إلَّا اللهُ في كفَّةٍ، لرجَحَت بِهِنَّ لا إلهَ إلَّا اللهُ، ولَو أنَّ السَّماواتِ السَّبعَ، والأرضينَ السَّبعَ، كُنَّ حَلَقَةً مُبهَمَةً لقَصمَتْهُنَّ لا إلهَ إلَّا اللهُ " .. ومَهْمَا أُوتِي المرءُ مِن العِلمِ، يُقال له:[فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ]؛ أي استمِرْ في الارْتِقاءِ، والاستِزادَةِ مِن العِلمِ بـ " لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ "، ولا يَحملنَّكَ العِلمُ بمَعناها، أو ببعضِ فوائدِها وثمارِهَا، أو قراءةُ كتابٍ أو كتابَين عن مَعْنَاهَا، وشُرُوطِها .. على التَّوقُّفِ عن العِلمِ بـ " لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ " .. وإنِّي قد تجاوزتُ السِّتّينَ مِن العُمرِ في طَلَبِ العِلمِ .. وإني لا أزَالُ أشْعُر أنَّني بحاجَةٍ مَاسَّةٍ للمزِيدِ مِن التَّفَقُّهِ والعِلْمِ بـ " لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ".

* * * * *

وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ

256- [وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ]محمد:30. لَتَعْرِفَنَّ المنافِقِينَ بمعَانِي ومَرَامِي كلَامِهم، لَا بصَرِيحِهِ .. فهم أجْبَنُ مِن أن يُصَرِّحُوا عمَّا في قلُوبِهم مِن العَدَاوَةِ والكُفْرِ .. لِذَا تَراهُم يلتَجِئونَ إلى المتَشَابَهِ مِن القَوْلِ؛ حمَّال أوْجُهٍ ومَعَانٍ .. ولَا يخفَى حَالُهم على مَن

خَبِرَهم، وخَبرَ أَساليبَهم مِن أهلِ العِلم .. وهُم يَتكَاثَرُون في المواطِن التي تكونُ فِيها الشَّوكَةُ للمؤمنِين.

* * * * *

وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ

257- [وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ]؛ نختبركم بالتَّكاليفِ الشَّرعيَّةِ؛ مَن سيُطيع، ومَن سيَعْصِي، [حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ]، حتَّى نُظهرَ ظهورَ عَيانٍ المجاهدِين الذين يُجاهِدُون في طاعَتِنا .. والصَّابرين الذين يَصبرُون على تكاليفِ الجهادِ والطَّاعَةِ .. نظهرهُم ممَّن سواهم، ونميزُهم عَن غَيرِهم؛ ممَّن لا يجاهِدُون، ولا يَصبرُون، [وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ]محمد:31. فنُظهِرُ المطيعينَ، ومَا كان منهم مِن طاعةٍ لله .. والعاصِين، وما كان مِنهم من مَعصيَةٍ لله .. لأن الحِسابَ يومَ القيامَةِ يكونُ على ما يَظهرُ مِن العِبَادِ؛ من اعتقادٍ، وقَولٍ، وعمَلٍ .. وليسَ فقط بما يكونُ من عِلمِ اللهِ بعبادِه .. وهذا من تمامِ وكمالِ حُجَّتِه سُبحانه على خَلْقِه.

258- [وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ]محمد:31. فيه أنَّ اللهَ تعالى يَختَبِرُ، ويَبْتَلِي، ولا يُخْتَبَر، ولا يُجَرَّب .. فتعَالى اللهُ عن ذلك عُلواً كَبيراً .. فحَذَارِ أن تُلْقِي نفْسَك في تَهلُكَةٍ .. ثم تَقولُ: أريدُ أن أختبرَ الله، وأجرِّبَه هل سينقُذني، وهل هو قادِرٌ على إنقَاذِي .. حَذَار أن تَفعلَ شيئاً مِن ذلك؛ فهذا من تَلبيسِ إبليسِ عليك .. اللهُ تعالى يَفعَلُ ما يَشاءُ، وقتَمَا يَشاءُ، إذا شَاءَ .. لا رَادَّ لأمْرِه، ولا سُلطانَ لأحَدٍ على أمْرِه!

* * * * *

وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ

259- [وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ]محمد:31. نَكْشِفُ عَن نَوَايَاكُم وخَبايَاكُم، ونُظْهِرُ المخْلِصَ مِنْكُم مِن المُرَائِي.

* * * * *

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ

260- [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا]؛ نِداءٌ شامِلٌ لجميع المؤمنين؛ على اختِلافِ لغاتِهم، وألوانِهم، وأمصَارِهم، واختلافِ الأزمنَةِ والعُصُور التي يَعيشُون فِيها، [أَطِيعُوا اللَّهَ]؛ طاعةً مُطْلَقَةً لذاتِه؛ فكلُّ ما سوى الله يُطاعُ لغَيرِه إلا اللهُ فإنَّه سُبحانه وتَعالى يُطاع لذَاتِه؛ لأنَّه هو، هو .. هو اللهُ الذي له الأسماءُ الحُسنى، والصفاتُ العُلْيَا، ولأنَّه المعبُود بحقٍّ، [وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ]؛ طاعَةً مُطْلقة غير مُقيدة بشرطٍ؛ لأنه يُبلِّغ عن ربِّه، لَا يَنطقُ عن الهوَى إن هو إلا وَحي يُوحَى، [وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ]محمد:33. بالرِّياءِ، والعُجْبِ، والمنِّ، والأذَى .. وفي الحديث:" مَن ضَيَّقَ مَنزلاً، أو قَطَعَ طَرِيقَاً، أو آذَى مُؤمِناً فَلا جِهَادَ لَه ". وهذا يَستَدعي يَقظةً، ومراقبةً للنيَّة، قَبل العَملِ، وعِند العَمَل، وبَعد العَمَل.

* * * * *

وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ

261- [وَإِن تَتَوَلَّوْا]؛ عن طَاعَةِ اللهِ، وطاعَةِ رسُولِهِ صلى الله عليه وسلم، [يَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ]؛ يُطيعُونَ اللهَ، ورسولَه صلى الله عليه وسلم، [ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ]محمد:38. في العصْيَانِ، وعَدَمِ طاعَةِ اللهِ، ورسُولِهِ صلى الله عليه وسلم.

* * * * *

سورة الفتح

مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللهِ

262- [مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللهِ]الفتح:29. مِن أَعظَمِ المِنَنِ والنِّعَمِ على الأرضِ وأهلِهَا؛ إنْسِهِم وجِنِّهِم، كافِرِهِم، ومُؤمِنِهِم .. الدَّوَاب وما تُنْبِتُ الأرضُ .. أنْ أرْسَلَ اللهُ محمَّداً صلى الله عليه وسلم .. تَأَمَّلُوا الحياةَ الدُّنيا مِن دُونِ محمَّدٍ كم هي ظَالمةٌ، ومُظْلِمةٌ .. وجَافَّة ومُمِلَّة .. الحمدُ للهِ كثيراً أن أرسَلَ محمَّداً .. والحمدُ للهِ كثيراً أن جَعَلَنا مِن أتْبَاعِ محمَّدٍ صلى الله عليه وسلم.

263- [مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ]؛ المحَارِبِين، [رُحَمَاء بَيْنَهُمْ]الفتح:29. مفهُومُ المخالفَةِ أنَّ مَن كان شَدِيداً على المؤمنِين، لَا يَرحمُ ضَعْفَهم وضُعفَاءَهُم، يُسِيءُ الظَّنَّ بِهم، ولَا يتأوّل لعثرَاتِهم، ولا يُقِيلُها .. يتربَّصُ لهم الزَّلَّاتِ، والكَبَوَاتِ، والغَفَلاتِ، والهفَوَات .. وفي المقَابلِ تَراهُ رَحِيماً على الكافِرين المحارِبِين، قريباً مِنهم، ويُجادِلُ عَنهم .. فهو ليسَ على نَهْجِ النبيّ صلى الله عليه وسلم، ومَن آمَنَ معَهُ واتبعَه مِن الصَّحابَةِ، والتَّابعِين لهم بإحسَان .. وليس مِن أتبَاعِهِم.

* * * * *

سورة الحجرات

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ

264- [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ]الحجرات:1. لا تُقدِّمُوا بين يدَي الكتَابِ الذي هو كلامُ اللهِ .. ولا بين يدَي السُّنَّةِ؛ التي هي بلاغُ النبيّ صلى الله عليه وسلم عن ربِّه .. بقولٍ، أو فهمٍ، أو عمَلٍ .. أو بتحسينٍ أو تَقبيحٍ .. يخالفُ ما

جاءَ في الكتابِ والسنَّةِ .. فإيمانُكم يَقتضي منكم الرِّضَا، والتَّسليمَ لحكمِ الكتابِ والسنَّةِ مِن دونِ تَعقيبٍ، ولَا مُعارَضَةٍ، أو اعتراضٍ.

الذين يُعارضُون النبيَّ صلى الله عليه وسلم، ويقدِّمُون بين يدَيه، فيما أخبرَ عن صِفاتِ ربِّه؛ فينفُون صِفَاتاً أثبتَها النبيُّ صلى الله عليه وسلم، ويُثبتُون صِفاتاً لم يُثبْتها النبيُّ صلى الله عليه وسلم .. مثلُهم مثَل مَن يُعارضُ النبيَّ صلى الله عليه وسلم، ويقدِّمُ بين يديه في الحلالِ، والحرَامِ .. ولربما أشَد!

* * * * *

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ

265- [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ]الحجرات:2. إذَا كانَ مجرَّدُ رَفْعِ الصَّوتِ فَوقَ صَوتِ النَّبي صلى الله عليه وسلم، يُخشَى على صاحِبه أن يحبَطَ عمَلُه، وهو لا يَشعُرُ، ولا يَدْرِي، ولا يُحبِطُ العملَ إلا الشِّركُ والكُفْرُ، كما قال تعالى:[لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ]الزمر:65. فكيفَ بمن يَرفعُ حُكمَهُ، وفَهمَهُ، ورَأيَهُ، وقَولَه، فوقَ حُكْمِ وسُنَّةِ النَّبي صلى الله عليه وسلم .. لا شَكَّ أنَّه أوْلَى بالخُذْي والخُسرَانِ، وأنْ يَحبَطَ عمَلُه.

* * * * *

أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى

266- [أُوْلَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى]الحجرات:3. اختبَرَ اللهُ قلُوبَهم بالتَّكالِيفِ والطَّاعاتِ، وأخلَصَها مِن الشُّبهاتِ، والشَّهَوات .. لتُصْبحَ صَالحةً ومؤهلةً للتَّقْوَى، ولتَرقَى إلى مَقَامِ التَّقْوَى.

* * * * *

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا

267- [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا]؛ وفي قراءَةٍ فتَثَبَّتوا .. مِن مَدَى صِحةِ ما جاءكُم به الفاسقُ مِن أنباءٍ، وأخبارٍ .. قبلَ أن تتبنَّوه، وترتّبوا عليه مواقفَ، وأحكاماً، وإجراءات، [أَن تُصِيبُوا قَوْمَاً بِجَهَالَةٍ]؛ حتّى لا تُنزِلُوا عُقوبةً بمن كُذِبَ عليهم، وتَتَّخذوا مِنهم موقِفَاً، وأنتم لحقيقةِ الأمرِ جاهِلُون، [فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ]الحجرات:6. على مَا فرَّطتُم، وعلى ظلْمِكم للبريءِ .. ولاتَ حِينَ مَنْدَم!

268- هذا الخطابُ وجِّه للرعِيلِ الأوَّلِ مِن الصَّحابةِ الكِرامِ؛ الذين عُرِفُوا بالعدَالَةِ، والصِّدقِ والتَّصْدِيقِ .. فما يكونُ القولُ في زمانِنَا الذي فشَا فيه الكذبُ، وفُقِدَت الأمانَةُ، وتَزاحمَت فيه الأهواءُ، والنّوازِعُ؛ حتَّى في النَّقلِ والإخبارِ .. والإفْتاءِ .. كما في الحديثِ، فقد صحَّ عنِ النبيِّ صلى الله عليه وسلم أنه قال:" احفَظُوني في أصحابِي، ثمَّ الَّذينَ يلونَهُم، ثمَّ الَّذينَ يلونَهُم، ثمَّ يَفشو الكذِبُ حتَّى يَشهدَ الرَّجلُ وما يُستَشهَدُ، ويَحْلِفَ وما يُستَحْلَفُ ". وقال صلى الله عليه وسلم:" خَيْرُ أُمَّتي قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ إِنَّ بَعْدَكُمْ قَوْمًا يَشْهَدُونَ ولا يُسْتَشْهَدُونَ، ويَخُونُونَ ولا يُؤْتَمَنُونَ، ويَنْذُرُونَ ولا يَفُونَ، ويَظْهَرُ فِيهِمُ السِّمَنُ "البخاري.

* * * * *

إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ

269- [إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ]الحجرات:10. كلُّ المؤمنين مِن لَدُن النبيِّ صلى الله عليه وسلم الذي أُنزلَت عليه هذه الآيةُ الكريمة، وإلى آخرِ مؤمنٍ على وجهِ الأرض، وإلى أن تقومَ السَّاعةُ، فهم أخوةٌ في الدِّينِ والإيمانِ، على اختلافِ أمصَارِهم، وألوانِهم، ولغَاتِهم .. وهذا لا يتعارضُ معَ قولِ النبي صلى الله عليه وسلم:" وددْتُ أنَّا قدْ رَأَيْنا إخْوانَنا، قالوا: أوَلَسْنا إخْوانَكَ؟ يا رَسولَ اللهِ، قالَ: أنتُمْ أصْحابِي، وإخْوانُنا الَّذِينَ لَمْ يأْتُوا بَعْدُ "مسلم. وفي روايةٍ عند أحمَد وغيره:" ولكِنْ إخواني الذين آمَنوا بي ولم يَرَوْني ". فسَمَّى النبيُّ صلى الله عليه وسلم أصحابَه رضي الله عنهم أجمعين باسمٍ هو أعلى مرتبةً من مجردِ الأخوَّة الإيمانيَّةِ، والمرءُ إذَا ذُكِرَ، يُذكَرُ بأعلَى درجاتِه، ومراتِبه، ومقامَاتِه، " أنتُمْ أصْحابِي "؛ وهذا ليسَ نفياً لأخوَّتِهم الإيمانيَّة، وإنما هو تنبيهٌ لهم بأنَّهم يَستحقُّون ما هو أعلى درجَة ومرتبة من مجرَّدِ الأخوَّةِ الإيمانيَّة، وممَّا قد سَألُوا عنه؛ " أنتُمْ أصْحابِي "؛ فكلُّ صحابي أخٌ للنبيِّ صلى الله عليه وسلم في الإيمانِ، وليسَ كلُّ أخٍ للنبيِّ صلى الله عليه وسلم في الإيمانِ هو صحَابي.

270- وقد نُقِلَ عن بعضِ الدُّعاةِ المعاصِرين، قولُه عن النبي صلى الله عليه وسلم:" اشتَقتُ لأحبَابي، قالوا ـ أي الصَّحابة ـ: أولَسنَا أحبَابَك؟ قال: أنتم أصحَابي، أحبَابي أناسٌ يأتُون في آخرِ الزَّمَانِ "؛ وهذا خطَأ مِن وجهَين: من جهةِ لفظِ الحديثِ؛ فلا يُوجدُ حديثٌ عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم بهذا اللَّفظِ .. فهو من التَّقولِ على النبي صلى الله عليه وسلم مَا لم يَقُلْ! وهو خَطأ من جهةِ معنَاه؛ فمعناه غيرُ صحيحٍ؛ فالنبيُّ صلى الله عليه وسلم كما أنه يحبُّ أصحابَه فهو يحبُّ إخوانَه المؤمنين الذين لم يَروه .. وكما يُحبُّ إخوانَه المؤمنين الذين لم يَروه، يحب أصحابَه، فالمحبَّةُ لا تقتَصرُ على واحِدٍ من الفريقَين؛ أصحابِه أو

إخوانِه الذين لم يَروه .. وإنما تشملُ الفريقَين معاً، ولكل له مقامُه الذي يَستحقُّه من المحبَّةِ في قلبِ سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم؛ فمحبَّتُه لأصحابِه أعلى درجةً، من محبَّتِه لإخوانِه المؤمنِين الذين لم يَروه، كما في الحديثِ الصحيح عن عمرو بن العَاص، قال: أتيتُ النبيَّ صلى الله عليه وسلم، فقلت:" أيُّ النَّاسِ أحَبُّ إلَيْكَ؟ قَالَ: عَائِشَةُ، فَقُلتُ: مِنَ الرِّجَالِ؟ فَقَالَ: أبُوهَا ـ أي أبو بكرٍ الصِّديق ـ قُلتُ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: ثُمَّ عُمَرُ بنُ الخَطَّابِ، فَعَدَّ رِجَالًا " البخاري. أي ثم عدَّ رجالاً آخَرين من أصحابِه .. وقال تعالى:[وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ]؛ أي جميعُ المؤمنِين والمؤمِنات؛ الصَّحابَةُ، والتَّابعُون لهم بإحسَانٍ، وإلى قيامِ السَّاعة، [بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ]التوبة:71. بعضهم يحبُّون بعضاً؛ فمن أعظمِ معَاني الوِلايَة؛ المحبَّةُ القلبيَّةُ .. ويُقال كذلك: أن المحبَّةَ عملٌ قَلبي .. بينمَا الأخُ، والرفيقُ، والصَّاحِبُ، والخليلُ ألقابٌ وأسماءٌ تحدِّدُّ مستوى ودَرَجة العلاقَةِ بين طرفَين .. فلا تُقاسُ الألقابُ، والأسماءُ، على المحبَّةِ، وعلى الأعمالِ القَلبيَّة!

* * * * *

وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ

271- [وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ]الحجرات:11. من التنابُزِ أن تقولَ لأخيكَ بغيرِ حَقٍّ، ولأدنى خِلافٍ: يا كافر، يا فاسق، يا ظالم .. يا مبتدع .. يا خارجي .. يا مرجئ!

* * * * *

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِّنَ الظَّنِّ

272- [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِّنَ الظَّنِّ]؛ وليسَ كُلّ الظَّنّ؛ لأنَّ مِن الظَّنّ مَا ينفعُ، وبخاصَّة في مَواطِنِ الصِّرَاعِ والتَّدَافُعِ بينَ الحَقِّ والبَاطِلِ، [إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ]الحجرات:12. وليسَ كُلّه .. والإثمُ مِنه مَا كانَ في المؤمنِين الصَّالحِين. وفي الأثَرِ

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه:" مَنْ لم يَنْفَعْهُ ظَنُّه لم يَنْفَعْهُ يَقِينُه ". وقِيل لعَمْرو بن العاص: مَا العَقْلُ؟ فقال: الإصَابَةُ بالظَّنِّ، ومَعْرِفَةِ مَا يَكُونُ بمَا قَدْ كَان.

* * * * *

إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ

273- [إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ]الحجرات:12. توَّابٌ، صِيغةٌ تُفيدُ الكَثرَة، أي أنَّ اللهَ تعالى كثيرُ التَّوبةِ على عِبادِه المستغفِرين التَّائبين .. لَا حَدَّ لعدَدِ توبتِه على عِبادِه .. وهذه صِفةٌ عظيمةٌ من صِفاتِ الخالِقِ سُبحانه وتَعالى، مِن لوازِمِها وجُودُ المخطئين .. ووجودُ التَّائبين .. ومَهمَا كثر عدَدُ المخطئين التَّائبين، وعظُمَت ذنوبُهم، فاللهُ تعالى أكثرُ وأعظمُ تَوبةً على عبادِه التَّائبين، [رَّحِيمٌ]؛ بِهم.

* * * * *

وَلَا تَجَسَّسُوا

274- [وَلَا تَجَسَّسُوا]الحجرات:12. التَّجَسُّس المنهي عنه نَوعَان: مجَرَّدٌ، ومُغَلَّظٌ .. المجَرَّدُ منه، ما كان لأغرَاضٍ شخصيَّةٍ، وكَيْدِيَّةٍ داخِليَّةٍ بين المسلمين، وهذا النوعُ من التَّجَسُّسِ مَعصِيَةٌ، وكبيرَةٌ من الكبَائِر، لَا يَرقَى إلى دَرجَةِ الكُفْرِ .. أما المغَلَّظُ منه، ما كان التَّجَسُّس له الطَّابع الأمْنِي، والعَسْكَري، والسِّيَاسِي، كمن يتجسَّسُ لصَالح العَدُو الكافِرِ على الإسلامِ والمسلمين، وعلى أوطَانِهم .. فهذا النَّوعُ من التَّجَسُّسِ ـ لأهميته وخطورَته ـ يَدخلُ فيه أعلى درَجَاتِ الموالَاةِ والنُّصرَةِ، ويترتَّبُ عليه هزيمةُ أو انتصَارُ دُولٍ وجيُوشٍ، وبخاصَّة في زمَانِنا الذي تقوم الحرُوب فيه على التَّجَسُّسِ، ويكونُ التجسُّس العنصُر الأهَم والأبرَز في تحديدِ مَصيرِ ومَآلَاتِ المعَارِكِ والصِّراعَاتِ .. وهذا

النوع المغَلَّظ من التَّجَسُّسِ عندما يُصرَف لصَالِحِ الأعدَاءِ ضِدَّ الإسْلامِ والمسلِمين، كُفْرٌ أكبَر، وصَاحِبُه يكفُرُ، ويَخرُجُ مِن دَائرةِ الإسلام!

275- [وَلَا تَجَسَّسُوا]؛ وهو الاطِّلاعُ على خصُوصِيَّاتِ الآخَرين، وعلى كَلِمَاتِهم، مِن دُونِ علمِهم، وإرادَتِهم .. حتَّى الكَشْف عنِ الذُّنوبِ والمذْنبين، لا يجوزُ اعتمادُ التَّجَسُّسِ كوسيلةٍ؛ لأنَّ التَّجَسّسَ فيه ظلمٌ وعدوانٌ على خصُوصيَّاتِ الناسِ؛ مُؤدَّاه إلى إيْغَارِ الصُّدُورِ، وفقدَانِ الثِّقَةِ بين النَّاسِ، وكشْفِ المخبُوءِ، والمسْتُورِ، ومَا قَد سَتَره اللهُ، [وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضاً]الحجرات:12. والغِيبَةُ؛ ذِكْرُكَ أخاكَ ـ في غَيْبَتِه ـ بما يَكْرَه .. ووجه التَّرابُطِ بين التَّجَسُّسِ والغِيبَةِ؛ أنَّ مَن يتجسَّسُ لا مَحالَةَ سيقَعُ في الغِيبَةِ على مَن تَجَسَّسَ عليه .. وبخاصَّة إن كانَ المتجَسِّسُ يمتَهِنُ التَّجَسُّسَ كوظِيفَةٍ، ويتجَسَّسُ لصالِحِ الآخَرين.

استثناءً: يُستَثْنَى مِن التَّجَسّسِ المحظُورِ؛ التَّجَسُّسُ على العَدُو، وعلى تحركاتِه؛ لمعرفَةِ مَكامِنِ ضَعْفِه وقوَّتِه .. كذلك التَّجَسّس على معَاصٍ وجَرَائم يتَعَدَّى ضَرَرُهَا إلى المجتمَعِ والنَّاسِ، كالاتِّجَارِ بالمخدَّراتِ، ونحوَها مِن الجرَائمِ .. أرجُو أن يكونَ هذا النوعِ من التَّجَسُّسِ لا حَرَجَ فِيه.

* * * * *

إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ

276- [يَا أَيُّهَا النَّاسُ]؛ خِطَابٌ خَالِدٌ موجَّهٌ لجميعِ النَّاسِ على مَرِّ العُصُورِ والأزْمَانِ، [إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى]؛ آدَم وحَوَّاء .. مَهمَا تكاثَرتُم .. وانتَشَرتُم، وتَوزَّعْتُم في الأرْضِ .. وتَعدَّدَت أنسَابُكم ولغَاتُكم وألوانُكم .. فأنتم جميعاً تَرجِعُون في النَّسَبِ إلى أبَوَين؛ هما آدَم وحَوَّاء .. فَلَا يَستَعلِ بعضُكُم على بَعضٍ، ولا يَفخَر بعضُكُم على بَعضٍ؛

فكلُّكُم مِن آدَم، وآدَم مِن تُرابٍ، [وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ]؛ متَعَدِّدَةُ الأعْرَافِ، والأعْرَاقِ، والألْوانِ، واللُّغاتِ، والأوْطَانِ .. هذا التَّعَدُّدُ والتَّنوُّعُ لا لِكَي نَتقَاتَلُوا، وتَتَحَاسَدُوا، ونتَدَابَرُوا، ويَبْغِي بَعضُكُم على بَعضٍ .. لا .. وإنَّما [لِتَعَارَفُوا]؛ لتَتَكامَلُوا، ولتَتَعرَّفُوا على بعضِكم البَعْض؛ وتَبادَلُوا العلُومَ، والمعَارِفَ، والمنَافِعَ فِيمَا بينَكم .. فَمَا هو نَاقِصٌ عند شَعْبٍ من الشُّعُوبِ، قد يكونُ موجُوداً عند شَعْبٍ آخَر؛ فيكْتَمِلُ النَّقْصُ ويَنجبرُ بالتَّعارُفِ عليه، [إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ]الحجرات:13. هذا هو الميزَانُ الذي على أَسَاسِه يَتمُّ التَّفَاضُل .. لا اللَّونُ .. ولا الغِنَى .. ولا العِرقُ .. ولا القُوَّةُ .. ولا النَّسَبُ .. ليسَ شَيئاً مِن ذلك .. وإنما التَّفاضُل يكونُ على أَسَاسِ " التَّقْوَى "، والتَّقْوَى وحَسْب .. والمنَافَسَةُ .. والمسَارَعَةُ .. والسِّبَاقُ فِيما بينَكُم .. يَنبغِي أن يكونَ في ميدان " التَّقْوَى " لا غَير .. فالتَّقْوَى يَرْفَعُ أَقْوامَاً، ويَضَعُ أقوَامَاً!

* * * * *

يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى

277- [يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى]الحجرات:13. المثْلِيُّون، والحَدَاثِيُّون الليبرَاليُّون؛ أعْداءُ الفِطْرةِ، يقُولُون: هنَاكَ صِنفٌ ثالِثٌ، مِن دُونِ أعضَاءٍ تَنَاسُلِيَّةٍ؛ لا هو ذَكَرٌ، ولا هو أُنْثَى .. والتَّحْدِيثُ لا يَزَالُ مُستَمِراً لَدَيهِم؛ فقد نُفَاجَأ غَداً بصنفٍ رَابِعٍ، وخَامِسٍ .. وعاشِر؟!!

* * * * *

سورة ق

مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ

278- [مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ]ق:18. رَقِيبٌ مِن الملائِكَةِ حَاضِرٌ على مَدَارِ الوقتِ، مُعَدٌّ لمراقَبَتِه، وتَسجيلِ كُلِّ مَا يَتلفَّظُ بِهِ من خَيرٍ أو شَرٍّ .. سواءً كان صَوتاً أم كتابةً .. وهَذا يَستَدْعِي مِن المرْءِ أن يُرَاقِبَ نفْسَه جيداً، ومَا يَصدر عنه مِن قَولٍ .. ويَزِنَ كلماته قبلَ أن يتَلَفَّظَ بها أو يخطَّهَا؛ هل هي في خانَةِ الخَيرِ والحَقِّ أَم في خانَةِ الشَّرِّ والباطِلِ .. وفي الحديث:" وهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ على مَنَاخِرِهِمْ في جَهنَّمَ إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ ". وكان من السَّلَفِ مَن يَقُول:" ما شَيءٌ أحقَّ بِطُولِ سِجْنٍ من اللِّسَانِ ". وكان الحسَنُ البصري يقول:" ما عَقَلَ دِينَهُ مَن لَمْ يحفَظْ لِسَانَه ".

* * * * *

وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ

279- [وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم]؛ على الكَافِرِين [بِجَبَّارٍ]ق:45. تُجْبِرُهُم على الإِيمان؛ لِتَمْضِي مَشِيئَةُ اللهِ في خَلْقِه؛ فَرِيقٌ إلى الجَنَّةِ، وفَرِيقٌ إلى السَّعِير.

* * * * *

سورة الذاريات

وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ

280- [وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ]الذاريات:21. أفَلَا تُبْصِرُون ـ بصَرَ تمعُّنٍ، وتفَكُّرٍ، وتَدَبُّرٍ ـ مَا في أنْفُسِكُم مِن عجائبِ الخلْقِ والنَّشْأةِ والتَّصْويرِ .. وعجَائبِ النَّفسِ وتَقلُّباتِها، وميولاتِها، ومَا جُبِلَت، وفَطِرَت عليه .. وعجَائبِ الوظَائفِ لكلِّ عُضوٍ مِن أعضَاءِ الجَسَدِ الظاهرَةِ والباطِنَةِ .. الدَّالَّةِ قَطْعاً ويَقيناً على بُطلَانِ القولِ بخرافَةِ الصِّدْفَةِ .. والدَّالَّةِ قَطْعاً ويَقِيناً على أن الخالِقَ والمصوّرَ هو اللهُ تَعَالى وحده .. وأنَّه هو الإلهُ المعبُودُ بحقٍّ، لا إله إلَّا اللهُ .. والدَّالَّةِ قَطْعَاً ويَقيناً أن اللهَ تعَالى لم يَخلِقْ الإنسانَ ـ بهَذا التَّصويرِ البَدِيعِ والفَريدِ ـ عَبَثَاً .. وإنّما خَلَقَهُ؛ ليعبُدَ اللهَ، وليكونَ أهْلاً لتَلَقّي التَّكاليف، والرّسَالات مِن اللهِ تَعالى.

281- [وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ]الذاريات:21. فِيه حَضٌّ على دَوامِ النَّظَرِ في مكنُوناتِ وأسْرارِ النَّفْسِ البَشَريَّةِ؛ النَّظَرُ في شقَّيْهَا النَّفْسِي المعْنَوي .. والجَسَدِي العُضْوِي .. لما تَنْطَوِي على مَعَانٍ وأسرَارٍ عجيبَةٍ فَريدَةٍ .. تتَكَشَّفُ للإنسانِ مع الزَّمَنِ ودوَامِ النَّظَرِ فِيها .. وها هو العِلمُ الحدِيثُ في كلِّ يَومٍ يكشفُ لنا عن سِرٍّ جَديدٍ مِن أسْرَارِ هذه النَّفسِ يتعلَّقُ إمَّا بالجانِبِ الجسَدِي العُضْوِي .. وإمّا بالجانِبِ النَّفْسِي المعنَوِي .. والاكتِشَافَات لا تَزالُ مُستمِرَّةً لا تَتوقَّف .. أفَلا يَدلُ ذلك على الخالِقِ القَدِيرِ؟!

* * * * *

وَفِي السَّمَاء رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ

282- [وَفِي السَّمَاء رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ]الذاريات:22. مِن رِزْقٍ؛ مَصدرُه ومَقَرُّه في السَّمَاءِ؛ وذلك لَمَّا كان الرِّزقُ في الأرضِ كُلِّه متوَقِّفاً على نزُولِ المطَرِ مِن السَّماءِ .. وكان المطرُ سَبباً لحياةِ واستمرارِ الأرزاقِ في الأرضِ .. عُدَّت السَّماءُ مَصْدراً ومَأوى لأرزاقِ النَّاسِ، وغيرِهم.

* * * * *

فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ

283- قولُه تعالى:[فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ]الذاريات:50. يُفيدُ أنَّ شَرّاً يُطارِدُك، ويَطْلُبُك بقوةٍ وإلحاحٍ ـ متمثّلاً بالشّيطانِ وجُندِه وأدواتِه ـ لا مَلْجَا ولا مَنْجَا منه إلا باللجوءِ إلى الله، والاحتماءِ به سُبحانَه، والاعْتِصَامِ بحَبْلِه.

284- [فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ]الذاريات:50. الخَطرُ يُداهِمُك، ويَطلبُك من جِهَتَين: مِن جِهَةِ الدُّنْيَا بعوالِقِها، وجواذِبِها، وزِينَتِها .. فإنَّها تُلاحِقُكَ، وتُريدُ أن تَسْتَهلِكَ مِنكَ الجهْدَ والوقْتَ .. ومِن جهةٍ أُخرَى الأجَلُ؛ فإنَّه قابعٌ لك بالمرصَادِ، يَطلبُك حَثِيثاً .. في كلِّ دقيقةٍ يدنُو مِنك لا تَدري متَى يُدْرِكُك .. فإذا جاءَ لَا يَستأخرُكَ دقيقةً واحدةً، ولا أدْنَى مِن ذلك .. فالقضيَّةُ إذاً لا تَستدعِي مِنك المشي والسَّعيَ بهدوءٍ وبِطءٍ، بل ولا حتَّى الهرولَة تكفِي للنَّجاةِ .. وإنَّما تتطلَّبُ مِنكَ الفِرارَ بكلِّ ما أُوتِيتَ مِن عَزْمٍ، وقوَّةٍ، وحرَكَة .. عسَاك بعدَها تنجُو مِن الطَّالِبَيْن: الدُّنيَا، والأجَل .. فتَصِل إلى بَرِّ الأمَانِ، قبلَ فوَاتِ الأوَانِ .. لكن الفِرَار إلى مَن .. إلى اللهِ؛ خَالِقك، ومالِكك، ومعبُودك، الذي إليه سَتَرجعُ .. وهو على موعدٍ مَعَك عِندَ الموتِ، ومَا بَعدَ الموتِ .. لَن تُخْلَفَه .. والفِرارُ إليه يكونُ بتوحِيدِه، وعِبادَتِه، وطاعَتِه، وطَاعَةِ رسولِه صلى اللهُ عليه وسلم، والتَّخْفِيفِ مِن العَوَالقِ مَا أمْكَن.

* * * * *

فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَا أَنتَ بِمَلُومٍ

285- [فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَا أَنتَ بِمَلُومٍ]الذاريات:54. مَن قَامَت عليه الحُجَّةُ الشَّرعيَّةُ، وبلغَهُ الخطَابُ الشَّرْعي فِيما قَد خَالَفَ فِيه .. ثمَّ قابلَ الخِطَابَ بالردِّ، والاستخفَافِ، والإعرَاضِ .. لَا تُطِلْ الوقُوفَ عندَه .. ولَا تَأسَ عليه .. ولو أعرَضْتَ عنه، وتركتَهُ إلى غَيرِه لَا تُلَامُ، ولَا تُؤاخَذ.

* * * * *

وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ

286- [وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ]الذاريات:55. لَا تَزهَدَنَّ بالتَّذْكِيرِ .. ولا تَبخَس نفْسَكَ وعِلمَكَ، فتَمتَنِع عنِ التَّذكِيرِ .. ذَكِّرْ ولو بآيَةٍ أو حَدِيثٍ .. فإنَّ المؤمنينَ سيَنتَفِعُون بتذكِيرِكَ مَهْمَا كانَ متواضِعاً أو قَلِيلاً .. فإن لم يكُنْ في يَومِك .. قَد يكونُ في غَدِك .. وربَّما بعدَ مَوتِك .. فكم مِن كلمَةِ تَذْكِيرٍ أطلَقَهَا العُلَمَاءُ انتفعَت بها الأجيالُ مِن بعدِهم أكثر مِن الجيلِ الذي يُعاصِرُونَه .. فَذَكِّرْ .. وأخْلِصْ في التَّذْكِيرِ .. ودَع القُبُولَ لله.

* * * * *

وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْأِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ

287- [وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْأِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ]الذاريات:56. الغَايَةُ مِن خَلْقِ الإنسِ والجنِّ تحقيقُ العِبادَةِ، أن يَعبدُوا اللهَ ولا يُشرِكُوا به شيئاً .. فهل بعدَ هذه الغايَة مِن غايَةٍ؟ نعم، وهي غايةُ الرِّضَا، أن يَرضَى العبدُ عن رَبِّه، ويَرضَى الربُّ سُبحانَه عن عبدِه .. فهل بعد هذه الغايةِ مِن غايَةٍ؟ نعم، وهي تحقيقُ المحبَّة، محبَّةُ العبدِ لخالِقِه، ومحبَّةُ

الخالِقِ سُبحانَه لعبْدِه .. وهي أسمَى وأعظَمُ وأجَلُّ الغَايَات .. وهي غايَةُ الغايَات لا تُوازِيها غاية .. وليس بعدَها، ولا فوقَها غاية تُطْلَب.

288- [وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْأِنْسَ]؛ لشيءٍ، [إِلَّا]؛ أداةُ استثناءٍ بعدَ نَفْيٍ؛ تُفيدُ الحَصْرَ والقَصْر، [لِيَعْبُدُونِ]الذاريات:56. ليعبُدُوا اللهَ تعالى وحدَه، ولا يُشرِكُوا به شَيئاً .. العِبادَةَ العَامَّةَ والشَّامِلَةَ لجميعِ المسَاحَةِ الزَّمَانيَّةِ والمكانيَّةِ التي يَعِيشُها الإنسانُ .. والشَّامِلَةَ لجميعِ ما يحبُّه اللهُ تعالى من الأعمالِ والأقوالِ الظَّاهِرةِ والبَاطِنَة.

الآيةُ قد حدَّدَت الغايَةَ العُظْمَى مِن خَلْقِ الجِنِّ والإنْسِ .. بلْ ومِن الوجُودِ كُلِّه .. الغَايَة التي افتقَدَها الإنسانُ المادِّي، وفقَدَ بفقدَانِها الغَايَةَ مِن وجُودِه .. والإحسَاسَ بالاستقرَارِ والأمَانِ .. ليَعِيشَ التِّيْهَ والضَّيَاعَ .. وليَلْهَثَ خَلْفَ شَهواتِه التي لا تَعرِفُ الارتواءَ أَبَدَاً .. مَثَلُه في ذلك:[كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث]الأعراف:176.

* * * * *

سورة النجم

فَلَا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى

289- [فَلَا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى]النجم:32. كأن يُقال فلانٌ شَهِيدٌ، وفي الجَنَّةِ ...!

290- [فَلَا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى]النجم:32. تَشْمَلُ جميعَ الأعمالِ القَلْبيَّةِ، والأعمَالِ التي يُشترَط لها الإخْلاصُ .. لا يجوزُ تَزكيَةُ الأشخاصِ بها، وبمقتضَاهَا؛ لأنَّها من الأعمالِ الغيبيَّةِ المُضْمَرَةِ التي لا يعلمُهَا إلا اللهُ .. كما في الحديث:" واللَّهُ أَعْلَمُ

بمَن يُكْلَمُ في سَبيلِهِ "مسلم. وإن كانَ ولا بُد، يُقال: نَحْسَبُ فلاناً كَذا، وكَذا .. ولا نُزَكّيه على اللهِ .. نحسَبُ فلاناً شَهيداً إن شاءَ الله، ولا نُزَكيه على الله .. وفي صحيح البخاري:" باب لا يُقالُ فُلانٌ شَهِيدٌ "، على وَجْهِ الجَزْمِ!

* * * * *

وَأَنَّ إِلَى رَبِّكَ الْمُنتَهَى

291- [وَأَنَّ إِلَى رَبِّكَ الْمُنتَهَى]النجم:42. مَهمَا عَمَّرْتَ، ورَتَعْتَ، ومَهمَا سَافَرتَ، وتجوَّلتَ، وطُفتَ، ورَحلْتَ .. نهايتُك إلى اللهِ؛ فإليه المرجعُ والمآلُ .. وعِندَه يَكونُ الملْتَقَى، والحِسابُ على ما كان مِنَّا مِن عمَلٍ في الدُّنيا .. وإنَّا للهِ وإنَّا إليهِ راجِعُون.

* * * * *

وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى

292- [وَأَنَّهُ هُوَ]؛ سُبحانَه الذي [أَضْحَكَ]؛ مَكَّنَ الإنسانَ مِن الضَّحِك .. وخَلَقَ المسَرَّات التي تجعلُه يَضْحَكُ، [وَأَبْكَى]النجم:43. وأنه هو سُبحانه الذي مكَّن الإنسانَ مِن البُكاءِ، وخَلقَ الأحزانَ المُبكيات، التي تجعَله يَبكِي .. فخلَقَ اللهُ تعالى الشيءَ وضِدَّه، وخلَقَ للشيءِ أسبابَه، ولضدِّه أسبابَه؛ ليتحقَّقَ معنى الابتلاء والاختِبَار في هذه الحياةِ الدُّنيا .. فالضحِكُ والبُكاءُ مِن ضروريَّات ومُستَلزمات الحياةِ .. ولهمَا آثارٌ إيجابيَّةٌ على النَّفسِ ما لَمْ يَزيدَا عن حدِّ الاعتِدَال.

* * * * *

وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَى وَأَقْنَى

293- [وَأَنَّهُ هُوَ]؛ سُبحانَه الذي [أَغْنَى]؛ مَن شَاءَ مِن عِبادِه بالمالِ، والعَطاءِ، وأنواعِ الرِّزقِ .. يُغني مَن يَشاء، ويُفْقِرُ مَن يَشاء، [وَأَقْنَى]النجم:48. وجَعلَ للمالِ الزائدِ عن الحاجَةِ والاستخْدَامِ الآني صَوناً مِن فسَادِه، أُصُولاً يُقْتَنى ويُحفَظ بها، كالذَّهبِ، والفِضَّةِ، والخيلِ، والأنعَامِ، وغَيرِها من الأُصُولِ الثابتةِ التي لا تُفْسِدها الأيَّامُ .. يُلتَجأ إليها عندَ الحاجَةِ، وهذا من تمامِ وكمالِ نِعَمِ اللهِ على عِبَادِه.

* * * * *

سورة القمر

وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ

294- [وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ]، للتِّلاوَةِ، والحفْظِ، والفَهْمِ، والاعتِبارِ، والتَّدَبُّرِ .. وهو الكتَابُ الوحِيدُ في الأرضِ الذي يُحفَظُ في الصُّدُور، ويحفظُه غَيباً عَشَراتُ الآلافِ مِنَ الحفَّاظِ، [فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ]القمر:17. فهَلْ مِن مُعْتَبِرٍ ومتدَبِّرٍ .. ومُقْبلٍ على القُرآنِ بالتِّلاوَةِ، والحفْظِ، والفَهْمِ، والعَمَلِ .. والآيةُ فِيها دَليلٌ على بُطْلانِ مَا يَذْهبُ إليه كثيرٌ مِن القُرَّاءِ والمعلمين الذين يَغلبُ عليهم المبَالَغَةُ، والتَّكلُّفُ والتنطُّعُ في تَدريسِ أحكامِ التَّجْويدِ، فيُعَسِّرُون اليَسيرَ، ويُصَعِّبُون السَّهلَ .. والذي يكونُ غالباً على حِسابِ الخشُوعِ، والفهْمِ، والتَّدَبُّرِ .. وكان مِن السَّلفِ وأهلِ العِلمِ مَن يَكرهُون ذلك .. وأنَا أقول: كلُّ قِراءةٍ للقُرآنِ الكريم تخلُو مِن زِيادَةٍ أو نُقْصَانٍ في المبْنَى والمعنَى .. فهي قِراءةٌ صَحِيحَةٌ، تُجزِئ صاحِبَها، ولا يُطالَبُ بأكثر مِنها .. ومَا وراء ذلك من التوسُّع المباح فهو مندوبٌ بحقِّه، ولمن شَاء!

295- [وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ]القمر:17. للحِفْظِ .. وللفَهْمِ .. وللعَمَلِ والمتَابَعَةِ .. ولا حُجَّة لمن يُعرِض عَن كتَابِ الله.

* * * * *

إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ

296- [إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ]القمر:49. لا يُوجَدُ مخلُوقٌ في السَّماواتِ والأرضِ، ولا حَدَث كانَ صَغيراً أمْ كَبيراً .. كانَ خَيراً أم شَرَّاً .. إلا بقَدَرٍ، قَدَّرَهُ اللهُ، وشَاءَهُ أن يكونَ .. لا يخرجُ شيءٌ - أيُّ شيءٍ - عن سُلطانِه، وحُكْمِه، وتَقْدِيرِه، وعِلْمِه .. لحِكَمٍ عَدِيدَةٍ قَد يُعْلِمُنَا اللهُ بعضَها، ونَجهَلُ كَثيراً مِنها .. وأحيَاناً قَد نجهَلُ مُطْلَقَ الحِكْمَةِ، ليَظهرَ دَورُ الإيمانِ، والتَّفويضِ، والرِّضَا، والتَّسليمِ .. والذي يتَعَاطَى تَفسِيرَ الأحدَاثِ والنَّوازِلِ والكوارِث - ومَا أكْثَرُهم - ويَنظُر في أسبَابِها بَعيداً عَن هذا المعنى فهو ضَالٌّ مُضِل.

297- [إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ]القمر:49. القَضَاءُ والقَدَرُ شاملٌ لجميع المخلوقَات، ولجميع أعمَالِ، وحركَاتِ، وسَكَنَات المخلُوق .. لا يُوجدُ مخلوقٌ - وأفعَالُ العِبادِ مخلوقةٌ - يخرجُ عن القضاءِ والقَدَرِ .. مَا كان مِنها، وما سيكُون، وإلى يومِ القيامَةِ، وإلى مَا بعد يومِ القيامَةِ، كما في الحديث:" إن أولَّ ما خَلَقَ اللهُ القَلَمَ، فقال له: اكتُبْ، فجَرَى بما هو كائنٌ إلى الأبَدِ ". فقَدَّرَ اللهُ الخيرَ والشَّرَّ، فالشرُّ قدَّرَه كوناً - لا شَرعاً ودِيناً - لحكمَةِ الاختِبارِ، والبَلاءِ، والتَّدافُعِ بينَ الحقِّ والباطِلِ، والخيرِ والشرِّ في الحياةِ الدُّنيا .. وليُعرَف المؤمن الموحِّد، من الكافِرِ المشرِك .. وليتَحقَّقَ الاصطفَاءُ .. ولِحِكَمٍ أُخرَى لا يَعلمُها إلا اللهُ .. والخيرُ قدَّره اللهُ كوناً وشرعاً ودِيناً، وهو كلُّ ما يحبُّه اللهُ تعالى ويرضاهُ من الأعمالِ الصَّالحةِ .. وبالتَّالي لا يجوزُ الاستدلالُ بالقَدَرِ الكَوْني على شرعيَّةِ الباطِلِ، والكفْرِ،

والظلمِ، والفَواحش، كما لا يجوزُ الاستدلالُ به على بُطلان ودَفع، ورَدِّ القَدَرِ الشَّرْعي .. كما فعلَ ويَفعلُ الكفارُ والمشركُون!

298- [إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ]القمر:49. القضَاءُ والقَدَرُ جانبٌ مِنه مُتعلّقٌ بتوحيدِ الخالقِ سبحانه، وتنزيهِه عن الندِّ والشَّرِيك، وصِفاتِ الضَّعْفِ، والنقْصِ .. إذْ مِن مُقتضَى ومعَاني القضَاءِ والقَدَر أن اللهَ تعالى قد أحاطَ بكلِّ شيءٍ عِلماً قبلَ أن يكونَ، وبعدَ أن يكونَ، ومَاذا يكونُ لو لمْ يَكُنْ .. وأنَّ ما من مخلُوقٍ ـ بما في ذلك الإنسان ـ إلا ومَشيئتُه تحتَ مَشيئةِ اللهِ .. وإرادتُه تحتَ إرادَةِ الله .. لا يُوجدُ شيءٌ في الوجُودِ ـ كان خَيراً أم شرّاً ـ إلا ويمضي بمشيئةِ وإرادَةِ الله .. لا تُوجدُ إرادَةٌ أو مَشيئةٌ تَغلبُ أو تعلُو إرادَة ومَشيئةَ اللهِ .. فما شَاءَ كان، ومَا لم يَشَأْ لم يَكُنْ .. ونُكرَانِ القَدَرِ، وافتراضُ العَكْسِ؛ وجُود إرادَةٍ أو مَشيئةٍ تَغلبُ إرادَةَ اللهِ ومشيئتَه .. هذا من مقتضاهُ وصف الخالِق سُبحانه بالضَّعفِ والعَجْزِ .. وأنه يُوجدُ في خَلْقِه شيء لا يُريده ولا يَشاؤه .. وأنَّ له أندَاداً وشُركاءَ أقوَى منه؛ إرادَتُهم تعلُو على إرادَتِه، وتَمضِي مِن دُونِ إرادَتِه ومَشيئتِه .. وهَذا عينُ الكُفْرِ، والشِّركِ، والإلحادِ والعياذُ باللهِ، قال تعالى:[فَلاَ تَجْعَلُواْ لِلّهِ أَندَاداً وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ]البقرة:22. وجانبٌ منه مُتعلّقٌ بالإنسانِ؛ فعقيدةُ القَضاءِ والقَدَرِ تحملُ الإنسانَ على الإيمانِ، والتَّوحِيدِ، والرِّضَا، والتَّسليم، والصَّبْر .. وتَعظِيم الخالِقِ وتَوقِيره .. وعلى فَهم وتَفسِير كَثيرٍ من الأُمور التي تجرِي له، ولغيرِه .. كما تجنّبُه أمراضَ القَلَقِ، والحيرَةِ، والكآبَةِ، والانتحارِ .. عندما تواجُهه أمورٌ وقضَايا لا يحسِنُ ـ ولا يَقدرُ على ـ تَفسيرِها بحسبِ المعطيات الماديَّةِ المتاحَةِ له، ولا يُدرِكُ الحِكمةَ منها .. فيردُّها إلى الإيمانِ بالقضَاءِ والقَدَرِ، فيَرضَى، ويُسَلِّمُ، وتَطيبُ نفْسُه، ويَستريح ويُريح.

299- [إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ]القمر:49. اعلَمْ أنَّ اللهَ تعالى لا يُسألُ عمَّا يَفْعَلُ، ومَا سواه يُسألُ عمَّا يَفعلُ، كما قال تعالى:[لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ]الأنبياء:23. فإن خَفِيت عليكَ أسرارُ القَدَرِ .. وخَفيَت عليك الحِكَمَةُ مِمَّا يُقدّرُه اللهُ لك أو لغَيرِك .. فلا تتمادَى في التَّعمُّق والبَحْثِ عن العِلَلِ، والحِكَمَةِ .. وتُكثرُ مِن السؤالِ: لماذا قدَّرَ اللهُ كَذَا ولم يُقدّرْ كذَا .. فتهلَك وأنتَ تَدرِي أو لَا تَدرِي .. وإنما عَليك بالرِّضَا، والتَّسْلِيم، وتَفويضِ الأمرِ إلى اللهِ فيمَا خَفِيَت عليك الحكمةُ مِنه، كما قال تعالى:[وَاللهُ يَحْكُمُ لاَ مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ]الرعد:41. وقال تعالى:[فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجاً مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيماً]النساء:65. قالَ الطحَّاوِي في متنِ عَقيدَتِه:" أَصْلُ القَدَرِ سِرُّ اللهِ تعالى في خَلْقِه، لم يَطَّلِعْ على ذلك ملَكٌ مُقَرَّبٌ، ولا نبيٌّ مُرسَل، والتَّعمُّقُ والنَّظَرُ في ذلك ذريعةُ الخذْلَان، وسُلَّمُ الحُرمَانِ، ودرَجَةُ الطُّغيَانِ، فالحَذَرَ كلَّ الحذَرِ من ذلك نظَراً وفِكْراً ووسْوَسَةً، فإنَّ اللهَ تعالى طوَى عِلمَ القَدَرِ عن أنامِه، ونَهاهُم عَن مَرَامِه، كما قال تعالى في كتابِه:[لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ]الأنبياء:23. فمن سَألَ: لِمَ فَعَل؟ فقد رَدَّ حُكمَ الكِتَابِ، ومَن رَدَّ حُكمَ الكتَابِ كان من الكافِرين "ا-هـ. قال ابنُ أبي العِزِّ الحنفي في شرْحِه لكلامِ الطحَّاوي أعْلَاه:" أَصْلُ القَدَرِ سِرُّ اللهِ في خَلْقِه، وهو كونُه أوجَدَ وأفْنَى، وأفْقَرَ وأغْنَى، وأمَاتَ وأَحْيَا، وأضَلَّ وهَدَى، قال علي رضي الله عنه: القَدَرُ سِرُّ اللهِ، فَلا تَكْشِفْهُ "ا- هـ أي لا تنشَغِلْ في البَحثِ والكَشْفِ عمَّا خَفِيَت عنك حِكمتُه، فتَضِل وتَهلَك. وفي الحديث:" وإذا ذُكِرَ القَدَرُ فأَمْسِكوا "؛ أي لا تتوسَّعُوا، فتخوضُوا بغيرِ سُلطانٍ ولَا عِلمٍ.

* * * * *

وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ

300- قال تعالى:[وَمَا أَمْرُنَا]؛ لشيءٍ أردْنَاه، أيَّاً كان هذا الشَّيء [إِلَّا وَاحِدَةٌ]؛ إلا كلمةٌ واحدةٌ ـ لا نحتاجُ إلى تِكْرَارِهَا ـ نقولها كُنْ، فيكونُ هذا الشَّيء، [كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ]القمر:50. كطَرْفَةِ عَينٍ، وأسْرع ما يَقعُ عليه البَصَر.

* * * * *

سورة الرحمن

أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ

301- [أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ . وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ]الرحمن:8-9. لا يَقْتَصِرُ مَعْنَى الميزَانِ؛ على الميزَانِ الذي تُوزَنُ به الأشياءُ .. لَا .. بل هو يَتعَدَّى ذلك إلى مَعْنى أَعَمّ وأشمَل؛ إلى مَعنى العَدْلِ؛ الذي تَقومُ عليه السَّماوَات والأرض .. الميزانُ الذي تُوزَنُ به المعَانِي، والقِيَمُ، والمبَادِئُ، كما تُوزَنُ به الأشياءُ الماديَّةُ المحسُوسَة .. الميزَانُ الذي لا تَستقِيمُ الحياةُ إلَّا به .. الميزانُ الذي لا يُحَابِي أحَدَاً على حِسَابِ الحَقّ، والحَقِيقَةِ .. الميزانُ الذي يُنصِفُ الحقَّ مِن الباطِلِ .. والمظلُومَ مِن الظالِمِ .. ويُعطِي كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ .. الميزانُ الذي به يُوزَنُ الرِّجَالُ، وتُوزَنُ مواقِفُهم .. وأيُّما قَومٍ يَفْقدُونَ الميزانَ، أو يتلَاعَبُون بالميزانِ؛ فيَزِيدُون ويُنقِصُون فِيه مِن عِندِ أنْفُسِهم .. يَضطَرِبُ نِظَامُ حَيَاتِهم، ويُعرِّضُون أنفُسَهم للخَطَرِ، والزَّوَالِ، والدَّمَار!

* * * * *

كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ . وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ

302- مهما سَلَكتَ دَربَ الصّعودِ، لا بد من أن تصل إلى مرحلةِ الهبوطِ، ومن ثمَّ الأفُول .. هكذا الإنسانُ .. وهكذا الدُّول .. والأمم .. وهكذا كلّ شيءٍ .. طوراً بعد طورٍ إلى أن يصل إلى الطَّورِ الذي ليس بعدَه إلا الموت، ليصبح أثراً بعد عين، كما قال تعالى:[كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ . وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ]الرحمن:26-27. وقال تعالى:[مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَاراً . وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَاراً]نوح:13-14.

303- [كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ]الرحمن:26. هذا حُكمُ اللهِ، ولا مُعقّبَ لحُكْمِه، كلُّ مَن على الأرضِ مِن مخلُوقَاتٍ مآلها إلى الموتِ والفَنَاءِ .. قانُونٌ عامٌّ وشَامِلٌ لا يَستَثْني أحَداً مِن العِبادِ والمخلُوقات، لا حَاكماً ولا محكُوماً .. لا أميراً ولا مَأمُوراً .. لا غنيَّاً، ولا فَقيراً .. لا صَالحاً ولا شَقيَّاً .. فالكلُّ سيفْنَى ويَزولُ ويموت .. ويَرجعُ إلى خالِقِه ومالِكِه ليقِفَ بين يدَيه يومَ الحِساب، ويُرَى ما كان مِنه مِن عمَلٍ .. فأيُّ متَاعٍ يَنشدونَه في دَارٍ، الحياةُ فيها لا تَدومُ لأحَدٍ .. ثم هي معَ ذلك حياةٌ قَصيرةٌ مَليئةٌ بالمنغِّصَاتِ، والمكدِّرَاتِ، والفوَاجِع .. فيها الخيرُ والشرُّ .. والشيءُ وضِدّه .. ليتحقَّقَ معنَى الاختبَارِ والابتِلاءِ .. ويُعرَفَ الصَّابرُ مِن سواه .. ومَن الذي يَعبدُ اللهَ تعالى وحدَه، ويتَّبعُ سَبيلَ الأنبياءِ، ومَن الذي يَعبدُ الطاغُوت، ويتَّبعُ سُبُلَ البَاطِلِ والشَّيطَان!

* * * * *

كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ

304- [كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ]الرحمن:29. في كلِّ يومٍ يُظهرُ اللهُ علمَه الأزَلي في خلْقِه؛ يُحيي، ويُميت .. يَرفعُ، ويَخفِضُ .. يُعزّ، ويُذِل .. يُعطي ويَمنَعُ .. يُغني، ويُفقِر ..

يُمْرِضُ ويَشْفِي .. يَبتَلِي عبادَه بالشرِّ، والخيرِ .. يُضِلُّ مَن يَشَاءُ، ويَهدِي مَن يَشَاء .. ويَتُوبُ على مَن تَابَ .. والخَلْقُ كله بحاجةٍ إليه، لَا قَوَام ولَا حيَاةَ، ولَا وجُود لَه إلَّا بِه .. ولَا غِنى لَه عنه .. وهو سُبحانه يُعطِي كلَّ مخلُوقٍ حاجَته، وفقَ مَا قَد قُدِّرَ له .. وفِي الزَّمَن واليومِ، الذي قُدِّرَ له .. ولَا يُسألُ عمَّا يَفعَل.

* * * * *

هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ

305- [هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ]الرحمن:43. هَذِهِ جَهَنَّمُ بضخامَتِها، وسِعَتِها، وهيبَتِها، وطبقَاتِها، ووديْانِها، وآلاتِها، وسَلاسِلِها، وأليمِ وحَرِّ نِيرانِها، وشَدِيدِ عذابَاتِها .. التي تملأ العينَ خَوفاً ورَهبةً .. التي كنتم تُكذِّبُون وتَستخفُّون بها وأنتم في دُنيَاكُم .. كنتم تقتحمُون الذنوبَ والمعَاصِي لا تحسبُون لها حِسَاباً، ولا تُلقُون لها بَالاً .. ها أنتم الآنَ - في أُخرَاكم - تَرونَها عينَ اليَقين .. فهَلْ وجدتمُوها كما وُصِفَت لكم .. وهَل تُنكرون مِنها شَيئاً كما كنتم تَفعلُون في دُنياكُم .. فإنَّها الآن تَأكلُ بعضُها بعضَاً، وتتلمَّظُ شَوقاً للكافرين المجرمين، الذين كانوا بها يُكَذِّبُون!

* * * * *

هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ

306- [هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ]؛ طَاعةُ اللهِ ورَسولِه صلى الله عليه وسلم، [إِلَّا الْإِحْسَانُ]الرحمن:60. الجَنَّةُ ونَعِيمُهَا .. ورِضْوَانٌ مِنَ اللهِ لا يَعْقُبُه سخطٌ أَبَدَاً .. فيه أيضَاً تَقريرٌ لمبدَأ المقَابَلَةِ في الدُّنْيَا، فتُقَابَل الحَسَنَةُ بحسَنَةٍ، والإحْسَانُ بإحْسَانٍ .. ويُقابَل المعروفُ بمعروفٍ مِثْله.

* * * * *

فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ

307- [فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ]الرحمن:70. في الجِنَانِ زَوْجَاتٌ مِن الحوْرِ العِين .. اختارَهُنَّ اللهُ لعِبَادِه المؤمنِين .. وجمَّلَهُنَّ فأحْسَنَ تَجميلَهُنَّ .. جَمَعْنَ بينَ جمالِ النَّفْسِ، ونَفَائِس وكَرَائِم الأخْلَاقِ، وبينَ جَمَالِ وحُسْنِ المظْهَرِ والصُّورَةِ .. فانتَفَت عَنْهُنَّ عيُوبُ ونقَائصُ الخلُقِ والخلْقِ .. والجمَالُ لا يتحقَّقُ ولا يَكْتَمِلُ إلَّا بِهمَا مَعَاً .. ومتْعَةُ العِشْرَةِ لا تَتحقَّقُ ولَا تَكْتَمِلُ إلَّا بهمَا معَاً .. إذْ مَا قِيمَةُ الجمَالِ الظَّاهِرِ مَعَ قبْحِ البَاطِنِ .. وانتِفَاءِ الأَدَبِ، والحيَاءِ، والخُلُقِ الحسَنِ الحَمِيد .. يكفِيهِنَّ جمَالَاً أنَّ الجميلَ؛ الذي لهُ الجمَالُ المُطلَقُ، هو الذي جَمَّلَهُنَّ، وهو الذي يَصفهُنَّ بالجمالِ، وأنَّهُنَّ [خَيْرَاتٌ حِسَانٌ]. فلَكَ بَعدَ ذَلِك أن تَتخيَّلَ وتتصوَّرَ كم هُنَّ جَميلَات .. ومَهْمَا تَخَيَّلْتَ وتَصوَّرتَ فهُنَّ أكثَرُ وأجمَل .. وفي الحديث:" إنَّ أزواجَ أهلِ الجنَّةِ ليُغَنِّينَ أزواجَهُنَّ بأحسنِ أصواتٍ، ما سمِعَها أحدٌ قطُّ، إنَّ ممَّا يُغَنِّينَ بهِ: نحنُ الخَيرَاتُ الحِسَانُ، أزواجُ قَومٍ كرامٍ ...".

* * * * *

حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ

308- [حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ]الرحمن:72. حُورٌ مَسْتُوراتٌ جالِساتٌ في خِيامِ الجنَّةِ، لا يخرُجْنَ مِنها .. يَنتَظِرْنَ أزواجهُنَّ مِن أهلِ الجنَّةِ بشَوقٍ ولهفَةٍ .. لَا يَعلمُ زَمَنَ مُكثهنَّ وانتظارِهنَّ في الخيامِ إلا اللهِ .. الحمدُ لله أنَّهنَّ لَسْنَا مِثل نَسَوِيَات أهْلِ الأرضِ، طَشَّاشَات، كثيرَاتُ الخروجِ من بيوتِهنَّ، وكثيرَاتُ السَّفَرِ .. لَا يأبَهْنَ لحقُوقِ الأزوَاجِ .. ولَا لمصْلحَةِ البيوتِ، والأبنَاءِ!!

* * * * *

سورة الواقعة

خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ

309- [خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ]الواقعة:3. يومَ القِيامَةِ الذي يَرفعُ الإنسانَ، ويخفضُه، يُعِزُّه، ويُذِلُّه، أعمالُه، ومَا كان منه مِن عملٍ ومواقِف في دُنياه .. فمن آمَنَ وعملَ صالحاً رفَعَهُ اللهُ، وأعلَى مقامَه، ورَفَعَ ذِكْرَهُ، وقرَّبَهُ، وأسكنَهُ جنَّتَه .. وإن كان في دُنياه فَقِيراً، مَغْمُوراً، خَفِيًّا، لَا يُؤبَه له .. ومَن كَفَرَ، وظلمَ، وعملَ طَالِحاً .. أذَلَّهُ اللهُ، وأبعدَهُ، وحَقّرَهُ، وأدخلَهُ نارَ جهنَّم .. وإن كان في دُنياه سَيِّداً، غَنِيًّا، ومَشهوراً، يَتصدَّرُ المجالِسَ، تَعْلُو صَدرَهُ الرُّتَبُ والنيَّاشِين .. لا يُرَدُّ له أمرٌ .. فالميزانُ يَومئذٍ يختلفُ عن الموازِين الأرضيَّةِ في تَقييمٍ، وتَصْنِيفٍ، وفَرْزِ النَّاسِ .. وفي الحديث:" يُحشَرُ المتكَبِّرونَ يومَ القيامةِ أمثالَ الذَّرِّ في صُوَرِ الرِّجالِ، يغشاهمُ الذُّلُّ مِن كلِّ مَكانٍ، يُسَاقونَ إلى سجنٍ في جَهَنَّمَ يُسمَّى بولُسَ، تَعلُوهُم نارُ الأَنْيارِ، يُسقَونَ من عُصَارةِ أَهْلِ النَّارِ طِينة الخبَالِ ".

310- [خَافِضَةٌ]؛ للمشْرِكين، [رَّافِعَةٌ]الواقعة:3. للموحِّدين.

* * * * *

وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ

311- [وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ]الواقعة:10. السَّابِقُون الأُولى؛ هم السَّابِقُون الذين يُسَارِعُون ويُبادِرُون إلى فِعلِ الطَّاعَات، والخَيرَات .. فليسَ ـ في الأجْرِ والمرتَبَةِ والمكانَةِ ـ مَن سَبَقَ، وسَارَعَ، وبَادَرَ كالمبَطِّئ، والمتأَخِّر .. والسَّابِقُون الثَّانيَةُ؛ هم السَّابقُون الذين يَسبقُون غيرَهم ـ جزَاءً على سَبْقِهم الأوَّل ـ في دُخُولِ الجنَّةِ.

* * * * *

وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنثِ الْعَظِيمِ

312- [وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنثِ الْعَظِيمِ]الواقعة:46. كَانُوا يُصِرُّونَ على الذَّنْبِ العَظِيم؛ وهو الشِّرْكُ، وعِبادَةُ المخلُوقِ مِن دُونِ اللهِ .. فَلَا ذَنْب أعْظَم وأغلَظ جرمَاً مِن الشِّركِ!

* * * * *

أَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ

313- [أَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ]الواقعة:64. أنتَ تَغْرسُ فقَط؛ تَرمي الغرسَ في مزَارِعه، أمَّا الزَّارع الذي يتعَاهَدُ ويمدُّ الزَّرعَ بأسبابِ الوجُودِ، والنموِّ، والحياةِ، والعطَاءِ .. التي نعلمُ بعضَها، ونجهَلُ كَثِيراً مِنها .. هو اللهُ تعالى وحدَه .. كَمْ مِن زَرْعٍ أحاطَهُ الإنسانُ بجهدِه، وعِنايتِه، وأنفقَ في سبيلِه الأموالَ الطائِلَة .. فلم يثمِرْ، ولم يُعطِ عَطاءَه المرجُو .. وتآكَلَته الآفَاتُ، لتَعْلَم ـ يا عبدَ الله ـ أنَّ الزَّارِعَ على الحقيقةِ هو اللهُ تَعالى، وليسَ أنتَ .. وفي الحديث:" لا يقولَنَّ أحدُكُم: زَرَعْتُ، ولكنْ لِيَقُلْ: حَرَثْتُ ".

ونحوه كل جهْدٍ صَالِحٍ، أو عملٍ نافعٍ .. فأنت مطالبٌ ببذْلِه .. أمَّا الذي يَقبلُ العمَلَ، ويُبارِكُ فِيه، وينفعُ بهِ، ويضعُ له القبولَ .. متَى، وأينَ .. فمردُّ ذلك كُله إلى اللهِ تعالى وحدَه.

* * * * *

فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ

314- [فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ]الواقعة:70. هَلَّا تَشكرون .. لِمَ لا تشكرون .. ولو شكرتم لكان خيراً لكم .. سؤال تقريعي، يتضمّن عتاباً يلاحق الإنسانَ الكَفُور الجهول عبر جميع الأزمنة، وإلى يومِ القيامةِ، لعله يستحي فيَشكر .. وما أكثر وأعظم النّعم التي تحيط بنا، ونتقلّب بها في يومنا، وساعات ودقائقِ حياتنا .. ثم نمرُّ عليها مرَّ الكرام .. لا نأبه لها، ولا نحتفي بها .. ولا نشكرُ الخالقَ عليها .. وكأنها لم تَكُنْ .. ربَّنا أَوْزِعْنا أن نَشكرَ نعمتَك التي أنعمتَ علينا!

* * * * *

وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ

315- [وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ]الواقعة:82. يَطلبُون الرِّزقَ بالتَّكذِيبِ، ويُعَلِّقُون الرِّزقَ بتكذِيبِ الحقِّ ورَدِّه، ويقُولُون لَا نُرزَق، ولَا يَأتِينا رِزْقُنا، ولَا يمكنُ أن نحصلَ على وظيفَةٍ، إلَّا إذَا تبرَّأنا مِن الحقِّ، وكذَّبنَا بِه، وجَافِينَاه .. وجَامَلْنَا الباطِلَ على باطِلِه .. ووالينَا الطواغِيتَ والظَّالمين .. ومِن صُورِ التَّكذِيبِ أن تُقَابِلَ رِزْقَ اللهِ لك ـ سَواء كان مَادِيَّاً أم معنويَّاً ـ بالكُفْرِ والجُحُودِ، وعدَمِ الشُّكْرِ، وأن تَردَّ الفضْلَ فِيمَا أنتَ فِيه مِن خَيرٍ ورِزْقٍ لغيرِ اللهِ .. فتجعَل شُكرَك للنّعمَةِ هو التَّكْذِيب!

* * * * *

فَلَوْلَا إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ

316- [فَلَوْلَا إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ . تَرْجِعُونَهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ]الواقعة:86-87. الغَايَةُ مِن الموتِ، البَعْثُ والنشُور، ومِن ثَمَّ الحِسَاب، فكلُّ إنسانٍ محَاسَبٌ ومُدَانٌ يومَ القِيامَةِ بما كان منه مِن عمَلٍ في حيَاتِه الدُّنيا .. فمِن أعظَمِ الأدِلَّةِ الدَّالَّةِ على أن البَعثَ والنشُورَ، والحِسَابَ يومَ القِيامَةِ حَقٌّ، الموتُ ذَاتُه .. وإذَا كان الكفَّارُ يُنكِرُون البعثَ والنُّشُورَ، والحِسَابَ، ويُنكِرُون أنَّهم سيُدَانُون، ويُحاسَبُون على ما كان منهم مِن عمَلٍ .. فعَلامَ يموتُون، والموتُ لم يُقَدَّر إلَّا مِن أجْلِ الحِسَابِ .. فليردُّوا عن أنفُسِهم الموتَ، وليردُّوا الرُّوحَ - إن استطَاعُوا - إلى مواضِعِها مِن الجَسَدِ، إذا مَا بَلَغَت الحلقُوم ... وأَنَّى!

* * * * *

سورة الحديد

هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ

317- [هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ]؛ مِن عَدَمٍ؛ فلَمْ تَكُن، فكَانَت بأَمْرِ اللهِ تعالى ومَشِيئتِه، وفْقَ مَشِيئتِهِ وإرادتِه، فلَم تَتَواجَد ذَرَّةٌ واحِدةٌ في الكونِ الفَسِيحِ خَارِجَ المسَارِ الذي أرادَها اللهُ أن تكونَ فِيه، [فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ]؛ هل هذه الأيَّامُ - مِن حَيثُ طُولِها وزمَانِها - مِن أيامِ الدُّنيا .. أَم أنَّها من أيَّامِ الآخِرَةِ؛ اليومُ الواحِدُ كألفِ سَنَةٍ مِن سِنِيِ الدُّنْيا، [وَإِنَّ يَوْماً عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ]الحج:47.؟ العِلمُ عندَ اللهِ، لم يَرِد نَصٌّ من كتَابٍ أو سُنَّةٍ يُرجِّحُ أحَدَ القولَين .. واللهُ تعالى قَادِرٌ على أن يخلقَ السَّماوات والأرضَ بِكُن، فيكُون، كلَمْحٍ بالبَصَر، لكن شاءت حِكمَتُه سُبحانه أن يخلقَها في سِتَّةِ أيّامٍ، [ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ]؛ ثمَّ عَلَا على العَرْشِ عُلُوّاً يَليقُ بجلالِه، مِن غَيرِ تَكْييفٍ، ولا تَعطِيلٍ، ولا تَشْبيهٍ، ولا تَمثِيل، [يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ]؛ وهو في عُلُوِّهِ على عَرشِه، فَوقَ السَّماواتِ السَّبعِ، وفوقَ الجِنَان .. لا يمنَعُه ذلك أن يَعلَمَ ما يدخلُ

في الأرضِ من ماءِ المطَرِ، وبذورِ النَّباتَات وجذورها التي تمتدُّ في الأرضِ، ومَن يُدْفَنُ فِيها، وكُلُّ مَا يُلْقَى فِي باطِنها، ويجِدُ في دَاخِلِها مَأْواً لَه، [وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا]؛ مِن نَباتٍ، ومَاء، وزَرْعٍ، وشَجرٍ، وثرواتٍ، ومعَادِن، [وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاء]؛ مِن غَيْثٍ، وأينَ يَنزِلُ، وما تتنَزَّلُ به الملائِكَةُ من شؤونِ الأرضِ والعِبَادِ، بأمرٍ مِن اللهِ، [وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا]؛ من أرواحٍ، وأعمَالِ العِبَاد، وما تحمِلُه الملائكَةُ إلى السَّماءِ مِن شُؤونِ الأرْضِ والعِبادِ، [وَهُوَ]؛ في عَلْيَائِه، وعُلُوِّهِ على عَرْشِهِ، [مَعَكُمْ]؛ بِعِلْمِه، وسَمْعِه، وبَصَرِه، وقدرَتِه، لا يَخفَى عليه شَيءٌ مِن شُؤونِ عِبادِه، وخَلْقِه .. إضافة إلى هذه المعِيَّة، هناك مَعِيَّةُ تَوفِيقٍ، وتَسْدِيدٍ، ونُصْرَةٍ؛ وهذه خَاصَّةٌ بعبادِ اللهِ المؤمنين، [أَيْنَ مَا كُنتُمْ]؛ سَواءٌ كُنتم في البَرِّ أم في البَحْرِ .. فوقَ الأرضِ أَم تحتَ الأرضِ .. لا يُحيلُ حائلٌ بين اللهِ وبينَ عِبادِه يمنعهم من أن يَقُولُوا يا الله .. فأينَمَا كنتم، ومهما كان الظرفُ صَعْباً، وشَديداً عليكم، فاللهُ معكُم يَسمَعُ ويَرَى، وقَادرٌ على أن يُغِيثَكُم، [وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ]؛ من أعمالٍ قَلبيَّةٍ، أو أعمالٍ ظاهِرةٍ على الجوارِح [بَصِيرٌ]الحديد:4. بها، وبكم، لا يخفَى عليه سُبحانه شيءٌ مِن أعمالِكُم.

* * * * *

وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ

318- [وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ]الحديد:4. المعِيَّةُ مَعِيَّتَان: مَعِيَّةٌ عَامَّة؛ شَامِلةٌ لجميع الخلْقِ، الإنْسِ، والجِنِّ .. وهي مَعِيَّةُ عِلمٍ، وإرادَةٍ، وسَمعٍ، وبَصَرٍ، وقدرةٍ، وإحاطَةٍ. ومَعِيَّةٌ خَاصَّةٌ بالمؤمنين؛ وهي مَعِيَّةُ الهِدايَة، والتَّوفِيق، والتَّسْدِيد، والنُّصْرَة، والتَّأْيِيد.

319- [وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ]الحديد:4. لَا تَقْلَقْ .. ولا تخَفْ .. ولَا تَحْزَنْ .. أنتَ لَسْتَ بمفرَدِك .. أنتَ معَكَ الله!

320- [وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ]الحديد:4. وهَذا مِن مُقتَضَيَاتِه أن نَتَّقُوا اللهَ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ .. فَلَا يُحِيلُ بينَهُ وبينكُم مَكَانٌ ولَا زَمَانٌ.

* * * * *

وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ

321- [وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ]الحديد:7. المالُ مَالُ اللهِ .. أمَّا أنت فَمُستأمَنٌ ومُسْتخلَفٌ على مَا استأمَنَك اللهُ واستخلَفَك عليه مِن مَالٍ وَرِثتَه ممَّن قَبلك، وتَاركُه ـ لا محالَةَ ـ لمَن بَعدَك .. واللهُ تَعالى ناظِرٌ ماذا ستَفعَلُ فِيما استأمَنَك واستخلَفَك عليه .. لَن تَأخُذَ مِنه شَيئاً إلى قَبرِك وآخِرَتِك، إلَّا ما أنفقْتَ وتَصدَّقْتَ في سَبيلِ اللهِ، وفي الأوْجُهِ التي يحبُّها اللهُ تعالى ويَرضَاها مِنك .. فهذا الذي يَذهبُ مَعَك مِن مَالِك، وهذا الذي يَنفَعُك في آخرتِك؛ نفَقَتُك وصَدَقَتُك في سَبيلِ اللهِ.

322- [وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ]الحديد:7. وقَعَ في يَدِي دِرْهماً ـ سَمِّهِ إن شِئتَ دِينَاراً، أو جُنيهاً، أو دُولاراً، أو ريَالاً ـ فقلتُ في نَفْسِي: هذا الدِّرهمُ في كَم جَيبٍ دَخَلَ .. وكَم هي الأَيْدِي التي مَسَكَتْهُ ثم تَفَلَّتَ مِنها؛ وانتقَلَ مِنها إلى غَيرِها .. وإنَّه سينتَقِل مِنكَ إلى غَيرِك كَما انتقلَ مِن غَيرِك إليك .. وقَد خَابَ وخَسِرَ مَن انتقَلَ مِنه إلى غيرِه وهو مَأْزُور .. وقَد أفلَحَ وفازَ مَن انتقَلَ مِنه إلى غَيرِه وهو مَأْجُور!

* * * * *

لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ

323- الجهادُ قبل الفتحِ والتَّمكين خيرٌ من الجهاد بعد الفتحِ والتَّمكين، والمجاهدُ الذي ينطلق للجهاد من تلقاءِ نفسِه؛ من غير دولة ولا جهة ترعاه، وتكفله، وتكفل أهلَه

من ورائه، خيرٌ من المجاهدِ الذي يجدُ الدولةَ ـ أو الجهة ـ التي ترعاهُ، وتكفله، وتكفل أهلَه من ورائه، لا يستويان مثلاً، ولا أجراً، ولا مقاماً عند الله، [لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُوْلَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلّاً وَعَدَ اللهُ الْحُسْنَى وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ]الحديد:10.

324- [لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُوْلَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلّاً وَعَدَ اللهُ الْحُسْنَى وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ]الحديد:10.

هذه الآيةُ الكريمة وإن كان لنزولها سببٌ متعلّقٌ بمن أنفقَ وجاهَدَ في سبيلِ اللهِ قبلَ فَتح مكّة، وبينَ مَن أنفقَ وجاهَدَ بعدَ فَتح مكّة .. إلّا أنّها تُحمَل أيضاً على كلِّ فتحٍ إسلامي؛ فلا يَستَوي ـ مِن حَيث الأجرِ والثّوابِ والمكانَةِ ـ مَن أنفَقَ وجاهَدَ في أوّلِ الفَتح والجهادِ، وبينَ مَن أنفقَ وجاهدَ في آخِرِ مراحلِ الفَتح والجهادِ .. ولَا يَستَوي مَن أنفقَ وجاهدَ في آخِرِ مراحلِ الفتح والجهَادِ، وبينَ مَن أنفقَ وجاهَدَ بعدَ الفتْح والنَّصرِ، والتَّمكين .. فَلا يَستَوي السَّابقُون معَ المتأخّرين .. حتَّى في العِبادَات؛ لَا يَستوي في الأجْرِ والثّوابِ بينَ مَن يُبكّرُ إلى صَلاةِ الجمعَةِ قَبلَ صُعُودِ الخَطِيبِ إلى المنْبَرِ، وبينَ مَن يأتي إلى صَلاةِ الجمعةِ متأخّراً بعدَ صُعُودِ الخَطيبِ إلى المنْبَرِ .. والآيةُ فيها تَرغيبٌ وحَضٌّ على اغتنامِ فُرَصِ الخيرِ وهي في مرَاحِلهَا الأُوْلى، قبل انقضَائِها، وفواتِ الأوانِ .. فيقَعُ النَّدمُ على التَّفريطِ والتَّخلُّفِ والتَّأخيرِ، ولاتَ حِينَ مَنْدَم!

* * * * *

وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ

325- آيةٌ تختصرُ حقيقةَ الحياةِ الدُّنيا بكلماتٍ، لو عَقلْنَاها:[اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ

نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرّاً ثُمَّ يَكُونُ حُطَاماً وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ]الحديد:20.

* * * * *

لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ

326- [لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ]الحديد:23. مَا مِن شيءٍ إلا بقضَاءٍ وقَدَر، واللهُ تعالى قَد قَدَّرَ المنعَ والعطاءَ اختِباراً وابتِلاءً، ليُعْرَفَ الصَّابِرُ الشَّاكِرُ مِن سِواهمَا، فإن فاتَك شيءٌ يا ابنَ آدمَ من شُؤونِ الدُّنيا ممَّا تَسْتَشْوفُه نفْسُك ـ ولا بُدَّ أنَّه سيفُوتُك ـ فَلا تُقابِلْه بالحزَن المفْرِط، والجزَع، والتَّسخُّطِ، واليأسِ، وإنما قابلْه بالصَّبرِ، والرِّضَى، والاحتِسَابِ، عسَى اللهُ تعالى أن يعوضَك خَيراً ممَّا قَد فاتَك .. وإن أصابَتْكَ نِعمةٌ، فَلا تفْرَحْ بها فرحَ المبطِرين الكافرين لأنْعُمِ اللهِ، فتردَّ الفضلَ لنَفْسِك، وتَسْتَعلِي بها على عِبادِ اللهِ .. فتنقلِب عليك إلى نِقْمَةٍ .. وإنما قابِلْهَا بالشُّكرِ، والعُرفَانِ، والإحسَانِ .. وافرَحْ بها فرَحَ الشَّاكِرين.

* * * * *

وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ

327- لا تقومُ للعدلِ قائمة إلا بالكتابِ والحديد معاً، فالكتاب من دون الحديد ضَعف، والحديد من دون الكتابِ ظلم وعلو في الأرض بغير حق .. قال تعالى:[لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ]الحديد:25.

* * * * *

وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ

328- [وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا]الحديد:27. مَا تَشَدَّدَ قَومٌ في دِينِهم؛ فجَنَحُوا إلى الإفراطِ والغُلُو، إلَّا غُلِبُوا، وانتَهى بِهم الحالُ إلى التَّفْرِيطِ، والجَفَاء .. هكَذا فعَلَ رُهْبَانُ وعُبَّادُ النَّصَارَى بأنفُسِهم؛ لَمَّا اعتزَلُوا - من تلقاءِ أنفُسِهم - النِّسَاءَ؛ فانتَهى بهم اعتزالُهُم، وتَشَدُّدهم على أنفُسِهم إلى الشُّذُوذِ، وإلى أن أصبَحُوا مِثلِيين، ولوطِيين؛ يَستَحسِنُون زوَاجَ الرِّجالِ بالرجَالِ .. وهكذا يَنتهي حَالُ كُلِّ مَن يتأَسَّى بِهم؛ فيُشَدِّدُ على نَفْسِه في الدِّينِ مَا لم يَأذَن به اللهُ!

* * * * *

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ

329- [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا]؛ بعيسَى عليه السَّلام، [اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ]؛ بمحمدٍ صلى الله عليه وسلم، [يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ]؛ ضِعْفَين مِن الأجْرِ؛ لإيمانِكم بعيسَى، وبمحمَّدٍ عليهمَا الصَّلاةُ والسَّلَام، [وَيَجْعَل لَّكُمْ نُوراً تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ]الحديد:28. [وَيَجْعَل لَّكُمْ نُوراً تَمْشُونَ بِهِ]؛ وَيَجْعَل لَّكُمْ عِلماً صَائباً مُسْتَخرجاً مِن القُرآنِ الكريم، ومِن سُنَّةِ النبيِّ محمدٍ صلى الله عليه وسلم .. تَمشُونَ به بينَ النَّاسِ .. تَستَضِيئُون به ظُلمَات السُّبُلِ، والمنَاهِجِ، والأفكَارِ، والتَّوجهاتِ .. فتُحْسِنُون التمييزَ بينَ الحقِّ والباطِلِ .. وبينَ الصَّوابِ والخطَأ .. وبينَ مَا ينفَعُ، ومَا يَضرُّ .. وبينَ الصَّدِيقِ

والعدُوِّ .. والمرءُ على قَدْرِ مَا يَضعُفُ نورُهُ المستخرَج مِن القُرآنِ الكرِيم، ومِن السنَّةِ النبويَّةِ المطهَّرَةِ .. على قَدْرِ مَا يتعَثَّرُ في طَرِيقِه .. ويتخبَّطُ في مواقِفِه، واختياراتِه!

* * * * *

سورة المجادلة

قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا

330- [قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ]المجادلة:1. للآيةِ الكريمةِ دلَالاتٌ فقهيَّةٌ عظيمةٌ تناولتها كتبُ التَّفسيرِ والفقْهِ .. ليسَ هنا مَوضع بَسْطِها .. وإنما استوقَفَني في هذه الآيةِ الكريمةِ جدالُ المرأةِ للنبيِّ صلى الله عليه وسلم وحوارِها ومراجعَتِها له في قضيَّةٍ مصيريَّةٍ قَد أهمَّتها .. لها علاقةٌ باستقرارِ حياتِها الزوجيَّةِ والعائليَّةِ .. والنبيُّ صلى الله عليه وسلم ـ فِداه نَفْسي ـ يحاورُها ويُجادِلُها .. ويُصغي إليها .. فَما أسكَتَها، ولَا نَهرَها .. لكونِها امرَأَة .. بل الأكبرُ مِن ذلك أنَّ اللهَ تعالى خالِقَ الخلقِ، ومالِكَ المُلْكِ، ربَّ العالمين .. وهو مِن فوقِ عرشِه قد سمعَ حوارَها مع النبيِّ صلى الله عليه وسلم .. وسمعَ شَكواهَا إليه .. وهو بنفْسِه سُبحانه تبنَّى قضيَّتَها، وقضيَّةَ الإجابةِ عمَّا تَسأل عنه .. وعمَّا قد أقلَقَها وأهمَّها .. وبها، وبقصَّتِها، وقَضيَّتِها، وجِدالِها أنزَلَ اللهُ سُورةً تُتلَى إلى يومِ القِيامَةِ، اسمها " سُورَةُ المُجَادَلَة " .. فأيُّ تَشْريفٍ وتكريمٍ يُوازِي هذا التَّشريف والتَّكريم للمرأةِ .. هذه المرأةُ ذاتها قد استوقَفَت عمرَ بنَ الخطَّاب في الطريق، فقالت:" رُويدك يا عُمَر حتى أكلمك كلماتٍ قليلة، قالَ لها: قُولي، قالت: يا عُمر، عَهْدِي بك وأنت تُسَمَّى عُمَيرًا في سُوقِ عُكاظ، تُصارِعُ الفِتيان، فلمْ تَذهَب الأيامُ حتى سُمِّيتَ عُمَرًا، ثم لمْ تذهَبْ الأيامُ حتى سُميتَ أميرَ المؤمنين، فاتَّقِ اللهَ في

الرعيَّةِ، واعلمْ أنه مَن خافَ الوَعيدَ قربَ مِنه البَعِيد، ومَن خافَ الموتَ خَشيَ الفَوْتَ، فبكَى عمرُ رضي الله عنه، فقال الجارُود العَبدي ـ وكان مُرافقاً لعمر ـ: هيه، لقد أكثَرْتِ وأبكَيْتِ أميرَ المؤمنين، فقالَ عُمر: أوَمَا تَعرفُ هذه؟! هذه خولَةُ بنتُ حَكيمٍ امرأةُ أوْسِ بنِ الصَّامتِ التي سمعَ اللهُ قولَها مِن فوقِ سمائِه، فعُمَر والله أجدرُ أنْ يَسمعَ لَها " .. وفي زماننا شيوخٌ جُهَّال إذا تَوجَّهت إليهم امرأةٌ بسؤالٍ أو قضيَّةٍ، وأرادَت أن تحاورَهم فِيها .. زَجَرُوها .. وأَسْكَتُوها لكونِها امرَأة .. ولأنَّ صوتَها عورَةٌ .. زَعَمُوا!

* * * * *

أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ

331- [أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ]المجادلة:6. السِّنين والأيامُ قَد تُنْسِيك يا ابنَ آدَم ما صَنَعْتَ، ومَا فَعَلْت .. لكنَّ اللهَ تعالى لَا يَنْسَى شَيئاً .. يُحصِي لك كلَّ مَا بدَرَ مِنك مِن عمَلٍ ظَاهِرٍ أو باطِنٍ .. كانَ خَيراً أم شَرَّاً .. كانَ كبيراً أم صَغيراً، حتى الذرَّةَ مِن العَمَلِ قَد أحصَاهَا لك، وعَدَّهَا عَدَّاً .. لتَلْقَاها أمَامَك يومَ القِيامَةِ، يومَ يُقالُ لك:[اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيباً [الإسراء:14. فإن وجَدْتَ خَيراً فاحمَد اللهَ، وإن كان غَيرَ ذلك فلَا تَلومَنَّ إلَّا نَفْسَك.

* * * * *

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ

332- [أَلَمْ تَرَ]؛ ألم تتدبَّر وتَتفكَّر بعقلِك، وتنظُر ببصيرَتِك .. فتعْلَم، [أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ]؛ مِن أجسامٍ ومخلُوقاتٍ، ومِن أعمالٍ وحركاتٍ،

وأصواتٍ .. لا يخفَى عليه من مخلُوقاتِه شَيءٌ .. حتى النَّجْوَى، [مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَى ثَلَاثَةٍ]؛ يتناجَون سِرًّا، بعيداً عن أعينِ ورقابةِ الناسِ، [إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ]؛ معهم، يعلَمُ ويسمعُ نجواهُم، لا يخفَى عليه من حالِهم ومَا يَضْمِرُونَه ويتَسَارُّون به شيء، [وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِن ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ]؛ قلَّ عدَدُهم عن ذلك أو كثر، [إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ]؛ فاللهُ تعالى وهو مستوٍ على عَرْشِه، معهم بعلْمِه، وسمعِه، وبصَرِه، وقُدْرَتِه، [أَيْنَ مَا كَانُوا]؛ سواءٌ كانوا في شَرقِ الأرضِ أم في غَرْبِها، أم في جنُوبِها، أم في شمالِهَا، وسَواءٌ كانُوا فوقَ الأرضِ، في قُصورِها، وحصُونِها، أم تحتَ الأرضِ، في خنادِقِها، وسرَادِيبِها .. وأنتَ يا أيُّها الإنسانُ لا تحسبنَّ أنَّك في نْجوَاك، وتخَفّيك، واستتارِكَ، تَستطيعُ أن تُخفي شيئاً عنِ اللهِ .. وأنك بمفردِك فِيما تَتَناجَى به، لا يطَّلعُ عليكَ أحَدٌ .. وأنتم يا أيها المؤمنون لا يحزنكم نجْوَى الكفَّار وتآمُرهم عليكم .. فإن كنتم لا تَعلمون نجواهُم، وما يخطّطُون له .. فاللهُ معَهم يَعلمُ نجواهَم وسِرَّهم، ومَا يُدبّرون، ويخطّطُون له ضدَّكم، [ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ]؛ بما كان منهم مِن عملٍ، وفِيما قد تنَاجَوا فيه؛ فمَن عمِل خَيراً وجَدَ خيراً، ومَن عملَ شَرًّا وجَدَ شَرًّا، ولا يلُومَنَّ إلا نفْسَه، [إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ]المجادلة:7. من صيغ العموم الشامِلَةِ لجميع الأشياءِ؛ كبيرها وصغيرها، وسواءٌ كانت في السماواتِ أم كانت في الأرضِ .. فالله يعلَمُها، وقادِرٌ عليها، ويحيطُ بها عِلماً.

* * * * *

سورة الحشر

فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا

333- [فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا]الحشر:2. في كثيرٍ مِن الأحيانِ تَتَراءى الأسبابُ للعيانِ كسَدٍّ مَنيعٍ يمنعُ من النَّيلِ من الأعْداءِ .. تجعل العدوَّ يَشعرُ بالأمَانِ، والاطمئنَانِ، وأنَّه فوقَ أن يُنالَ منه، ومِن هَيبتِه .. فيأتيه اللهُ تعالى مِن حيثُ لا يَظنُّ، ولا يَعلمُ، ولا يخطرُ على بالِه .. فيُسلِّطُ عليه عدوّاً وظالماً مِن جنسِه ولونِه .. ومِن داخلِ صَفِّهِ .. ومِن جهةٍ كانوا للحظَةِ الأخيرَةِ يَعتقدُون أنَّها آمِنَةٌ .. فتتَهاوى تلكَ الأَسْبابُ المنيعةُ كأنَّها بيتُ العَنْكَبُوت .. ليعلمَ الجميعُ أنَّ مكرَ اللهِ أعْلَى، وأكبرُ، وأجَلُّ .. وأنه لا يحولُ بينه وبينَ مشيئتِه حَائِلٌ.

* * * * *

يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ

334- [يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ]الحشر:2. تكونُ دِيارُهُم وبيوتُهم عَامِرَةً بالخَيرِ .. والنِّعَمِ والأمَانِ .. فيُقابلُون هذا الخيرَ والنِّعَمَ بالكُفْرِ، والظُّلمِ، والعُصْيَانِ، والفُسُوقِ، والفُجُورِ .. ويُدْخِلُون على بيوتِهم مَا ليسَ مِنْهَا .. فيُخَرِّبُون بذلك بيوتَهم الآمِنَةِ المطمئنَّةِ بأيدِيهم، وإرادَتِهم .. ويَهدِمُون العَامِرَ مِنْهَا .. وكانُوا بِغِنَى عَن ذَلك!

335- [يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ]الحشر:2. الخرَابُ نَوعان: خَرابٌ مَادِيٌّ، يتمثَّلُ بالهدْمِ، والتَّدمِيرِ، والتَّفجِيرِ .. وخَرابٌ مَعْنَوِي، يتمثَّلُ بتخريبِ البيوتِ في الدِّينِ، والخُلُقِ .. وإشاعَةِ الفسَادِ، والمنْكَرَاتِ، والموْبِقَاتِ فِيها .. وهو خَرابٌ أشَدُّ فَتْكاً وأثَراً مِن الخَرابِ الأوَّلِ المادِّي .. وأكْثَرُ شِيُوعاً!

336- [يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ]الحشر:2. هذه آيةٌ نزلَت في اليَهودِ؛ فهم يُخْرِبُون بيوتَهم بأيْدِي المؤمنين؛ حيث يجعَلُون للمؤمنِين ـ بسببِ عُدْوانِهم وغَدْرِهم ونقضِهم للعهُودِ ـ سُلطَاناً عليهم .. فيكونُون بمثابَة مَن يُخْرِبُ بيتَه لكن بيدِ غَيرِه .. أمَّا أنَّهم يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ، ويَهدمون بيوتَهم التي عمرُوها بأيدِيهم؛ فهذا لأنَّهم سُفَهَاء وأغبيَاء، لَا يَنظُرُون إلى مآلاتِ وعَوَاقب أفعَالِهم .. فيُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وهم يَحسَبون أنَّهم يُحسِنُون صُنعَاً!

* * * * *

كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاء مِنكُمْ

337- [كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاء مِنكُمْ]الحشر:7. أيُّمَا نظامٍ اقتصاديٍّ تقومُ سَياساتُه على تحريكِ، وتَشغيلِ الأموالِ، واستثمارِها ـ بعيداً عن الحرامِ وضمن المشروعِ والمبَاحِ ـ ليستَفيدَ منها أكبرُ قَدْرٍ ممكنٍ مِن الناسِ .. الإسلامُ يُؤيدُه، ويُبارِكُه، ويُرَغِّبُ به .. وأيما نظامٍ اقتصادِيٍّ تَقُومُ سياسَاتُه على تجميدِ الأموالِ وكنْزِها، لتبقَى متداوَلَةً بين أيدِي فئةٍ قليلَةٍ مِن النَّاسِ .. فالإسلامُ لا يُؤيدُه ولَا يُباركُه .. قال تعالى:[وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلاَ يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ]التوبة:34.

* * * * *

وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ

338- [وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ]الحشر:9. الإنسانُ فُطِرَ على حُبِّ نَفْسِه، وعلى أن يُؤثِرَها على ما سِواها .. فهو لا يحتَاجُ للتذكيرِ بما يَشعرُ به، ويطلبُه على مدَارِ السَّاعَةِ .. ومع ذلك قد تكاثَرت الدَّعوات المغرضَةِ الباطِلَةِ والمشبوهَةِ الدَّاعِيةِ إلى الأنانيَّةِ المجحِفَةِ، وإلى مزيدٍ مِن حُبِّ الذَّاتِ، وحُبِّ النفْسِ وإيثارِها .. فرفَعوا شعاراً نفْسي أوَّلاً وآخراً .. وليسَ شيء قبلَ ولا بعدَ نفسِي .. إلى درجةٍ لم يَعدْ يطيبُ لهم أو يَستسِيغُوا أن يَلتفتوا ـ ولو بالقليلِ النَّادرِ من وقتِهم ومما يملِكُون ـ إلى آلامِ، وحاجياتِ، ومشَاعِرِ الآخَرين .. وهم بذلك أرادُوا مِن المسلمِ ـ والمسلمة ـ أن ينسلخَ بكليتِه عن أمَّتِه، وعَن آلامِ ومآسِي وحاجيات إخوانِه، ومحيطِهِ الاجتماعِي .. فلا يَتفاعَلُ بشيءٍ إيجابي مع هُمُومِ وآلامِ المسلمين .. فانتشرَت بين الناسِ أخلاقُ الضِّباع الضَّاريَةِ التي لا تَأبَه إلا لنَفْسِها، ولو مَاتَ جميعُ القَطيعِ ومَن حولها جُوعاً .. وأصبحَ الحديثُ عن الإيثارِ والبَذْلِ سُبَّةً مدعَاة للتهكُّم والاستخفَافِ .. فجاءَ الخطابُ القُرآنِي الربَّاني ليرشِّدَ النفُوسَ، وليصحِّحَ سلوكَ ومشاعِرَ هذا الفريقِ الأناني الكبيرِ من الناسِ .. وليقول لهم: حُبُّك لنفْسِك مشرُوعٌ .. ولكن لا ينبغي حُبك لنفْسِك أن يمنعَك من أن تحبَّ للآخَرين ما تحبُّ لنفْسِك .. بل إيمانُك لا يكتَمِلُ حتى تحبَّ لأخِيك مَا تحبُّ لنفْسِك .. ثم لو ارتقيتَ درجةً أسمى من مجرَّدِ الحبِّ؛ فآثرتَ غيرَكَ ببعضِ العطاءِ والخيرِ، ممن هم أكثرُ مِنكَ حاجَةً وجُوعاً على نفْسِك .. فأنت الرابحُ والفائزُ في الدُّنيا والآخِرةِ .. والأعظَمُ من هذا كُلِّه أن تؤثِرَهم معَ حاجَتِك لما تُؤثرهم به .. فربَّ دِرهَم مِنك وأنت بحاجةٍ إليه يَسبقُ عندَ اللهِ مائةَ ألفَ دِرهَم وأنت مُستَغْنٍ .. وإن فاتَك المقَابِلُ في الدُّنيا ـ لا تحزَنْ ولا تبتئِسْ ـ فاعلمْ وتيقَّن أن المقابِلَ في

الآخِرَة لن يَفوتَك، وستجِدُه أضعَافاً مُضَاعفةً، ولن يخيبَ مَن يُتاجِرُ معَ اللهِ، [فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ]، الفائزُون بالرِّضْوان والجِنَان!

* * * * *

بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعاً وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى

339- [بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعاً وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ]الحشر:14. هكَذا كانُوا اليهود مِن قَبل .. وهكذا هُم الآن .. وهكذا هُم غَداً .. ظاهِرُهم يُوحِي أنَّهم مجتمعُون على قَلبِ رجُلٍ واحِدٍ .. بينَما هم في حَقِيقَتِهم، وواقِعِهم مُتَنَاحِرُون .. مُتَدَابِرُون .. مختلِفُون .. ومُتَفرِّقُون في فِرَقٍ، وأحزَابٍ شَتَّى .. أليسَ ذلك دَليلٌ على أنَّ القُرآنَ الذي يَصِفُهم بهذَا الوصْفِ الدَّقيقِ وعلى مَرِّ أزمنَتِهم .. حَقٌّ، وأنَّه كَلامُ اللهِ؟!

* * * * *

كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَانِ اكْفُرْ

340- [كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكَ]الحشر:16. لَا أَرَى مَثِيلاً للشَّيطَانِ في صَنِيعِه هَذا، كطوَاغِيتِ الحُكْمِ والظُّلْمِ، الذين يُشَرِّعُونَ الشَّرَائِعَ والقَوَانِين البَاطِلَةِ، ويُمهِّدُون لها، فإذَا وقعَ الناسُ بموجِبِها، تبَرَّؤُوا مِنهم، وأَخَذُوهم بأصنَافٍ مِن العُقُوبَات؟!

* * * * *

وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ

341- [وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ]الحشر:19. ومن نسيان المرءِ لنفْسِه؛ الغفلةُ عن تعاهدها بما ينفعها، وتجنيبُها ما يَضرُّها .. وعن محاسبتِها، ومُساءلتِها فيما قدّمت، وما أخّرَت، وأين كانت، وكيف أصبحَت، وإلى أين تَصير ...؟!

342- [نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ]الحشر:19. فأنْساهم أنفسَهم وما ينفَعها، ويُصلحها، فعلى قَدرِ نسيانِ العبدِ لخالِقه على قَدْرِ ما يُنسِيه اللهُ نفسَه، ويُنسِيه ما يَنفعها، ويَسعى فيما يَضرُّها .. مفهوم المخالفة يقضي أن العبدَ على قدر ما يَذكرُ اللهَ تعالى، على قدر ما يذكرُ نفسَه، وما يَنفعها ويُصلحها، في الدنيا والآخرة.

343- ونحوه قوله تعالى: [فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ]الأنعام:44. مِن نعيمِ وزِينَةِ وزُخرفِ الحياةِ الدُّنيا، فتنةً لهم، فينْسون ـ بسببها، وسبب الانشغالِ بها ـ أنفسَهم، حتَّى يأتيَهم اليَقينُ، فيقعُ النَّدمُ، ولاتَ حِين مَنْدَم .. وفيه أنَّ العقوبةَ والجزاءَ من جِنسِ العمَل.

* * * * *

أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ

344- [أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ]الحشر:20. لا نجَاحَ معَ خُسرَانِ الجنَّةِ، ولَا خُسْرَانَ معَ الفَوزِ بالجنَّةِ.

* * * * *

لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعاً مُّتَصَدِّعاً مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ

345- [لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعاً مُّتَصَدِّعاً مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ]الحشر:21. الجبَلُ مَهمَا كان ضخماً، وصَلباً، وقوياً، ومتَماسِكاً .. لو أُنزِلَ عليه القُرآنُ الكريم لخضَعَ، وذَلَّ، وخَشَعَ، وتَصدَّعَ تماسُكُه خَشيَةً مِن اللهِ، وفَرَقاً من كلامِ اللهِ، ومَا يحويه من بلاغَةٍ، وإعجازٍ، ومِن تكاليفٍ، ومِن أمرٍ، ونَهيٍ، ووَعْدٍ، ووعِيدٍ .. فكيفَ يَليقُ بك يَا أيُّها الإنسانُ، وأنتَ الضَّعيفُ، مِن لحمٍ، ودَمٍ ليس فيكَ قوَّة، وصَلابَة، وتماسُك الجِبالِ .. أن لا تخشَى اللهَ، ولا يخشَع قلبُك لكلامِه، وآياتِه، ولا تخضَع لأمرِه ونَهيه .. تُتْلَى آياتُ اللهِ على مسَامِعك، فتُعرِض عنها، ولَا تُحرِّكُ فيك شيئاً، كأنَّك لم تسمَعْها .. فأنتَ على ضَعفِك، وصغرِ حجمِك، فقلبُك أقسَى مِن الجبَال، [وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ]؛ حالُ الجبالِ لو تَنزَّلَ عليها القُرآن، [نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ]؛ لعلَّهُم يَعتبرُون، ويَتدبَّرُون القُرآنَ الكريم ومَا تضمَّنَه من إعجازٍ فريدٍ في لغتِه، وأحكَامِه، وشرائعِه، وعلُومِه .. ويكون ذلك سَبباً في هدايتِهم، وإيمانِهم.

* * * * *

سورة الممتحنة

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاء

346- [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاء]الممتحنة:1. مَن كان عدوّاً للهِ فهو عَدوٌّ للمؤمنين، ومَن كان عَدوّاً للمؤمنين فهو عَدوٌّ للهِ .. ومَن أرادَ أن يفرِّقَ بين أعدَاءِ اللهِ، وأعداءِ المؤمنين، ويَتخذَ مِن أعدَاءِ اللهِ أولياءَ، فهو ليسَ مِن المؤمنين.

* * * * *

قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ

347- [قَدْ كَانَتْ لَكُمْ]؛ للمؤمنين؛ كُلّ المؤمنين في كلِّ عَصرٍ ومصرٍ، وإلى أن تقومَ الساعَةُ، [أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ]؛ قدوةٌ حسَنةٌ .. في ماذا؟ [إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ]؛ من غيرِ المؤمنين، وخُصَّ القومُ بالذِّكرِ لأنَّهم الأَلْصَقُ، والأقرَبُ، والأصعَبُ .. والذي يَقْدِرُ أن يقولَ الحقَّ لقومِه، يهونُ عليه أن يقولَ الحقَّ للأبعَدِ مِنْهم، [إِنَّا بُرَاء مِنكُمْ]؛ مِن المشركين مِنكُم، العابدِين لغيرِ اللهِ، [وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ]الممتحنة:4. ومن معبوداتِكم، والشِّركِ؛ وهو صَرفُ العبادَة لغيرِ الله، وأن تجعلَ للهِ نِدّاً في أيِّ شيءٍ من خصائصِه، ومن أسمائه الحُسنى، وصِفاتِه العُلْيَا .. وقُدِّم البراءُ من المشركين على البَراءِ من الشِّركِ؛ لأهميته، ولأن البراء من الشِّركِ لا يَسْتلزِمُ البراءَ مِن المشركين .. كما أنَّ المشركين ـ في مرحلةٍ من المراحِل ـ قد يَرضَونَ من المؤمنين أن يتبرَّأوا من الشِّركِ، ومن معبوداتِهم .. على أن لا يتبرَّأوا منهم، وأن تبقى أواصرُ الموالاة والمحبَّةِ قائمة بين الطَّرفين .. وحتى لا يحصلُ شَيءٌ من ذلك، جاء التَّعبيرُ القُرآني وبكلِّ وضُوحٍ [إِنَّا بُرَاء مِنكُمْ] أوَّلاً !...

* * * * *

رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا

348- [رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا]الممتحنة:5. [رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا]؛ ممَّن يُسيئُون، ولَا يُحسِنون، ويَظلمُون، ولَا يَعدِلُون .. فنكُونُ بذلك [فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا]؛ فنَصدّهم ـ بسوءِ أفعالِنا وأخلاقِنَا ـ عن دينِك الحقّ، ونحملهم على أن يتمسَّكُوا بدِينِهم الباطِل!

349- [رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا]الممتحنة:5. كلُّ مَا يَصدُّ الكفَّارَ عن الإيمانِ، والدُّخُولِ في دِينِ اللهِ، يَدخلُ في مَعنَى " الفِتْنَة "، ومِن ذلك أن تكونَ لهم الغَلبَةُ دائماً على المؤمنِين، أو أن يُوسَّعَ عليهم في الرزقِ مِن دُونِ المؤمنِين، أو يُسلَّط على المؤمنِين العذَاب والبلاء من دونِ الكافِرين .. فيُفتَتَنوا، ويَظنُّوا ـ بسببِ ذلك ـ أنَّهم، ودينَهم على حقٍّ .. وأنَّ المؤمنِين، ودينَهم على باطِل!

* * * * *

وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ

350- [وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ]الممتحنة:12. جاء النهي عن قتل الأولاد مباشرة بعد النهي عن الزنى؛ لأن غالب اللَّاتي يقتلن أولادهن، يكون بسبب الزنى؛ ليدفعن عن أنفسهن عار وتبعات الحمل بالزّنى .. وهذا لا يجوز؛ فالخطأ لا يُزال بخطيءٍ مثله أو أكبر منه.

351- [وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ]الممتحنة:12. القَتْلُ نَوْعَان: أَكْبَرُ، كالإجْهَاض بعدَ أن تُنْفَخَ الرُّوحُ في الجَنِينِ. وأَصْغَرُ، كتَعَاطِي الموانِع، والخَوَانِق التي تمنَعُ الحَمْلَ، مِن غَيرِ ضَرُورَةٍ.

* * * * *

سورة الصف

كَبُرَ مَقْتاً عِندَ اللهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ

352- [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ]؛ تَأمرُون الناسَ بالمعرُوفِ، ولا تأتُونَه، وتَنهونَهم عن المنكَرِ، وتأتُونَه .. تَعِدُون، وتُعَاهِدُونَ ثم لا تَفُون بوعْدِكُم ولا

عهْدِكُم .. فهذا خُلُق مَذمُومٌ، وهو ضَرْبٌ مِن النِّفاقِ .. لا يَليقُ بكم، ولا بدَعْوَاكم الإيمان .. فصنيعُكُم هذا، [كَبُرَ]؛ عَظُمَ [مَقْتاً]؛ سخطاً، وغضَباً شَديداً، [عِندَ اللَّهِ]؛ يومَ القيامةِ، وفي حُكْمِ الله، [أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ]الصف:2-3. فكلُّ مَن لا يُصدِّقُ قَولَه بالعمَلِ .. وقالَ قولاً يُكَذِّبُه بعَمَلِه .. وكلُّ مَن يَعِد وعْداً ثم لا يَفِي به .. له حَظٌّ مِن هذه الآيةِ الكريمةِ .. وهذا الوَعيدِ الشَّديدِ والمخيفِ .. نَسْألُ اللهَ تعالى السَّلامَةَ، والعَفْوَ والعَافِيةَ.

353- [كَبُرَ مَقْتاً عِندَ اللهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ]الصف:3. لأن الإساءةَ حينئذٍ تكونُ مُضاعفةً؛ إساءة للقائِلِ الذي يُناقضُ قولُه عمَلَه، وإساءة للقولِ، وللدعوة ذاتِها، وبريقها، التي تفقد النوذَجَ العمَلي، وإساءة للمدعو؛ إذ يرى فيمن يقولُ ما لا يَفعل مثل السّوءِ لما يَدعو إليه .. فيكون بذلك منفّراً له!

354- [كَبُرَ مَقْتاً عِندَ اللهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ]الصف:3. شُعبةٌ مِن شعَبِ الكَذِبِ والنِّفاقِ أن تقولَ مَا لَا تَفْعَل .. أن تحضَّ على خُلُقٍ وتَأتي ضِدَّه .. أن تَأمُرَ بشيءٍ وتَفعَل عكْسَهُ .. أن تَعِدَ بشيءٍ ثمَّ لا تَفِي به .. وإذا كان هذا الخُلُق مَذموماً وقَبيحاً في آحَادِ الناسِ .. في حقِّ المستضعَفين مِن النَّاسِ .. فهو في الحكَّامِ والأمراءِ الذين يملكُون القوَّةَ، والسُّلطةَ أشَدُّ قُبحاً وذَمّاً .. الحكَّام الذين لا يحترِمُون كلامَهم، ووعُودَهم، وعُهودَهُم .. الذين يَدورُون مع مصَالحِهم الشَّخْصيَّةِ، والحِزْبيَّةِ، والسياسِيَّةِ حيثُمَا دارَت ووجِدَت .. يَقُولُون كَلاماً في اللَّيلِ ثم يَدُوسُون عليه في النَّهَارِ، ويَقُولُون كَلاماً في النَّهارِ ثمَّ يَدُوسُون عليه في اللَّيلِ .. وإن كانَ ذلك على حِسَابِ القِيَمِ والمبَادِئِ، والعُهُودِ التي قطَعُوها للشعُوبِ على أنفُسِهم .. فهذا النَّوعُ مِن الحكَّامِ لهم القسطُ الأَكبَر والأَوفَر مِن سخَطِ ومَقْتِ اللهِ عزَّ وجَل، ومِن الوعيدِ الوارِدِ في الآيةِ أعْلاه .. وفي الحديث الصحيح:"

ثَلاثَةٌ لا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يومَ القِيامَةِ، ولا يُزَكِّيهِمْ، ولا يَنْظُرُ إليهِم، ولَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ - منهم -: ومَلِكٌ كَذّابٌ "مسلم.

* * * * *

فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ

355- [فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ]الصف:5. فلمَّا مَالُوا عن الحقِّ وعَدَلُوا عنه إلى مَا سِوَاه، صرَفَ اللهُ قلوبَهم، وأمالَها عن فهمِ الحقِّ، والإيمانِ بهِ .. فعاقبهم من جنسِ ذَنْبِهم .. فالحقُّ نعمةٌ مَن لَا يَعرفُ قَدْرَها يُعاقَب بحرمَانِها!

* * * * *

سورة الجمعة

كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَاراً

356- مَثَلُ عُلماءِ السُّوءِ في كِتابِ اللهِ، وهم فريقان: فَرِيقٌ رَكَنَ إلى الظَّالمين، وظاهرَهم على المظلُومين، والمؤمنين، وهذا مَثَلُه: [كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث]الأعراف:176. وفَرِيقٌ لا يَعمَلُ بما يَعْلَم، وهذا مَثَلُه:[كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَاراً]الجمعة:5.

* * * * *

سورة المنافقون

وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ

357- [وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ]المنافقون:8. العِزَّةُ تكونُ لِلْمُؤْمِنِينَ حَقًّا؛ الذين يَأخذُونَ بأسْبابِ العِزَّةِ، ويَسْتَوفُون في أنْفُسِهم شُروطَ وشُعَبَ الإيمانِ، ويَسْتَمِدُّون

عِزَّتَهم من اللهِ .. فإن حصَلَ نَقْصٌ في مستوى العِزَّةِ كان ذلك دَليلاً على نَقْصٍ في الإيمان.

* * * * *

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ

358- [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا]؛ خطابٌ مِن اللهِ تعالى إلى عِبادِه المؤمنين، في كُلِّ زَمَانٍ، وكُلِّ مكَانٍ .. وعلى المؤمنين إذا سمِعُوا [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا]، أن ينصِتُوا، ويُحسِنُوا الاستماعَ، والإصْغَاءَ، ويَستَشْعِرُوا عظَمَةَ المُخَاطِب، ليَستَشْعِرُوا عظَمَةَ الخِطَابِ، وليَفْهَمُوا ماذَا يُريدُ اللهُ مِنهم، [لَا تُلْهِكُمْ]؛ لَا تُشْغِلْكُم، [أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ]؛ عن طاعَةِ اللهِ تعالى، وعن عبادَتِه، وأدَاءِ الفَرَائضِ في وَقتِها .. وذُكِرَت الأموالُ قَبلَ الأولادِ؛ لأنَّ الأموالَ أكثر مشْغَلَة للإنسانِ مِن الأبنَاءِ .. فالرجُلُ تَراهُ يَنشَغلُ في يومِه مِن أجْلِ تحصِيلِ المالِ وتنميتِه عشْرَ سَاعات، وربما أكثر، بينمَا يَنشغلُ معَ أبنائِه ساعَةٍ وربما أقَل، [وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ]؛ فيَنشغلُ بالأموالِ والأَوْلادِ عَن ذِكْرِ اللهِ تعالى، ويُؤثرُهم على ذِكْرِ اللهِ، وطاعَتِه، وعِبادَتِه، وأَدَاءِ الفَرائضِ في وقْتِها، ومكَانِها، [فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ]المنافقون:9. في الدُّنيا والآخِرَة.

* * * * *

وَأَنفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ

359- [وَأَنفِقُوا]؛ حَضٌّ على الإنفاقِ في سبيلِ اللهِ، وهو يَشملُ النَّفقَةَ الواجِبَة كالزَّكاةِ، والمُسْتَحبَّة كالصَّدقَاتِ، [مِن مَّا]؛ تفيدُ التَّبعِيضِ؛ أي بعضُ المالِ، وليسَ جِلُّه؛ وهذا مِن تَيسيرِ اللهِ على عبادِه؛ إذْ لم يُوجبُ عليهم إنفاقَ جميع ما يملكُون ويَزيدُ

عن حاجَتِهم، [رَزَقْنَاكُم]؛ فالمالُ ليسَ مالَكَ يا عبدَ اللهِ، وإنَّما هو مالُ اللهِ تعالى وحدَه، وهو الذي رزَقَكَ المالَ وتفضَّلَ به عليك، وأنتَ مُسْتَخْلَفٌ عليه، لِيُنْظَرَ كيفَ ستَتَصرَّفُ بما استخلفَكَ اللهُ عليهِ؛ هل ستنْفقُه في سبيلِ اللهِ، في أوجهِ الخيرِ، كما أمرَكَ اللهُ، أم ستمسِكُه بخلاً، وتمتنعُ عن الإنفاقِ، والإحسَانِ، [مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ]؛ قبل أن يحتضِرَ، ويُعايِنَ، ويَدنُو منه الأجَلُ، وتَظهرَ علامَاتُ الموتِ وإمَاراتُه التي لا مرَدَّ لها، [فَيَقُولَ]؛ مُتَحسِّراً على ما فاتَه من عمَلٍ .. وعلى الوقتِ الذي كان مُتَاحاً لَه، ولَمْ يحسنْ استغلَالَه، [رَبِّ لَوْلَا]؛ تفيدُ التَّمني والرجاءَ، والطَّلبَ الحثِيث، [أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ]؛ إلى أيَّامٍ قلائِل فقَط .. بل إلى سُويعَات .. أستَدرِكُ فيها بعضَ ما فَاتَني .. يَطلبُ هذا الطَّلبَ، واللهُ تعالى قبلَ ذلك قد أخَّرَه وأمَدَّ بعمرِه عُقُوداً ربما قد تجاوَزَت الستّين والسَّبعين والثمانين سَنَة، فلم يَتنبَّه في تلكَ العُقُودِ مجتمعةً إلى مَا يتنبَّهُ إليه في الدَّقائقِ أو اللحظَّاتِ الأخيرةِ مِن حياتِه .. ثم لماذا يَسألُ التَّأخيرَ في الأجَلِ؟ [فَأَصَّدَّقَ]؛ فيتذكَّرَ الصَّدَقَةَ التي كان يمنعُها وهو في قوَّتِه، وكانَ قَادِراً على الإنفَاقِ .. ولِمَا للصَّدَقةِ مِن أثَرٍ حسَنٍ على مَا هو مُلاقِيه ويَنتظِرُه، [وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ]المنافقون:10. ممَّن يقُومون بالواجِبَاتِ، والفَرائضِ، والتي مِنها الحجُّ، وغيرُها مِن الطَّاعَات .. هذا حالُ أهْلِ التَّقصِير، وهَذا قَوْلُهم .. أمَّا المؤمنُون الصَّالحُون المتصدّقون، لا يَتحسَّرُون على ما فَاتَهم، ولَا يَسألُون اللهَ هذا السُّؤال .. بَل يَستبْشِرُون خَيراً، ويَفرحُون بما هو مُلاقِيهم، ويَنتَظِرُهم مِن النَّعيمِ المقِيم.

360- [وَأَنفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ]المنافقون:10. لَا تُؤَخِّرْ مَا

يجبُ عليك القِيامُ به إلى آخِرِ وَقْتِه؛ لاحتمالِ أن تَعْتَرِضَكَ موانعُ قاهِرةٌ تُحِيلُ بينَك وبينَه، مِنْها الموْت .. فتندَمُ، ولَاتَ حِينَ مَنْدَم!

* * * * *

سورة التغابن

وَمَن يُؤْمِن بِاللهِ يَهْدِ قَلْبَهُ

361- [وَمَن يُؤْمِن بِاللهِ يَهْدِ قَلْبَهُ]التغابن:11. لأَحْسَنِ الاعْتِقَادِ، والقَوْلِ، والعَمَلِ .. وخَصَّ القَلْبَ؛ لأنَّه الأَمِيرُ الذي بِهدايَتِه تَهْتَدِي الجوَارِحُ.

* * * * *

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ

362- [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا]؛ خِطَابٌ مِن السَّيِّدِ المَلِكِ، مالِكِ المُلْكِ، وخَالِقِ الخَلْقِ، لكُلِّ مؤمنٍ في كلِّ زمَانٍ، ومَكَانٍ [إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ] مِنْ؛ تُفيدُ التَّبعِيض؛ أيْ إنَّ من أزواجِكُم وأولادِكُم مَن هم ليسُوا كذلك؛ وذلك عندما يكونُون عَونَاً لَكُم على الطَّاعَةِ والعِبَادَةِ، [عَدُوًّا لَّكُمْ]؛ وذَلك عِندما يُشْغلونَكُم عَن طَاعةِ اللهِ، وتُؤثِرُون طَاعَتَهم على طَاعَةِ اللهِ .. ويُثَبِّطُونَكُم، ويُجَبِّنُونَكُم عنِ الطَّاعاتِ، وبخاصَّةِ الإنفاق في سبيلِ اللهِ، والجهاد في سبيلِ اللهِ، فالولَدُ كما في الحديث:" مَبْخَلَةٌ مَجْبَنَةٌ "؛ أي مُتَسَبِّبٌ للبُخْلِ والجُّبْنِ، [فَاحْذَرُوهُمْ]؛ أن تُطِيعُوهم في مَعْصِيَةِ اللهِ، أو تُؤْثِرُوهم على طَاعَةِ اللهِ، [وَإِن تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا]؛ عَن زَلَّاتِهم وأخْطائِهم بحقِّكم، إذْ لا بُدَّ أن يحصَلَ شيءٌ مِن ذلك [فَإِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ]التغابن:14. فكما غَفَرتُم لهم، وعَفَوتُم عنهم، يَغْفر اللهُ لكُم، فالجَّزاءُ من جِنْسِ العَمَلِ.

363- [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ]؛ عداوتُهم لكم تكمُنُ مِن أربعةِ أوجُهٍ: عندما لا يُعينُون الآباءَ والرجَالَ على طاعةِ اللهِ تعالى، وطَاعَةِ رسُولِه صلى الله عليه وسلم .. وعندما يَصدُّونَهم ويُشغلونَهم عن طاعةِ اللهِ تعالى، وطاعةِ رسولِه صلى الله عليه وسلم .. وعندما يَحمِلُونَهم على مَعصيةِ اللهِ تعالى، ومَعصيةِ رسُولِه صلى الله عليه وسلم .. وعندما يُنقِصونَهم بعضَ حقُوقِهم، وبعضَ ما يجبُ لهم مِن الطَّاعةِ، والبِرِّ، والإحْسَان، [فَاحْذَرُوهُمْ]؛ أنْ يفتنوكُم عن طاعَةِ اللهِ، وطاعةِ رسولِه صلى الله عليه وسلم، فتُؤثِرُوا طاعَتَهم على طاعةِ اللهِ ورسولِه صلى الله عليه وسلم، [وَإِن تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا]؛ عن تَقصِيرِهم بحقِّكم، هو خَيرٌ لكم، ولهم؛ لأنَّ عدمَ العَفْو والصَّفْح، والمغفرَةِ يعني نُزولَ العِقَابِ العاجِل بِهم، قبلَ الآجِل، كما في الحديث:" بابان مُعَجَّلان عقُوبتهما في الدُّنيا: البَغْيُ، والعُقُوقُ ". [فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ]التغابن:14. يغفرُ اللهُ لكم، ويَرحمكم .. مُقابل عَفْوكم وصَفْحِكم عنهم.

364- [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ]التغابن:14. قولُه " أَزْوَاجِكُمْ "؛ تَشمَلُ الرِّجالَ والنِّساءَ سواء، فكما أن الزَّوجةَ أحياناً قد تكونُ فتنةً لزوجِها؛ تَصدُّه عَن دينِه، وتُرَغِّبه بالحرَامِ، وتُثَبِّطَه عن القِيامِ بما يجبُ عليه شَرْعَاً؛ شُحَّاً به، كذلك الزوجُ أحياناً قد يكونُ فتنةً لزوجَتِه؛ يَصدَّهَا عن دِينِها، ويُرغِّبُها بالحرَامِ والمعَاصِي، ويَستغِلُّ صلاحِيَاتِه بطريقَةٍ خاطِئةٍ؛ فيَمنَعُها مِن طاعَةِ اللهِ، وطَاعَةِ رسُولِه صلى الله عليه وسلم .. فحِينَئذٍ يكونُ لها فِتنةً عليها أنْ تحذَرَه .. وأن لا تُؤثِرَه، وتؤثِرَ رِضَاه وطاعَتَه على رِضَا، وطاعَةِ اللهِ، وطاعَةِ رسُولِه صلى الله عليه وسلم.

* * * * *

فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ

365- [فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ]التغابن:16. أي قَدْرَ استَطَاعَتِكُم .. فما زَادَ عنِ حدُودِ القِدْرَةِ، والاستَطاعَةِ فلَن تُسأَلوا عَنه.

366- [فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ]التغابن:16. لَن نُسْأَلَ عمَّا قَد نَعجَزُ عَنه، ولَا نَستطِيعُه .. وإنما نُسأَل عمَّا نَقْدِرُ عليه، ثمَّ لَا نَفعَلُه .. كما أنَّنَا نُسأَلُ، هَل حَاولنا، وبذَلْنَا الجهدَ المستَطَاع لدَفعِ مَا قَد عجَزنا عنه، والتَّقلِيلِ مِن مَساحَتِه، أم استَسْلمنَا لفكرَةِ العَجْزِ، ونمنا معَ النَّائمِين؟!

وَأَنفِقُوا خَيْراً لِّأَنفُسِكُمْ

367- [وَأَنفِقُوا]؛ ممَّا رزقكم اللهُ، في سبيلِ اللهِ، وفي أوْجهِ الخيرِ العديدَةِ التي أمركم اللهُ بالإنفاقِ عليها، [خَيْراً لِّأَنفُسِكُمْ]؛ في دُنياكم، وأموالِكم .. وفي آخرتِكم، مِن أن تكنزُوها، وتمنعُوها عَن ذَوي الحاجَةِ، [وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ]التغابن:16. والشُّحُّ اسمٌ جامعٌ للبخْلِ، والحرصِ، والحسَدِ .. وهذه خصالٌ قاتلةٌ تمنعُ صاحبهَا مِن بذلِ الخيرِ والمعرُوفِ إلى الآخَرين مِن ذَوي الحاجَةِ؛ سواءٌ هذا الخير كان من جهتِه أم مِن جهةِ غيرِه .. وتحملُه على الظلمِ، وقَطْعِ ما يَنبغي أن يُوصَل .. وهذه خصالُ مَن يجتنبها، ويتَّقي شرَّها، وشرَّ الوقوعِ فيها .. فأولئكَ هم الفائزُون بخيرَي الدُّنيا والآخِرَة .. وفي الأثَرِ عن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه أنه كانَ يُكثر في طوافِه أن يَقول:" رَبِّ قِني شُحَّ نَفْسِي ". فقِيل له: ما أكثر ما تَستعيذُ مِن ذلك؟ فقال:" إذا وُقِيتُ شُحَّ نفسي، وُقِيتُ الظلمَ، والبخلَ، والقَطيعةَ ". وفي الحديث:" لا يجتمعُ الشُّحُّ والإيمانُ في قلبِ عبدٍ أبَداً ".

* * * * *

سورة الطلاق

وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجاً . وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ

368- [وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجاً]الطلاق:2. مِن كلِّ مَا ضَاقَ وأُحْكِمَت مَغَالِيقُه.

369- [وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجاً . وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ]الطلاق:3. مِن حَيثُ لَا يَدْرِي، ولا يَخطرُ على بالِه وتفكِيرِه؛ ليَعْلمَ أنَّ الفَارِجَ، والرَّازِقَ على الحقيقَةِ هو اللهُ تعالى وحدَه.

أحياناً يَتعلَّق قَلبُ العبدِ ببعضِ الأسبَابِ والأبوَابِ .. ويَظلُّ بَصَرُه مَشدُوداً نحوَها .. يَترقَّبُ مِنها الفَرَجَ، والرِّزقَ .. فيَغَارُ اللهُ تعالى على عَبدِه، وعلى قَلبِ عبدِه .. فيَجعلُ له فرَجَاً، ورِزْقاً مِن غيرِ تلك الوسَائلِ والأبوابِ؛ ليتوكَّل على اللهِ تعالى وحْدَه، وليَعْلمَ أنَّ الفَارِجَ والرَّازِقَ على الحقِيقَةِ هو اللهُ تعالى وحدَه.

* * * * *

وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ

370- [وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ]؛ وهو الذي يَتَعَاطَى الأسبَابَ المتَاحَةَ والممكِنَةَ بجوارِحِه، وقَلْبُه مُعَلَّقٌ باللهِ، مَلِيءٌ ثِقَةً باللهِ، ليسَ في قَلبِه تَعَلُّقٌ بمخلُوقٍ، [فَهُوَ حَسْبُهُ]الطلاق:3. فهو كَافِيه فِيمَا يَسْعَى ويتَطلَّعُ إليه .. وهو نَاصِرُه على مَن يُعادِيه .. وعلى التَّحدِّيات، والظرُوفِ القاهِرَةِ، والصَّعْبَةِ المحيطَةِ به .. وهو مُنْجيهِ مِن كُلِّ شَرٍّ يُحَاكُ ضدَّه.

371- [وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ]الطلاق:3. لا يُؤتَى المرءُ مَا يَكْرَهُ، إلا مِن جِهَةِ نُقْصَانٍ فِي التَّوكُّلِ ...!

372- [وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ]؛ مَن يَعتمدُ على اللهِ في حاجَتِه وأُمُورِه، ويُعلّقُ قلبَه باللهِ تعالى وحدَه، ثمَّ يأخذُ بالأسْبَابِ، [فَهُوَ حَسْبُهُ]الطلاق:3. فاللهُ تعالى يكفِيه، ويُغنيه من فَضْلِه .. فإن لَمْ يَكْفِه في حَاجَةٍ من الحوائج ـ لحكمةٍ يُريدُها ـ يُرضيه، ويُذْهبُ همَّهُ، وغمَّه، ويَشرحُ له صَدْرَه .. ويجزيه على تَوكُّلِه خَيراً كثيراً.

* * * * *

إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ

373- [إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ]؛ فأمْرُه نافِذٌ في خَلْقِه لا محَالَةَ .. لا رادَّ لقضائِه وحُكمِه رَادَّ .. وعلى أيِّ وجهٍ كنتَ يا عبدَ الله؛ سواءٌ آمَنتَ أمْ كفَرْتَ، وسواءٌ عبَدتَ اللهَ أمْ لَمْ تَعبُدْه .. وسواءٌ توكلتَ عليه أم لَمْ تتوكَّل عليه .. وسواءٌ أخَذْتَ بكامِلِ الأسبابِ .. فهذا كلُّه لا يُؤثِّرُ على حُكمِ اللهِ وقضائِه فِيك .. ولَا يَردُّه عنْكَ .. فإيمانُك، وتَوكُّلك، وعبادَتَك .. تنفعك، ويجزيكَ اللهُ عليها خيراً في الدُّنيا والآخِرة، وتقرِّبُك إلى اللهِ .. لكن لَا تَردُّ أمرَ اللهِ عَنْك .. ولا تردَّ عنك شيئاً شَاءَكَ اللهُ به، [قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْراً]الطلاق:3. أجَلاً يَنتهي إليه .. فلَا شَرٌّ يَدُوم؛ تُدِيمُ الجزَعَ لأجْلِه .. ولا خَيرٌ يَدومُ، تُدِيم الفرَحَ لأجْلِه .. فالكلُّ إلى زَوالٍ، وإلى أجَلٍ يَنتهي إليه .. وإنَّا لله وإنَّا إليه راجِعُون.

* * * * *

وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْراً

374- [وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ]؛ بفعلِ مَا أَمَر، والانتهاءِ عمَّا نَهى وزَجَر، [يَجْعَل لَّهُ مِنْ أَمْرِهِ]؛ مِن عُسْرِه، وكلِّ مَا يَضِيقُ، ويَصعبُ، ويَشتدُّ عليه، [يُسْراً]الطلاق:4. فرَجَاً، ومخرجَاً، وفُرقَاناً يَسيراً، وسَهلاً .. عجبتُ لمن يَقع في عُسرٍ، وشدَّةٍ، وبلاءٍ، ثم يبحثُ عن المخرَجِ، والحلِّ بَعيداً عن التَّقْوَى!!

* * * * *

سَيَجْعَلُ اللهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْراً

375- لا تُتْبِع العُسْرَ بعسرٍ .. ولا المشقّةَ بمشقة .. ولا الشِّدَّةَ بشدّةٍ .. قال تعالى:[إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً]الشرح:6. [سَيَجْعَلُ اللهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْراً]الطلاق:7.

376- [سَيَجْعَلُ اللهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْراً]الطلاق:7. طِبْ خَاطِراً يا عَبدَ اللهِ .. وتَحلَّى بالصَّبْرِ، والتَّقْوَى، ولَا تَجزَعْ .. هَذا وَعْدٌ صَادِقٌ مِنَ اللهِ لَا يَتخَلَّفُ، ولَا رَادَّ له؛ أَنَّ مَا مِن عُسْرٍ، وإِنْ طَالَ سيَجعَلُ اللهُ بعدَه يُسْرَاً، وفَرَجاً، ومخرَجَاً .. ليَسْتَذْكِر كُلُّ واحِدٍ مِنَّا كم مِن عُسْرٍ عَايَشَهُ، وكَابَدَه في حيَاتِه، ثمَّ أعقَبَهُ اللهُ يُسْراً، وفَرَجَاً، ومخرَجَاً .. وأصبحَ هذا العُسْرِ مِن جملَةِ الحِكَايَات التي تُروَى للأبناءِ والأحفَادِ؛ نَسْتَخْلِصُ مِنها الحِكَمَ والعِبَرَ؟!

* * * * *

رَّسُولاً يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ

377- [رَّسُولاً يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ لِّيُخْرِجَ الَّذِينَ آمَنُوا]؛ الذين صَدَّقُوا بأركانِ الإيمانِ، [وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ]؛ وعَمِلُوا بأركانِ الإسلامِ، فجمعُوا بين التَّصديقِ والطاعَةِ والعمَلِ، إذ لا يكفي التَّصديقُ من غيرِ طاعةٍ ولا عملٍ بالتَّنزِيلِ .. هؤلاء هم حَصْراً الذين يَستفيدُون مِمَّا يُتلَى عليهم من الآياتِ، أمَّا الكافرُ المعانِدُ، المكابِرُ، أنَّى يَستفيدُ

من خيرٍ هو لَا يؤمنُ به؛ يُعْرِضُ، ويَنْأَى عنه، [مِنَ الظُّلُمَاتِ]؛ صيغَةُ جَمْعٍ؛ لتعدُّدِ الظُّلماتِ التي تحْدِثُها شياطينُ الأنسِ والجنِّ؛ ظلماتُ الكُفرِ والشركِ، وظلماتُ الجهلِ، وظلماتُ الأهواءِ والشُّبهاتِ، والشهواتِ، وظلماتُ الكآبةِ والأمراضِ النَّفْسيَّةِ، والحياةُ الضَّنْك، [إِلَى النُّورِ]؛ إلى الإيمانِ، والتوحيدِ، والعِلمِ، والحياةِ السعيدَةِ المطمئنَّةِ .. النورُ الذي يُبَدِّدُ جميعَ الظلماتِ الآنفَةِ الذِّكْرِ .. وجاءَ التَّعبيرُ عن النُّورِ بصيغةِ المفْرَدِ؛ لأنَّ النورَ واحِدٌ، مَصدَرُه واحِدٌ، لا يَقبلُ تعدَّدَ المصادِرِ، والمنابِتِ، [وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحاً يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقاً]الطلاق:11. قَد أعدَّ اللهُ له رِزْقاً حسَناً جميلاً واسِعاً .. مهمَا قِيل في وَصْفِ جمالِه وحُسنِه ولذَّتِه .. فهو أجملُ وأعظَمُ، وألَذُّ .. وقد وصَفَ النبيُّ صلى الله عليه وسلم نعيمَ الجنَّةِ بوصْفٍ جامعٍ مَانِعٍ، فقال:" فِيهَا ما لا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ على قَلْبِ بَشَرٍ "مسلم.

* * * * *

وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْماً

378- [وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْماً]الطلاق:12. " بِكُلِّ شَيْءٍ "؛ مِن صيَغِ العمُومِ الشاملةِ للأشياءِ كلِّها؛ الظَّاهِرِ منها والبَاطِنِ، والكَبيرِ منها والصَّغيرِ .. لا يخفَى على اللهِ شيءٌ .. وهذا يَسْتَدْعِي مِن الإنسانِ أنْ يَستشعرَ رقابةَ اللهِ تعالى الدَّائمة، التي لا يحولُ بينَها حائلُ ليلٍ أو نهارٍ، أو ظلمة برٍّ أو بحرٍ، إذَا ما همَّت نفسه بمنكَرٍ .. فإن نَامت عنه أعينُ العِبادِ، وكاميراتِ المراقَبةِ .. فإنَّ عينَ اللهِ تعالى لا تأخُذُها سِنَةٌ ولا نومٌ، ولا يخفَى عليها شَيءٌ .. قال ابنُ جرير الطبري في التفسيرِ:" ولتعلمُوا أيُّها الناسُ أنَّ اللهَ بكلِّ شيءٍ مِن خلقِهِ محيطٌ عِلماً، لَا يَعزُبُ عنه مِثقالُ ذَرّةٍ في الأرضِ ولَا في السَّماءِ، ولا

أصغَرَ من ذلك ولَا أكبر .. فخافُوا أيُّها الناسُ المخالفُون أمرَ رَبِّكم عقوبتَه، فإنه لا يمنعُه مِن عقوبتِكم مانعٌ، وهو على ذلك قادِرٌ، ومحيطٌ أيضَاً بأعمالِكم، فلَا يخفَي عليه مِنها خَاف، وهو محْصِيها عليكم، ليجازِيكُم بها، يومَ تُجزَى كلُّ نفسٍ ما كسَبَت ".

* * * * *

سورة التحريم

وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثاً

379- [وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ]؛ إلى حَفْصَة بنتِ عُمر رضي الله عنهما، [حَدِيثاً]؛ حديثاً خاصَّاً، وطلبَ منها أن لا تُخبر عائشةَ بما حدَّثَها به، [فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ]؛ فلم تَصْبِرْ على كتمانِ ما اسْتَسَرَّها النبيُّ صلى الله عليه وسلم عليه، فأخبرَت عائشةَ رضي الله عنها،[وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ]؛ فأطلعَه اللهُ تعالى على ما فعلَت حَفْصَةُ، وأنَّها قد أخبرَت عائشَةَ، [عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَن بَعْضٍ]التحريم:3. ولمَّا راجَعَها النبيُّ صلى الله عليه وسلم وعاتَبَها على فِعلِها، عَرَّفَها ببعضِ حَدِيثِها لعائشَة، وما كان مِنها .. وأعْرَضَ عن ذِكْرِ البَعضِ الآخَر تَكَرُّمَاً، وحَتَّى لا يَزيدُ مِن إحراجِ حفْصَة .. إذْ يكفِي أن تعلم أنَّها أخْطأت، وأينَ يقَعُ خَطَأهَا بأقلِّ عِبارَةٍ أو إشَارَةٍ .. وفي ذلك تَقريرٌ لمبدَأ وخُلُقِ التَّغَافُلِ عَن ملاحقَةِ الهفَوَات، والكَبَوَات .. وعَدَمِ الاستِقْصَاءِ، وافتعالِ التَّحريَّات التي تَضرُّ ولا تَنفَع، وتَزِيدُ مِن إحْراجِ المخطِئ، وبخاصَّة إن ظهرَت عليه علامَاتُ التَّوبَةِ والنَّدَمِ .. ولم يَكُن من الذين يُجاهِرُون ويُبَاهُون بذنوبِهم .. قال الحسَن البَصري:" مَا اسْتَقْصَى كَرِيمٌ قَط !"

* * * * *

فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ

380- [إِن تَتُوبَا]؛ هما عائشة، وحَفْصَةُ رضي الله عنهما، ومحاولتهما في حمْلِ النبيِّ صلى الله عليه وسلم على مَا يَكْرَه، [إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا]؛ وقَد تابَتَا ولله الحمد، [وَإِن تَظَاهَرَا عَلَيْهِ]؛ تستمرَّانِ في التَّعاونِ فِيما بينكما على معصيةِ النبيِّ صلى الله عليه وسلم، وأذَاه، [فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ]التحريم:4. النبيُّ صلى الله عليه وسلم قد واجَهَ الفُرسَ، والرُّومَ .. وواجَهَ مُشركي العَرَب، وجيوشَهُم .. فلم يحصَلْ مثلُ هذا التَّجييشُ الرَّهيبُ والمخيفُ، والعظيمُ في النُّصرةِ والتَّأييدِ للنبيِّ صلى الله عليه وسلم .. لكن لَمَّا واجهتهُ مشكلةٌ دَاخليَّةٌ في بيتِه الشَّريفِ، معَ بعضِ نسائِه .. قد شغَلَتْهُ، وآذَت قلبَهُ الطَّاهر الشَّريف .. أوحَى اللهُ إليه:[فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ]؛ ناصِرُهُ، ومُعينُه .. واللهُ تعالى يَكْفِي .. لكن إمعاناً في بيان النُّصْرةِ والتأييدِ لنبيِّهِ صلوات الله وسلامه عليه .. وبيانِ خُطورَةِ ما أقدَمَ عليه بعضُ نسائِه .. قال:[وَجِبْرِيلُ]؛ وهذا يَكْفِي .. لكنَّ اللهَ تعالى زَادَ:[وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ]؛ كلُّ المؤمنين الصَّالحين، وعلى رأسِهم الصِّدِّيق أبي بكر، والفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنهما .. وهذا يَكْفِي .. لكنَّ اللهَ تعالى زَادَ، فقال:[وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ]؛ كُلِّ الملائكةِ؛ المقرَّبُون منهم وغير المقرَّبين .. ولا يَعلمُ تعدَادَهم إلا اللهُ تعالى .. فكلُّهم مجتمعين أعوانٌ وأنصَارٌ للنبي صلى الله عليه وسلم في مواجهةِ المشكلةِ التي تواجِهُه صلى الله عليه وسلم مع بعضِ نسائِه .. داخِلِ بيتِه الشَّريفِ .. لأنَّ مشكلةً واحِدَةً دَاخل البيْتِ وطْؤهَا على قلوبِ الرجالِ أشَدُّ مِن ألفِ مشكلةٍ خارج البيت .. وفي ذلك رِسَالةٌ رَادِعَةٌ، عظيمةُ الشَّأنِ للنساءِ اللاتي يتهاونَّ في إثارَةِ المشاكِلِ ـ ولأتفهِ الأُمورِ ـ مع أزواجهنَّ الصالحين المؤمنين!

* * * * *

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً

381- [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً]التحريم:6. عِظُوهم وعلِّمُوهم الخيرَ، فخَيرُ مَن تَعِظ؛ نفْسَكَ، ثم الأقرب، فالأقرب.

382- [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا]؛ كُلّ الذين آمَنُوا .. الرِّجَالُ والنِّساءُ سَوَاء، [قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً]التحريم:6. أَوْلَى الأَنْفُسِ في أن تَتَعَاهَدَهَا بحُسْن التَّعْلِيمِ، والتَّربيَةِ، والتَّوْجِيه .. وأن تَصْرِفَ لها جَهْدَك وطَاقَتَك .. نَفْسك، ثمَّ الأقْرَب، فالأَقْرَب مِن أهلِك، وممَّن تُعِيل.

* * * * *

كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا

383- [كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا]التحريم:10. مَن ابتُلي بامرَأةِ سُوءٍ ـ وكانَ مِن الصَّالحِين ـ فلهُ عَزَاءٌ بامرَأَةِ نُوحٍ، وامرَأَةِ لُوط!

* * * * *

سورة الملك

لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً

384- [الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ]؛ ليَخْتَبِرَكُم بأنْواعِ البَلاءَاتِ، [أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً]الملك:2. أصْوَبُهُ، وأخْلَصُه.

385- كل ما يُساقُ إليك يا ابنَ آدم ـ من خيرٍ أو شرٍّ ـ لا يخرجُ عن معنى الابتلاء، وهو داخل في معنى قوله تعالى:[الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً]الملك:2.

386- [الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً]الملك:2. أي أصْوَبَهُ، وأَخْلَصَه .. وأنتَ يا ابنَ آدَم شِئتَ أم أبيْتَ .. رَضِيتَ أم سَخِطْتَ .. وافَقْتَ أم عارَضتَ .. فهِمْتَ أم لم تَفْهَم .. فالحياةُ الدُّنيَا لَمْ تُخْلَق للاستِقْرَارِ .. ولا هي دَارُ جَزَاءٍ .. وإنَّمَا هي دَارُ عُبُورٍ، وبَلاءٍ، واختِبَارٍ .. خيرُهَا وشَرُّهَا، وجميعُ مَا فِيها مِن مَسَرَّاتٍ، ومُكَدِّرَاتٍ، اختِبَارٌ وبَلاءٌ .. وأنتَ المُختَبَر والممْتَحَن في هذا الاختِبَارِ والبَلاءِ .. هل سَتَنْجَحُ في الاختِبَارِ أم ستكُونَ من الخاسِرِين .. هذا ما سَتَعْرِفُه، ويَتَكَشَّفُ لكَ .. ويُعرَف عَنك يَومَ الحِسَاب.

* * * * *

كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ

387- [كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ . قَالُوا بَلَى قَدْ جَاءنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ]الملك:8-9. فيهِ أنَّ جميعَ مَن يَدخلُونَ نَارَ جَهنَّم

قَد بَلَغَتْهم نَذَارَةُ الرُّسُلِ، فقَابَلُوها بالإعْرَاضِ والتَّكْذِيبِ .. وفيه أنَّ اللهَ تعالى لا يُعَذِّبُ أحَدَاً يومَ القِيامَةِ إلَّا بَعدَ بلُوغِه نَذَارَة الرُّسُل، فيُقَابلُها بالرَّدِّ والإعْرَاضِ.

* * * * *

وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ

388- [وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ]الملك:10. فيه أنَّ الكَافِرَ ليس له عَقْلٌ، وإنَّما له ذهْنٌ مِن خِلالِه يَقْتَاتُ ويَعْتَاشُ، ويَعْلَمُ ظَاهِراً مِن الحيَاةِ الدُّنْيَا .. إذْ لو كان له عَقْلٌ، لَعَقَلَهُ عنِ الكُفْرِ، وقَادَهُ إلى الإيمَانِ!

* * * * *

فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ

389- ذُكِرَ الرزقُ، فقال تعالى:[فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ]الملك:15. وذُكِرَت الصَّلاةُ، ونحوها مجالسُ العِلمِ والذِّكرِ، فقال تعالى:[فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ]الجمعة:9. وذُكِرَت المغْفرةُ، والجَنَّةُ، فقال تعالى:[وَسَارِعُواْ إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ]أل عمران:133. وقال تعالى:[سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاء وَالْأَرْضِ]الحديد:21. وذُكِرَ اللهُ، فقال تعالى:[فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ] الذاريات:50. فلا تجعَلْهَا سَواءً في السَّعي، والحَرَكَةِ، والإقْبَال.

390- [هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولاً فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ]الملك:15. فيه حَضٌّ وتَرغيبٌ على عدَمِ التَّقوقُعِ والتَّموضُعِ في مرَاكز وظيفيَّة ضيِّقَة تعجُّ بالسكَّانِ .. فيفُوق عددُ السكانِ الطَّاقَةَ الاستيعابيَّةَ لتلْكَ المواقع والمرَاكز .. وعلى التَّوسُّع والتماسِ الرزقِ في الانتشارِ والحركَةِ في أطرافِ الأرضِ .. فخيراتُ الأرضِ

أكبرُ بكثيرٍ مِن عدَدِ سكانِها لو أَحْسَنُوا الانتشارَ فِيها، واستغْلَالَ أطرافِها .. والحركَة فيها برَكَة .. قال تعالى:[وَهُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ]؛ خلقَكُم، وبثَّكُم، ونَشَرَكُم، [فِي الْأَرْضِ]المؤمنون:79.

* * * * *

أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاء أَن يَخْسِفَ بِكُمُ الأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ

391- [أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاء أَن يَخْسِفَ بِكُمُ الأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ]الملك:16.

فِيه أنَّ اللهَ تعالى في السَّماءِ؛ له العُلُو، يَعْلُو، ولا يُعْلَى عليه .. بَائِنٌ عن خَلْقِه .. عَرْشُهُ العَظِيم فَوقَ خَلْقِه، وهو فَوقَ عَرْشِه، سُبحَانه وتعالى .. وفي الحدِيثِ الذي أخرجَه مُسلمٌ في صحيحه، أن النبيَّ صلى الله عليه وسلم سألَ جَارِيةً مملوكَةً كانت تَرعَى الغَنَم، فَقالَ لَهَا:" أَيْنَ اللَّهُ؟ قالَتْ: في السَّمَاءِ، قالَ: مَن أنَا؟ قالَتْ: أنْتَ رَسولُ اللهِ، قالَ صلى الله عليه وسلم لصَاحِبها: أعْتِقْهَا، فإنَّهَا مُؤْمِنَةٌ ".

392- [أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاء أَن يَخْسِفَ بِكُمُ الأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ]الملك:16.

الزَّلازِلُ لَا تَنزِلُ إلا بقَدَرٍ وعِقَابٍ مِن اللهِ .. ولذنُوبٍ مِن عِندِ أَنفُسِنَا .. فإذَا نزَلَت بدَارِ قَومٍ فليُراجِعُوا أنفُسَهم أينَ هم مِن اللهِ .. ومَاذَا بدَرَ مِنهم مِن ذُنُوبٍ ومَظَالِمٍ .. فليَستغفِرُوا اللهَ، ويتُوبُوا إليه .. وذلكَ على مستوَى الحاكم والمحكُوم.

وفي الأثَرِ، أنَّ المدينةَ زُلزِلَت في عَهدِ عمر رضي الله عنه، فقال:" مَا أَسْرَعُ مَا أَحْدَثْتُم، والله لئن عَادَت لأخرجَنَّ مِن بين أَظْهُرِكُم ".

* * * * *

أَمَّنْ هَذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ

393- [أَمَّنْ هَذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ]الملك:21. إِنْ أَمْسَكَ اللهُ المطَرَ، ومَنَعَه عَنْكُم .. مَن هَذا الذي هو قَادِرٌ على أن يَرزقَكُم مِن دُونِه .. وخُصَّ المطرُ بالذِّكرِ، لأنَّ ما سِواهُ مِن الأرْزاقِ مُرتَبِطٌ وجُوداً وعَدَماً بنزُولِ المطَرِ .. كما قال تعالى:[وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ]الأنبياء:30.

* * * * *

أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمَّن يَمْشِي سَوِيّاً عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ

394- [أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ]؛ مُنْحَني الظَّهْرِ، ووجهُه مُنْكَباً إلى الأرضِ؛ لا يَهتدِي سَبيلاً، ولا لمواطِنِ الخيرِ مِن الشَّرِّ .. ومثَالُه الكَافِر، [أَهْدَى أَمَّن يَمْشِي سَوِيّاً عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ]الملك:22. أَمَّن يمشي قائماً مُعتدلاً على صِراطٍ مستقيمٍ؛ لا اعوجَاجَ فِيه .. يُبصِرُ مَوَاطِنَ الخيرِ والشَّرِّ .. ومثالُه المؤمن؟ والجوابُ: أنَّ المؤمنَ يَقيناً هو الأهدَى سَبيلاً من الكافِرِ.

* * * * *

سورة القلم

وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ

395- [وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ]القلم:4. شَهادةٌ لَا تَعلُوها ولا تُوازِيها شَهادَةٌ؛ شَهادَةٌ مِن أعظَمِ شَاهِدٍ، مِن ربِّ العالمين، خالِقِ الخلْقِ، لأعظَمِ مَشْهودٍ ومخلُوقٍ، لعبدِهِ ورسولِه محمَّد صلى الله عليه وسلم بأنَّه [لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ]؛ وبالتَّالي نحنُ البشرُ مهمَا تكلَّمنا عن نُبلِ وعظَمَةِ وشموليَّةِ أخلاقِ النبيِّ صلى الله عليه وسلم؛ فأخلاقُ النبيِّ صلى الله عليه

وسلم أعظَمُ، وأجَلُّ، وأرفَعُ .. فأخلاقُه العظيمَةِ، ومَا قرَّره مِن أخلاقٍ حمِيدَةٍ، وأخلاقٍ غَيرِ حميدَةٍ .. هو الميزانُ الحقُّ والثابتُ في كلِّ زَمانٍ، وكلِّ مَكانٍ، الذي به تُوزَنُ المفَاهِيمُ الحضَارِيَّةُ، والإنسانيَّة، والأخلاقِيَّة .. وإليه تُرَدُّ مَا يُحْدِثُه الناسُ ـ في جميعِ الأزمنَةِ وجميعِ الأمكنَةِ والمجتمعَات ـ مِن مفَاهِيم وقِيم حضارِيَّةٍ وأخلاقيَّةٍ وإنسَانيَّة، فيُقبَل مِنها مَا وافَقَ أخلاقَ النبيِّ صلى الله عليه وسلم، ويُرَدُّ مِنها، ويُضرَبُ بها عَرضُ الحائِط ـ غيرَ مأسُوفٍ عليها ـ كلُّ ما خالَفَ أخلاقَ النبي صلى الله عليه وسلم؛ لأنَّها حينئذٍ لن تكونَ أخلاقاً محمودَةً، وإنما ستكونُ أخلاقاً سَيئةً ضارَّةً، غيرَ محمودَةٍ ولا مَشكُورَةٍ!

396- [وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ]القلم:4. لو قُسِّمَت أخْلاقُ النبيِّ صلى الله عليه وسلم على أُمَمِ الأَرْضِ جميعُها لكَفَتْهُم، ووَسِعَتْهُم .. ولو وُزِنَت أخلَاقُ النبيِّ صلى الله عليه وسلم بأخلاقِ أُمَمِ الأرضِ جميعُها .. لرَجُحَت أخْلَاقُ النبيِّ صلى الله عليه وسلم.

* * * * *

إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ

397- [إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ]القلم:7. اللهُ تعَالى هو الذي خَلَقَ، وهو الأعلمُ بمن خَلَق؛ يَعلمُ السِّرَّ، ومَا هو أخْفَى مِن السِّرِ .. ويَعلمُ النَّوايَا، والظَاهِرَ والبَاطِنَ .. وهو الأعلَمُ بمَن كان على ضَلالَةٍ، ورياءٍ، ومَن كان على هُدَى، وإخلاصٍ .. لَا يخفَى عليه شيءٌ مِن شُؤونِ عِبَادِه .. فلَا تُزَكُّوا أنفُسَكُم وغيرَكُم على اللهِ، بل اللهُ يُزَكِّي مَن يَشَاء .. وإن كان الواحِدُ منكم يُريدُ أن يُزَكِّي أخاه، أو أن يمدَحه بشيءٍ يَعلَمُه مِنه، ولَا بُد .. يقُول: أحسَبُه كَذَا، وكذَا، ولا أُزَكيه على اللهِ .. هو

شَهيدٌ بإذنِ اللهِ ومَشيئتِه، ولَا أُزكيه على اللهِ .. فاللهُ [هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ].

* * * * *

وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ

398- [وَدُّوا]؛ الكافرُون الظَّالمون، [لَوْ تُدْهِنُ]؛ تَميلُ إليهم، وتُجامِلُهم على ما هُم عليهِ من البَاطِلِ، [فَيُدْهِنُونَ]القلم:9. فيُقابِلونَك بنفْسِ الميْلِ والمجامَلَةِ .. والسَّببُ في رَغْبتِهم الجامحَةِ هذه، أنَّ الحقَّ لو دَاهَنَ وجَامَلَ الباطِلَ .. يمدُّ الباطِلَ بالشَّرعيَّةِ، والقوَّةِ، والحيَاةِ .. ما لا يِجدُه مِن مَصْدَرٍ آخَر!

* * * * *

فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ

399- [فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ]القلم:48. الكَوْنِي؛ فَلَا تَستَعجِلْ شَيئاً قبلَ أوانِه؛ تَشعُر أنَّ اللهَ تَعَالى يَدفَعُه عَنك، ويُبعِدُك عنه؛ لحكمةٍ يَعلَمُها، ولَا تَعْلَمُهَا .. واصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ الشَّرْعِي؛ فلَا يَصُدَّنَّك الكافِرُون والمنَافِقُون عنِ الصَّدْعِ، والعَمَلِ بِه!

* * * * *

وَإِن يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ

400- [وَإِن يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ]؛ هذه الصِّفَةُ لم تقتصِرْ على كفارِ ومُشرِكي قُريش، وصَنيعهم مع النبيِّ صلى الله عليه وسلم، وما

كانُوا يقولُون له .. بل هي تشملُ كثيراً من تجمعاتِ الكفَّارِ والمشركِين عبر جميع العصُورِ، عندما يُصادِفُون مَن يُذكّرهم باللهِ، ويَدعُوهم إلى عبادَتِه، وتوحيدِه، ويتلُو عليهم بعضَ آياتِه .. فتراهُم يحدّقُون، ويُحملِقُون أعينَهم به من الحقدِ، والغيظِ، والحسَدِ، يُريدون أن يزهقُوه، ويَصرعُوه بأبصَارِهم، [وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ]القلم:51. فيرمونَه بالجُنونِ لجرأتِه عليهم، وعلى مجالسِهم .. ولِمَا يَسمعُونه منه مِن تلاوةٍ، وذِكرٍ، وتَذكيرٍ .. وفي الآيةِ تَطيبٌ لخواطِرِ العُلماءِ الدُّعاةِ إلى اللهِ، وحملِهم على الصَّبرِ، إذا ما نالهم أذَى، وسمعُوا عبارَات الطَّعنِ والتجريحِ مِن الكافِرين والمنافقِين .. فسيدُ الخلْقِ، وأعقَلُ الناسِ، قالُوا عنه [إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ]؛ والعُلماءُ ورثةُ الأنبياءِ في اليُسْرِ والعُسْرِ، وفي الشدَّةِ والرخاءِ، والبلاءِ؛ لا بُد من أن يصيبَهم بعضُ ما أصابَ الأنبياءِ وهم يُبلّغُون رسَالاتِ رَبّهم.

* * * * *

وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ

401- [وَمَا هُوَ]؛ محمدٌ صلى الله عليه وسلم، والقُرآنُ الكريم الذي تَنزَّلَ عليه مِن رَبّه، [إِلَّا ذِكْرٌ]؛ يُذَكّرُ الناسَ بما يجبُ عليهم مِن الإيمانِ، والعمَلِ، [لِّلْعَالَمِينَ]القلم:52. ليسَ لقَومٍ دُونَ قَومٍ .. ولا لجنسٍ دُونُ جِنْسٍ .. ولا للونٍ دُونَ لَونٍ .. بل للنَّاسِ أجمَعِين على اختِلافِ ألوَانِهم، وأجنَاسِهم، ولغَاتِهم .. وإلى يومِ القِيامَةِ.

* * * * *

سورة الحاقة

وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ

[وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ]الحاقة:12. أُذُنٌ حَافِظَةٌ فَاهِمَةٌ، تَفهَمُ مُرَادَ اللهِ، ومُرَادَ رسُولِه مِن كَلامِهِمَا.

* * * * *

سورة المعارج

إِنَّ الْإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعاً . إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعاً

402- [إِنَّ الْإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعاً . إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعاً]المعارج:19-20. والهلَعُ والجَزَعُ أعلى درجاتِ صورِ ومَعاني القَلَق، لم يستثنِ اللهُ أحَداً من هذا المرضِ العُضَال [إِلَّا الْمُصَلِّينَ . الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ]المعارج:22-23. إلى آخرِ الآياتِ التي تبيّنُ صِفَةَ هؤلاءِ المصلين المؤمنين.

* * * * *

سورة نوح

فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً

403- إذا دَاهمَك بَلاءٌ ـ أيّاً كان نوعُه ـ واجهه بالإستغْفارِ .. فالإستغفارُ دَواءٌ لكُلِّ دَاءٍ .. لا يَقوى عليه شيءٌ .. قال تعالى:[فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً . يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَاراً . وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَاراً]نوح:10-12. [وَأَنِ اسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَاعاً حَسَناً إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى]هود:3. [وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاء عَلَيْكُم مِّدْرَاراً وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ]هود:52. [وَمَا كَانَ اللهُ مُعَذِّبَهُمْ] بأيّ نوعٍ من أنواع البَلاءِ والعذَاب [وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ]الأنفال:33.

404- [فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً]نوح:10. صِيغَةُ تَكْثِيرٍ، أي شَدِيدُ، وكَثِيرُ المغفِرةِ لمن يَستغْفِر ويتُوب، مَهمَا كان الذَّنْبُ كَبيراً، ومَهمَا كان عدَدَ الذُّنُوب والخَطَايَا، وكان عَدَدُ المذنبِين والمخطئِين، ومَهمَا تَكَرَّرَت الخطَايا والذُّنُوب، فالله تعالى:[غَفَّاراً]؛ لمن استغفَرَ، وأنَابَ، وتَاب.

* * * * *

مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَاراً وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَاراً

405- [مَا لَكُمْ]؛ اسْتِفْهَامٌ يُفِيدُ التَّعَجُّبَ، والإنْكَارَ، والتَّوبِيخَ، [لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَاراً]؛ لا تُعَظِّمُون اللهَ، ولا تُجِلُّونَه .. ولا تَخافُون بأسَهُ وانتِقَامَه .. ولا تَشْكُرُونَ نِعَمَه، ولا تَحتكِمُون إلى شَرْعِه، ولا تَعْرِفُون له حَقَّاً عَليكُم، ولَا قَدْرَاً، [وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَاراً]نوح:13-14. وهو الذي خَلقَكُم طَوْراً بَعدَ طَوْرٍ، وخَلْقَاً بَعدَ خَلْقٍ، وأنتم في بُطُونِ أُمَّهَاتِكم خَلَقَكُم مِن نُطْفَةٍ .. ثمَّ صَيَّرَ النُّطْفَةَ عَلَقَةً .. ثمَّ صَيَّرَ الْعَلَقَةَ مُضْغَةً .. ثمَّ صَيَّرَ الْمُضْغَةَ عِظَاماً .. ثم كَسَى الْعِظَامَ لَحْماً .. ثم يُنفَخُ فيه الرُّوحُ والحيَاةُ .. ثم يُولَدُ ويَخرجُ للدُّنيا طِفلاً رَضِيعاً، لا يَعلمُ مِن أمْرِ الدُّنْيَا شَيْئاً .. ثمَّ طِفْلاً يَافِعَاً .. ثُمَّ شَابَّاً مُراهِقَاً .. ثم شَابَّاً رَاشِداً .. ثمَّ رَجُلَاً .. ثمَّ كَهْلاً .. ثمَّ شَيخَاً كَبيراً .. ومِنهم مَن يُرَدُّ إلى أرْذَلِ العُمُرِ، فتَضْعُفُ ذَاكِرَتُه، وحَوَاسُّه، بحيث لم يَعُدْ يَعْلم مِن العِلمِ شَيئاً .. فيَعُودُ في عِلمِهِ وضَعْفِهِ طِفْلَاً كما بَدَأَ .. ثم الموتُ الذي به تَتوقَّفُ حَرَكَةُ الحيَاةِ، وحَرَكَةُ التَّطَوُّرِ الإنْسَانِي؟!

* * * * *

سورة الجن

إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآناً عَجَباً

406- [إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآناً عَجَباً]الجن:1. من عجائبه التي لا تنتهي أنه يُحيي الموتى .. ويَشفي المرضى .. ويَهدي الضَّالين إلى الصّراطِ المستقيم .. باهِرٌ للعقول .. يَغزو القلوب .. لا مثيل له .. ولا يمكن أن يُؤتى بمثله، أو بمثل سورةٍ من سوَرِه، ولو اجتمعَ الثَّقلانِ على ذلك .. مُعْجِزٌ في حَرْفِه، وكلماتِه، ونَظْمِه، ومعَانِيه، لا يُقاوَم .. ولا يَطالُه ـ على مدارِ الأزمنَةِ والدُّهور ـ تحْرِيفٌ، بحذفٍ أو زِيادة .. محفوظٌ بحفظِ الله له .. مُيَسَّرٌ حِفظُه في الصّدور .. يَعلُو ولا يُعْلَى عليه .. يُبدّدُ كيدَ الكائدين، وظلمَ وظَلامَ الظالمين، ويُبطِلُ مَكرَ الماكرين .. يُحِقُّ الحقَّ، ويُبطلُ الباطل .. ويُتِمُّ نورَه في الأرضِ، كل الأرضِ، ولو كرِهَ الكافرون.

* * * * *

سورة المدّثر

قُمْ فَأَنذِرْ

407- [قُمْ فَأَنذِرْ]المدّثر:2. لَا يكفي أن تَعتكفَ في المسَاجِدِ، والزَّوايَا، وأن تَعْكِفَ على تربيةِ نفْسِك .. أو أن تَعتزلَ، وتَعيشَ الإسَلامَ لنَفْسِك وحَسْب .. إذْ لَا بُدَّ لك معَ ذلك مِن قِيامٍ، وحرَكَةٍ، وجِهَادٍ، ودَعْوَةٍ؛ تَدعُو إلى اللهِ تَعالى، وتُبَلِّغُ رسَالةَ الإسْلامِ كامِلةً إلى الآخَرين؛ فتُبشِّر المؤمنين .. وتُنْذِر الكافِرين بالوعِيدِ الأليم!

* * * * *

وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ

408- [وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ]المدّثر:5. هَجْرٌ، وابتعَادٌ، وانخِلاعٌ، وبَراءٌ مِن الشِّرْكِ، ومِن جَميع الأصنَامِ، والوَثَنِيَّاتِ، وكلّ مَا يَدخُلُ في مَعنَى عِبادَةِ المخْلُوقِ، أيَّاً كان هذا المخلُوقِ .. ومِن مُقتَضَى ولوَازِمِ هجْرِ الشِّرْكِ بكلِّ صوَرِه التزَامُ غَرْزِ التَّوحِيد.

* * * * *

وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ

409- [وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ]المدّثر:6. أسْوأ المَنِّ أن تَسْتَكْثِرَ على اللهِ عِبادَتَك، وجِهَادَك، ومَعرُوفَكَ .. وتَسْتَطِيلَ بِذَلك عَلى عِبَادِه .. ومَا بِكَ مِن خَيرٍ فَمِنْه وحْدَهُ سُبحانَهُ وتَعالى.

* * * * *

إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ . فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ

410- [إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ . فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ]المدّثر:18-19. لا يُمدَحُ المفكِّرُ، وتَفكيرُه، إلا بعدَ النَّظرِ إلى مآلاتِ تَفكيرِه، فإن انتهَى به تفْكيرُه إلى خَيرٍ، أُثْنِيَ عليه خَيراً، وكان مُفكِّراً صالحاً، وإن انتهى به تَفكيرُه إلى شَرٍّ، أُثْنِيَ عليه شَرّاً، وكان مُفكِّراً طالحاً، وقِيلَ لَه:[فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ]. أي قاتَلَه اللهُ ولعَنَه لسُوءِ ما انتَهَى إليه تَفْكِيرُه الخَاطِئ الآثِم.

* * * * *

وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ

411- [وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ]المدّثر:31. لا يمكِنُ للعَقْلِ البَشَري أن يُحصِي عَدَدَ، ونوعيَّةَ جنُودِ الله .. ومَدَى فاعليَّتها وقُوَّتِها .. التي تَعمَلُ عملَ المقَاتِلِ المخلِصِ

عندَ أوَّلِ لحْظَةٍ نتلَقَّى فيها الأمرَ بالقِتَالِ .. كما لا يُمكنُ أن يُحيطَ علماً من أيِّ جِهةٍ يمكنُ أن تَأتِي، ونتوجَّه بحافِلُها .. فلَا يَقْدِرُ على ذلك إلا اللهَ تعالى .. ولو قُلنا الملائِكةَ .. مِن الإنسِ والجنِّ .. أم عوالمَ السماواتِ، والأرضِ، وما فِيها من مخلوقاتِ، ودواب .. الظَّواهِرِ الطبيعيَّةِ مِن مَطَرٍ، وبَرقٍ، وريحٍ، وزَلازِل، وبَرَاكِين .. عَوَالم ومخلوقَاتِ البَحرِ، والبَرِّ .. أمْ جراثيمُ وفيروسَات لا تُرَى بالعَينِ المجرَّدَةِ .. فهي أكثَرُ من ذلك .. بل قد يكونُ من جنودِ اللهِ ما يَسيرُ في داخِلِ جسدك ودَمِك يا ابنَ آدَم .. فإذا جاءَ الأمرُ للدمِ في العروقِ بأن يتجمَّدَ، تجمَّدَ وقتَلَ صاحِبَه .. كأي جنديٍّ من جنُودِ الله يتلَقَّى الأمْرَ .. أو أن يتوقَّفَ عن عملِهِ بشكلٍ جزئِيٍّ أو كُلِّيٍّ .. لفعَلَ بالقَدْرِ الذي يُؤمَرُ بِهِ .. وكذلك بقيَّةُ أعضاءِ الجسَدِ الباطِنَةِ والظَّاهِرة؛ فهي لا تَعمَل عمَلها إلا بإذنِ اللهِ، وبأمرٍ مِنه .. ومَتَى يأتيها الأمرُ بأن تتوقَّفَ، وتقتُلَ صاحِبَها، فعَلَت مُبَاشرة، ومِن دونِ أدْنَى تَرَدُّدٍ .. فلا تحسبنَّ ـ يا ابنَ آدم ـ أنَّ جنودَ اللهِ محصورَةٌ في الملائكةِ التي تتنَزَّلُ من السَّماءِ بأمرِ رَبِّها .. وحَسْب؟!

* * * * *

وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ

412- [وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ]المدّثر:45. أي نُشارِكُ المبطِلينَ باطِلَهم، فنقولُ قولَهم، مِن غَيرِ تَثبُّتٍ، ولَا دِرايَةٍ، ولَا عِلْمٍ.

* * * * *

هُوَ أَهْلُ التَّقْوَى وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ

413- [هُوَ أَهْلُ التَّقْوَى]؛ هو اللهُ تعالى وحده الذي يَستحِقُّ أن يُتَّقَى؛ فيُطاعُ ولَا يُعْصَى، في السِّرِّ، والعَلَن، [وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ]المدّثر:56. وهو وَحده أهلُ المغْفِرَةِ؛ الذي له المغْفِرَة كُلِّها، الذي يَقدِرُ أن يَغفرَ الذُّنوبَ، يَغفرُ لمن يَشاءَ، ويُعذِّبُ مَن يَشَاء ..

ومَن كانَ داعِياً، وسَائلاً، ومُستَغفِراً .. فلَا يتوجَّه في دعائِه، وسُؤالِه، واستغفارِه إلَّا إلى الله.

* * * * *

سورة القيامة

وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ

414- [وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ]القيامة:2. أقسَمَ اللهُ تعالى بالنَّفْسِ اللَّوامَةِ تَشْريفاً وتَعظِيماً لها؛ لدورِها العظيم في مقاوَمة فيرُوسَات وجراثيمِ السيئاتِ؛ التي تَأتي مِن جهةِ الشَّهواتِ، ومِن جهة الشُّبهاتِ .. فهي بمثابةِ جهاز المناعةِ في الإنسانِ التي تحملُه على طلبِ مزيدٍ مِن الخيرِ، وفِعْلِ مزيدٍ مِن الخيرِ؛ فإذا فعلَ خيراً؛ لم تحملُه على العُجْب، والاستكانَةِ، بَل لامَت صاحِبَها على التَّقليلِ، والتَّقصيرِ؛ لماذَا لَمْ يزِدْ في هذا الخيرِ، ويَفعلْ ما هو أكثر مِنه .. وكذلك تَفعلُ مع الشرِّ إذا ما أقبَلَ واستشْرَفَ فهي سرعَان ما تُهاجِمُه، وتُعلِن عليه الحرْبَ، وتُدَافِعُه، وتُقْصِيه بَعِيداً .. وكلَّمَا كانت النفسُ اللَّوامةُ قويَّةً، يمدُّها صاحِبُها بالقوَّةِ والغِذاءِ النَّافِعِ، كانَت أقْوَى على مواجهةِ الفِتَنِ، والشَّرِّ، والإغراءاتِ .. وكانَت علامَةً على صحَّةِ وحياةِ قَلبِ صاحِبِها .. وفي الحدِيثِ، فقد صَّح عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم أنه قال:" مَن سرَّتهُ حسَنَتُهُ وسَاءتْهُ سَيِّئَتُهُ فذلِكم المؤمنُ ". أي هو المؤمنُ حقَّاً .. وهذا الشُّعورُ بالسرورِ عند مَوْرِدِ الحسناتِ، والإساءَةِ عند مَورِدِ السيئاتِ .. مَبْعَثُة النَّفس اللَّوامَة.

* * * * *

أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُ

415- [أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ]؛ الكافرُ الملحدُ؛ الذي يُنكرُ البعْثَ والنشورَ، واليومَ الآخِرِ [أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُ]؛ أنَّنا غير قادرين على أن نُعيدَ خَلقَه للبعثِ والنُّشُورِ، وأنَّنا لن نجمعَ عِظامَه، مِن جَديدٍ بعدَ أن أصبَحت رُفاتًا، ورَميماً؟! [بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُ]القيامة:3-4. بل اللهُ تعالى قادرٌ على ما هو أعظمُ ممَّا يَسألُ عنه الإنسانُ الكافرُ، ويُنكرُهُ .. وهو يَعيشُ معَه، ولصيقٌ به، ويرَاه بعينِه في حياتِه .. ألَا وهو البنَانُ؛ أصابعُ اليدِ، وما يتخلَّلها مِن مَسامَاتٍ وبصَمَاتٍ عظيمة تُعَرِّفُ على هويَّةِ صاحِبها، وتميزُه عن سائرِ النَّاسِ .. حيثُ كل إنسانٍ له مساماتُه وبصمَاتُه الخاصَّة به، والمختلفةِ عن الآخَر .. فمن مجموعِ الناسِ وهمْ بالمليارَاتِ لا يمكنُ أن تجدَ اثنين متَشَابهَين في مَسَامَاتِ وبصَمَاتِ أصابعِ اليَدِ .. فالقادرُ على أن يخلقَ البنانَ بهذا الوصفِ وهذا الإعجَاز، قادرٌ على أن يحي الإنسانَ مِن جَديد، ويبعثَهُ وينشرَهُ من قَبرِه للحسَابِ يومَ الحسَابِ .. وكَمْ مِن آيةٍ لَصيقةٍ بالإنسانِ يَغفَلُ عنها؛ لإلْفِهِ لهَا .. [فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ]الحج:46.

* * * * *

بَلْ يُرِيدُ الْإِنسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ

416- [بَلْ يُرِيدُ الْإِنسَانُ]؛ الكَافِرُ الملْحِدُ؛ الذي يَجحَدُ وجُودَ اللهِ، ويومَ البَعْثِ، والحِسَابِ، [لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ]القيامة:5. هذا هو الحامِلُ والبَاعِثُ له على الكُفْرِ والجُحُودِ؛ فهو لا يُريدُ مِن كُفْرِهِ وجُحُودِه وإلحَادِه سِوَى الرَّغْبة في الانْعِتَاقِ من تَبِعَاتِ الإيمانِ، ومِن التَّكاليفِ الشَّرعيَّةِ .. ومن ثمَّ الانطلاق كالبَهيمَةِ ـ بل أشد ـ نَحْوَ مُسْتَقْبلٍ مَليء بالفُجُورِ والفُسُوقِ .. مُلبِّياً نِداءَ شَهواتِهِ ورَغَباتِه مِن غَير ضَابِطٍ، ولا وَازِعٍ مِن رَقِيبٍ، ولا وَخْزٍ للضَّمِير .. يُعَكِّر عليه انْغماسَهُ في الفُجُورِ، والحَرَامِ .. هذا المعنى يَرَدِّدُهُ الملْحِدُون

في كُلِّ زَمَانٍ ومَكَانٍ، وإن اختلَفَتِ عِباراتُهم: لا يُوجَدُ إلهٌ يُحاسِب .. لا تَخَافُوا .. افْعَلُوا ما شِئْتُمْ!

* * * * *

بَلِ الْإِنسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ

417- [بَلِ الْإِنسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ]القيامة:14. لا يَغُرَّنَّكَ مَدْحُ المدَّاحِين لك .. ولا ثَناءُ النَّاسِ عليك بما ليسَ فِيك .. ولا ألقابُ التَّعظِيمِ والتَّفْخِيمِ .. ولا النَّيَاشِين .. التي يمنحكَ إيَّاهَا مَن هُم فوقَكَ في الرُّتَبِ .. فأنتَ أدْرَى النَّاسِ بنفْسِكَ، وبجوانِبِ ضَعْفِك، وتقصِيرِك، وتَفْرِيطِك .. فحاسِبْ نفْسَكَ قَبْلَ أن تُحَاسَب .. واسْألها قبلَ أن تُسْأَل .. واحملْهَا على الجادَّةِ والاستقَامَةِ .. وكُنْ بعيوبِها خَبيراً بَصِيراً .. قَبلَ أن تَشهدَ عَليكَ، فتُبَصِّرُكَ بعيوبِك، في يومٍ لا يَنفعُ مَالٌ ولا بَنُون إلَّا مَن أتَى اللهَ بقلبٍ سَلِيمٍ.

* * * * *

أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى

418- [أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى]القيامة:36. مُهْمَلاً مِن غَيرِ أمْرٍ ولا نَهْيٍ، ولا شَرِيعَةٍ تُنَظِّمُ له حياتَهُ، وتُبيِّنُ مَا لَه ومَا عَليه .. ومِن غَيرِ بَعْثٍ، ولا نُشُورٍ، ولا حِسَابٍ على مَا كانَ مِنهُ مِن عَمَلٍ في الحيَاةِ الدُّنْيَا .. كَلَّا؛ فهَذا لَا، ولَن يكون .. وهو يَتَنَافَى معَ حِكْمَةِ وعَدْلِ الخَالِقِ سُبحانَه وتَعَالى .. ومَعَ الغَايَةِ التي أوجَدَ اللهُ الوجُودَ لأجْلِهَا.

* * * * *

سورة الإنسان

وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيراً

419- [وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيراً]الإنسان:8. يُطعِمُون مَا يَشْتَهون ويحبُّون مِن الطَّعَامِ .. فَلا يخصُّون أنفُسَهم بِطيبِ الطَّعَام .. وغيرهم مِن المساكِين بردِيئِه .. وكُلَّما كانت الصَّدقةُ مِمَّا تحب وتَشْتَهِي كلَّما كانَت أفضَل، وأعْظَم أجْرَاً.

* * * * *

إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُوراً

420- [إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُوراً]الإنسان:9. المُطْعِمُ لَا يُرِيدُ جزَاءً ولَا شُكُوراً، ولَا يَحرِصُ على ذلك؛ لأنَّه يَبتغي مِن إطعَامِه وجْهَ اللهِ تَعَالى، وثوابَه في الآخِرَةِ .. أمَّا المُطْعَم يُستَحْسَنُ وربما يجبُ عليه أن يَشكرَ المُطْعِمَ؛ فمن لم يَشْكُر النَّاسَ، لا يَشكرُ رَبَّ النَّاسِ!

* * * * *

وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُوراً

421- [وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُوراً]الإنسان:22. اللهُ تعَالى هو الذي يَهدينا إلى صِراطِه المستقِيم .. وهو الذي يُعينُنا على ذِكْرِه، وشُكْرِه، وعِبادَتِه .. وهو الذي يُثَبِّتنا على طاعَتِه وعبادَتِه .. وهو الذي يَختم لنا بالإيمانِ .. فالفَضْلُ كُله مِنه وإليه .. ثم هو بعدَ كلِّ ذلكِ يَشكرُنا على ما كان مِنَّا مِن ذِكْرٍ، وطاعَةٍ، وعِبادَةٍ، واستِقامَةٍ .. ويجزلُ لنا في المثُوبَةِ والعطَاءِ .. حَقَّاً وصِدقَاً إنَّه ربٌّ شَكُورٌ، ورَبٌّ يُعبَد!

* * * * *

سورة المرسلات

أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتاً . أَحْيَاء وَأَمْوَاتاً

422- [أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتاً . أَحْيَاء وَأَمْوَاتاً]المرسلات:25-26. أي ألمْ نَجعَل الأرضَ جامِعةً، وضَامَّةً، وحَاوِيةً، وكافِيةً لجميع المخلوقات؛ الأحياء منهم على ظَهْرِهَا، والأموات منهم في بَطنِها .. فعلامَ البَحْثُ للعَيشِ في كَوكَبٍ آخَر، لم يُعَد لاستِقْبالِ وضِيافَةِ الإنْسان؟!

الأرْضُ مِنْها المَنْبَتُ، وفيها المَرْقَدُ، ومِنْها المَبْعَث .. وإنَّا لله وإنَّا إليهِ رَاجِعُون.

* * * * *

هَذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ . وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ

423- [هَذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ . وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ]المرسلات:35-36. في دُنيَاكُم ـ باسمِ وزَعْمِ الحريَّةِ ـ تكلمتُم كثيراً .. وثَرْثَرْتُم كثيراً .. وخُضْتُم فيمَا لا يَنبغِي لكُم أن تخوضُوا فيه .. وجادَلتُم فأكثرتُم الجِدَالَ .. وعارَضتُم وأعرَضْتُم .. وأُتيحَت لكم فُرَصٌ عديدَةٌ، ومَديدَة ـ مدَّةَ حياتِكُم في دُنياكُم ـ لتَعتَذِرُوا وتَستغفِرُوا وتتوبُوا عمّا بدَرَ مِنكم مِن خَطأ، وانحرافٍ، وضَلالٍ .. فمنعكُم الكِبرُ، وحُبُذُ الشهواتِ .. أمَّا اليوم؛ يوم القِيامَةِ فتُعاقَبُون مِن جِنسِ فِعلِكُم وذَنبِكُم .. فلا يُؤذَن لكم بالكلامِ ـ وإنما تتكلَّمُ الجوارحُ بما كان مِنكم مِن عمَلٍ ـ كما لَا يُؤذَنُ لكم بالاعتذارِ والاستغفارِ عمَّا كان مِنكم مِن عمَلٍ .. حيثُ يَومَئذٍ لا يَنفعُ اعتذَارٌ، ولا استِغْفَار ...!

* * * * *

سورة النازعات

فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى

424- [فَقَالَ]؛ فرْعَونُ، [أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى]النازعات:24. الذي أُرَبِّيكُم وأُنَشِّئُكُم على مَا أَشَاءُ مِن القَوانين، والمبادِئِ، والقِيَمِ، والمعتَقَدَاتِ .. فالذي أَرَاهُ لكم حَلالاً فهو الحَلالُ، والذي أراهُ لكم حَراماً فهو الحرَامُ .. والذي أراهُ لكم حَقَّاً فهو الحقُّ، والذي أراهُ لكم باطِلاً فهو البَاطِلُ .. ليسَ لكم رَبَّاً تَرجِعُون إليه في أيِّ شَأنٍ من شُؤونِ حياتِكُم ودُنيَاكُم غَيرِي .. وإن وُجِدَ، فأنَا الأَعْلَى، وحُكْمِي وقانُونِي هو الأَمْثَلُ والأعْلَى .. وهذا لِسانُ حالِ طُغاةِ وفراعِنَةِ العَصْرِ .. وكُلِّ عَصْرٍ .. كُلُّهم يَتكلَّمون بلسانِ فِرْعَون .. بَلْ بعضُهم قَد فاقَ فرعَونَ في الجرْأةِ والطُّغيانِ، وفي زَعْمِ وادِّعاءِ هذا النوعِ مِن الرُّبوبيَّةِ!

* * * * *

وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى

425- [وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ]؛ الوقوف بين يدَي رَبِّه يومَ الحِسَاب، وحَسِبَ لذلك الموقفِ العَصِيبِ حسَابَه، [وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى]؛ فَعَقَلَهَا بِعِقَالِ النَّقْلِ والعَقْلِ، عن أن تَميلَ به إلى الرَّدَى، [فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى]النازعات:40-41. المكانُ الذي يَأوي إليه، ويَأولُ إليه أمرُه .. ويَنتهي به مطافُه.

* * * * *

سورة عبس

قُتِلَ الْإِنسَانُ مَا أَكْفَرَهُ

426- [قُتِلَ الْإِنسَانُ مَا أَكْفَرَهُ]عبس:17. إن ابتُلِيَ بالسَّرَّاءِ لم يَشْكُرْ، وإن ابتُلِيَ بالضَّرَّاءِ، لم يَصْبِر .. فهو إمّا أنْ تجدَهُ جاحِداً، وإمَّا أنْ تجدَهُ سَاخِطاً!

* * * * *

يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ

427- كُلُّ الأصْدِقاءِ يومَ القِيامةِ يَتخَلّون عنك، [يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ]عبس:34. [وَلَا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيماً]المعارج:10. إلّا صديقٌ واحد، فإنَّهُ يُدَافِعُ عنك، ويَتَشَفَّعُ لك، واللهُ تعالى يَقبَلُ شَفاعَتَهُ فيك، هو القُرآنُ الكريم.

* * * * *

لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ

428- [لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ]عبس:37. يُشْغِلُه، فَلا يَلْتَفِتُ أَحَدٌ إلى أَحَدٍ.

* * * * *

سورة التكوير

وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ

429- [وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ]التكوير:7. جُمِعَت، كُلٌّ مَعَ قَرِينِهِ ومَثِيْلِه؛ الصَّالِحُ مَعَ الصَّالِحِ، والطَّالِحُ مَعَ الطَّالِح.

* * * * *

بِأَيِّ ذَنبٍ قُتِلَتْ

430- مَوَانِعُ الحَمْلِ، إنْ لم تكُن لضرورَةٍ طُبيَّةٍ، وَأْدٌ أصْغَر، والَّذين يتعاطونَها لهم حَظٌّ مِن قولِه تعالى:[وَإِذَا الْمَوْؤُودَةُ سُئِلَتْ . بِأَيِّ ذَنبٍ قُتِلَتْ]التكوير:8-9. سُئِل النبيُّ صلى الله عليه وسلم عن العَزْلِ ـ وهو أضعفُ صور وحالات موانِع الحَمْلِ ـ فقال:" ذلك الوَأْدُ الخَفِي "مسلم.

* * * * *

وَإِذَا الْمَوْؤُودَةُ سُئِلَتْ . بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ

431- [وَإِذَا الْمَوْؤُودَةُ سُئِلَتْ . بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ]التكوير:8-9. الوَأْدُ نوعَان: وَأْدٌ أكبَر، كما كانت صورَتُه في الجاهِليَّةِ الأُولَى قَبلَ الإسلامِ .. ووَأْدٌ أصْغَر كما في الجَاهِليَّةِ الحَدِيثَةِ المعَاصِرَةِ، وصُورَتُه قَتْلُ الجنِينِ وهو في بطنِ أُمِّه عَن طريقِ الإجْهَاضِ، ومَوانِع الحَمْلِ ...!

* * * * *

وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ

432- [وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ]، إذَا أَدْبرَ ظَلامُه، وَأَدبرَ بإدْبارِهِ الرُّقَادُ، [وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ]التكوير:17-18. إذَا أقبَلَ بضيائِه، وجمَالِه، وعطَائِه، وصَفائِه .. لتَتَنَفَّسَ مع تنفُّسِه الخلائقُ الأرضيَّةُ، فتَنهَض مِن رَقْدَةِ الليلِ، وثُبَاتِه، لتَضرِبَ في الأرضِ لمعَاشِها، ومصَالِحِها، ولما تَستَقِيم بها حيَاتُها .. فالبركَةُ جُعِلَت في البُكُورِ، وتُطلَبُ في البُكُورِ، أي في الصَّبَاحِ البَاكِرِ، كما في الحَدِيث:" اللهمَّ بارِكْ لأمَّتِي في بكُورِها ". فمَا استَعْصَى عليك في ليلِك، ويَومِك، اطلُبْهُ في البُكُور!

* * * * *

سورة الانفطار

يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ

433- [يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ]الإنفطار:6. ما الذي أغْرَاكَ، فَخَمَلَكَ، وجَرَّأَكَ على أنْ تَسْتَهِينَ بِرَبِّكَ، وبأمْرِهِ، فتَعْصِيَه .. سُؤالٌ يَنْتَظرُ كُلَّ إنْسَانٍ، فانْظُرْ بِمَاذَا سَتُجِيْب؟!

* * * * *

سورة المطففين

وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ

434- [وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ]المطففين:1. شامِلةٌ لجميع أنواع التّطفيف الماديَّة منها والمعنويَّة، ومِن التَّطْفِيفِ؛ أن يحرصَ الصَّديقُ على استيفاءِ كامِلِ حقُوقِه ـ غيرَ مَنقوصةٍ ـ من صَديقِه، ولا يَتوانى عن طَلَبِ المزيد، بينما هو يؤدّي حقوقَ صاحِبِه عليه مَنقوصَةً مَبْخُوسَة!

435- [وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ]المطففين:1. في المِيزَانِ، والقَضَاءِ، والحُكْمِ عَلى الأشْيَاءِ، وأَدَاءِ الأَمَانَاتِ، وفي كُلِّ عَمَلٍ يجبُ فِيهِ الاسْتِيفَاء.

436- [الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُواْ عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ]المطففين:2. إذا كان لهم الحَقُّ؛ يَسْتَوفُونَهُ كامِلاً غيرَ مَنْقُوصٍ، لا يُسامحُونَ في القَليلِ مِنه. [وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ

يُخْسِرُونَ]المطففين:3. وإذا كان عليهم الحقُّ يُنقِصُون، لا يُوفُّونَ ما عليهم مِن الحَقِّ كامِلاً!

* * * * *

كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ

437- [كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ]المطففين:7. سِجِّين هو سجنٌ مِن نَارٍ في الأرضِ السابِعةِ السُّفْلَى .. تُرمَى وتُحْبَسُ فيه أرواحُ الكافرين، وأعمالُهم، فتظَلُّ ماكثةً فيه إلى يومِ القِيامَةِ .. مَا أطولهُ وما أشقَاهُ ومَا آلمهُ مِن سِجنٍ .. لمثْلِ هذا السجنِ ينبغي العمل للتحرّرِ مِنه .. ولهؤلاء الطُّغاةِ الظَّالمين الذين يتمتَّعُون بسَجْنِ المؤمنين وتَعذيبهم، في سجونِهم وزنازِينِهم، يفتنونهم عن دِينِهم .. يُقالُ لهم انتظرُوا أمامَكُم سجناً رَهيباً مِن نارٍ في أسفَلِ الأرضِ .. لا تنقَضِي مدَّتُه ولا آلامُه إلى قِيامِ السَّاعَةِ .. إنَّه لكم بالمرصَادِ .. تَلجُونَهُ مِن أوَّلِ سَاعَةٍ مِن موتِكُم .. اسمُه " سِجِّين "!

* * * * *

فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُواْ مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ

438- اليَومَ يَضحَكُ الكُفَّارُ مِن المؤمِنين، وغَدَاً يَبكُون، ويَندَمُون، ويَتَمَنَّون لو أنَّهم كانوا في الدنيا في صَفِّ الذين ضَحِكُوا مِنْهم .. ومَا أقصرَ اليومَ الذي يَضحكُون فيه، وما أطولَ اليومَ الذي يَبكُون فيه [إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُواْ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ] . [فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُواْ مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ]المطففين:29-34.

* * * * *

سورة الانشقاق

يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحاً فَمُلَاقِيهِ

439- [يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ]؛ خِطَابٌ لجميع النَّاسِ؛ مُؤمِنهم وكافِرِهم، أبيَضِهم وأسوَدِهم، عُرْبِهم وعَجَمِهم، الرِّجال منهم والنِّسَاء، [إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحاً فَمُلَاقِيهِ]الانشقاق:6. إنَّك في دُنْيَاك خُلِقْتَ للعَمِل، وبَذْلِ الجهْدِ، والكَدْحِ، والنَّصَبِ .. ولَا مَنَاصَ لَكَ أن تجعَلَ دُنْيَاكَ غَيرَ ذَلِك .. فانظُرْ بما تَعمَلُ به وبما تَكْدَح، وانظرْ بما ستُلَاقِي به رَبَّك مِن عمَلٍ، وكَدْحٍ، ونَصَبٍ .. فإن كان كَدْحُكَ وعمَلُك وفْقَ طاعةِ اللهِ ورسُولِه صلى الله عليه وسلم، فستَلْقَى اللهَ رَاضٍ عنْكَ، وجَزاؤكَ الجنَّة .. وإن كانَ كَدْحُكَ وعمَلُكَ قائماً على المشَاقَقَةِ، ومَعْصِيَةِ اللهِ ورسُولِه صلى الله عليه وسلم، فَسَتَلْقَى اللهَ سَاخِطَاً عليك، ومَأواك نار جهنَّم وبِئسَ المصِير.

* * * * *

سورة الطارق

فَمَا لَهُ مِن قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ

440- [فَمَا لَهُ]؛ للطُّغاةِ الظالمين؛ الذين تحوطُهُم قوّةُ الجندِ؛ يَستعلُون بهم على البِلادِ والعِبَاد، [مِن قُوَّةٍ]؛ لديهم تمنَعُ عنهم عذَابَ اللهِ يومَ القِيامَةِ [وَلَا نَاصِرٍ]الطارق:10. من غيرِهِم ينصرُهم، ويَدفعُ عنهم عذابَ الله!

* * * * *

سورة الأعلى

441- [سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى]الأعلى:1. أي قلْ سبحانَ ربيَ الأَعْلى .. وأكثِرْ من التَسبِيح للربِّ الأَعْلَى .. تَعظيماً وتنزيهاً للربِّ الأعْلَى، ولأسمائِه الحُسْنى، وصفاتِه العُلْيَا عن الشَّرِيكِ، والمثيلِ في شيءٍ من أسمائِه وصِفاتِه .. الأعلى بذَاتِه، والأَعْلَى في أسمائِه وصفَاتِه .. البَائنُ عَن خَلْقِه .. الذي له العُلُو على جميع مخلوقاتِه .. لَا يَعْلُوه ولا يُماسُّه شَيء.

442- [الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى]الأعلى:2. هَذا الربُّ الأَعْلَى؛ وهو في عُلوِّه .. هو الذي خَلَقَ الأشياءَ كلها، فعَدَّلَ كلَّ مخلُوقٍ وسوَّاه، وصوَّرَه في أحسَنِ وأكملِ صورةٍ ووجْهٍ .. بحيث لَا تَرَى في أيِّ مخلوقٍ ـ سماوي كان أم أرضيٍّ ـ خَلَلاً ولا نقْصاً .. ومن أعظَمِ ما خلَقَ فسواه وعدّلَ خَلْقَه الإنسان؛ هذا المخلوق الذي يمشي على الأرضِ وهو يحملُ في جَسَدِه مئاتُ الآياتِ البَاهِراتِ الدَّالَّات على عظَمَةِ الخالِقِ، ووحدانيَّتِه.

443- [وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى]الأعلى:3. وهو سُبحانَه الذي قدَّرَ وجودَ الأشياءِ كُلِّها .. لا يوجدُ شيءٌ خارجٌ عن تَقديرِه .. ثم هدَى مقاديرَه إلى منافِعِهم .. فعرَّفَهم بما يَضرُّهم وما يَنفَعُهم .. فلم يخلقْهم عبَثاً، ولا سُدَاً مِن غيرِ هِدايةٍ ولا غايَةٍ .. فهدَى الإنسانَ النَّجْدَين؛ طريق الخيرِ، وطريق الشرِّ .. وبيَّن له كلَّ ما يقرِّبُه إلى اللهِ، وإلى الجنَّةِ، ومَا فيه سعادَتُه في الدُّنيا والآخِرَةِ، ورَغّبه بِه، وحَضَّه عليه .. كما بيَّن له كلَّ مَا يُبعِده عنِ اللهِ، ويُقرِّبه إلى النارِ، وفيهِ شَقاؤُه في الدُّنيا والآخِرة، ونَهاه عَنه، وحَذَّرَه منه .. ثمَّ تركَ له الاختيَارَ؛ ليُحَاسَب على اختيارِه يومَ القِيامَةِ .. وكذلك سَائرُ الحيوانات والدَّواب؛ هدَى كلَّ مخلُوقٍ منها إلى عبادَةِ اللهِ وتَوحيدِه، وتَسبيحِه .. وإلى منَافِعِه في الدُّنيا .. فَمَا مِن دابَّةٍ ولا حيوانٍ إلا ويَعرفُ ما يَنفعُه، ومَا يَضرُّه .. مَا يُناسِبُه، ومَا لا يُنَاسِبُه؛ مِنَ المسْكَنِ، والمأْكَلِ، والمشْرَبِ .. لَا يُوجَدُ حيوانٌ يَدبُّ على الأرضِ، ولا طائرٌ، يقولُ: خُلِقْتُ، ولم أجِدْ لنَفْسِي مَا يُنَاسِبُني مِنَ المأكَلِ، والمسْكَنِ، والمشْرَب.

444- [وَالَّذِي أَخْرَجَ]؛ مِن الأرضِ، [الْمَرْعَى]الأعلى:4. النَّباتَاتِ، والحشَائشَ والأعشَابَ المختلفَةِ في الأُكُلِ، والألوانِ، والشَّكْلِ، التي يَقتاتُ الإنسانُ مِنها ما يُناسِبُه، وكذلك الأنعامُ، والخيلُ، والبِغَالُ، والحميرُ، والدَّواب .. كلٌّ يجدُ لنَفْسِه ما يُناسِبه من الأعشابِ والحشَائشِ التي يَتغذَّى بها .. والتي بها تكتَمِلُ وتجمُلُ حياةُ الإنسانِ في الأرض.

445- [فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى]الأعلى:5. فجعلَه بعد خضْرَةٍ، ويَنعَةٍ، هَشِيماً، أصفَراً، وأسوَداً .. تَذْرُوه الرياحُ لخفَّتِه .. وهو ممَّا يُساعِدُ على تخزِينِه ـ كطعامٍ للأنعَامِ والدَّواب ـ إلى المواسِمِ التي يَندرُ فيها وجُودُ المراعِي ذَاتِ الأعشَابِ، والحشائشِ الخضْرَاء .. وفي هذه الآية عِظَةٌ وعِبرةٌ ومَثَلٌ للإنسانِ وللأطوَارِ التي يمرُّ بها منذُ نَشْأتِه إلى أن يَنتهي هَشِيماً هَزِيلاً، تَذْرُوه المحنُ والأيَّامُ، لَا يَقوَى على الثبَاتِ والوقُوف!

446- [وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَى]الأعلى:8. ونيسِّرُ لك ولأمَّتِك اليَسِيرَ من الأحكَامِ والشَّرائعِ، والدِّين .. فاللهُ تعالى لم يَهدِنا لليَسِيرِ من الدِّينِ والشرائعِ وحَسْب .. بل يَسَّرَ لنا هذا اليَسِير، وسهَّلَهُ علينا، وأعاننا عليه، وجعلَهُ يَسِيراً، محبَّباً، وممْكناً، لا يخرجُ عن حدُودِ الاستطاعَةِ .. فالتماسُ الأيَسَر والتَّيسِير عاملٌ مِن عوامِلِ الترجيح في الفتْوَى، وإصْدَارِ الأحْكَامِ، مَا لَمْ يَكنْ إثماً .. وحيثُما يوجدُ العُسْرُ والتَّعسيرُ في الدِّينِ، فاعلمْ أنَّ دِينَ اللهِ بريءٌ مِنه، وعلامَتُه أن يترتَّبَ على التَّكليفِ ضَرَرٌ، أو أن يكونَ فوقَ المستطاعِ .. وفي الحديث، عن أمِّ المؤمنين عائشة رضي الله عنها، قالت:" ما خُيِّرَ رَسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ بيْنَ أَمْرَيْنِ، أَحَدُهُما أَيْسَرُ مِنَ الآخَرِ، إلَّا اخْتَارَ أَيْسَرَهُمَا، ما لَمْ يَكُنْ إثْمًا، فإنْ كانَ إثْمًا، كانَ أَبْعَدَ النَّاسِ منه "مسلم.

447- [وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَى]الأعلى:8. مَن صَدَقَ اللهَ في خَيرٍ، يَسَّرَ اللهُ له هذا الخَير، وأعانَه عليه.

448- [فَذَكِّرْ]؛ بالقُرآنِ، والسُّنَّةِ، [إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَى]الأعلى:9. الغَايَةُ من التَّذْكِيرِ الانتفاعُ بالتَّذْكِير .. وهذا يَستَدْعِي مِن الدُّعاةِ إلى اللهِ أن يَلتمِسُوا الزَّمانَ والمكانَ المناسِبَين للتذْكِير .. مِن غَيرِ إمْلَالٍ ولا إخْلَالٍ .. ولا تَكَلُّفٍ .. وبخطَابٍ مُحْكَمٍ مفْهُومٍ، واضِحٍ لا لبسَ فيه ولا غُموض .. لا يثيرُ الشكوكَ والشُّبهاتِ والتَّساؤلاتِ لَدَى المخاطَبِين، حيثُ هناك مَن يُزيلُ شُبهةً عند المخاطَبين بأضعافِها مِن الشُّبَه، وبما هو أخْطَرُ مِنها، فيُسيء أكثر مما يُصلح .. ويُزيلُ مُنكراً بمنكرٍ أكبر .. وتقول: ليتَه سَكَت .. وكلما كان المخاطَبُ مُقبلاً على الاستماعِ، رَاغِباً به، كان الخطابُ أنفعَ، وأحسَنَ وقْعَاً وأثَراً .. كما في الأثَرِ عن علي بن أبي طالب ﷺ، قال:" حَدِّثوا النَّاسَ بما يَعرِفُون أتحبونَ أن يُكَذَّبَ اللهُ ورسولُه "البخاري. وعن شَقِيقٍ، كان عبدُ الله بن مسعود يُذَكِّرُ الناسَ في كل خميسٍ، فقال له رجلٌ: يا أبا عبد الرحمن! لودَدتُ أنَّك ذكَّرتنا في كلِّ يومٍ. قال:" أما إنَّه يمنعني من ذلك أني أكره أن أُمِلَّكُم، وإني أتخوَّلُكُم ـ أي أتقللكم ـ بالموعظةِ كما كان رسول الله ﷺ يتخوَّلَنا بها مخافةَ السآمةِ علينا ". وعن عكرمة، أنَّ ابنَ عباس قال:" حدِّثِ الناسَ كُلَّ جمعةٍ مرَّةً، فإن أبيت فمرَّتين، فإن أكثرتَ فثلاثَ مرَّاتٍ، ولا تُمِلَّ النَّاسَ هذا القرآنَ، ولا أُلفِيَنَّكَ تأتي القومَ وهم في حديثٍ من حديثهم فتقصُّ عليهم فتقطعُ عليهم حديثَهم فتُمِلَّهُم، ولكن أنصتْ، فإذا أمروكَ فحدِّثهم وهم يشتهونَه، وانظر السَّجْعَ من الدعاءِ فاجتنبهُ، فإنِّي عهدتُ رسولَ الله ﷺ وأصحابَهُ لا يفعلون ذلك ".

449- [سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَى]الأعلى:10. المؤمنُ الذي يَخْشَى عقابَ اللهِ، ويرجُو ثوابَه .. ويتَواضَعُ ويُقْبِلُ على التَّذكرةِ بكليَّتِه .. فلا يَنشغلُ عنها بمشاغِلَ وصوارِفَ الدُّنْيا ..

ولا بِسَفَاسِفِ الأُمور، وسَقَطِ القَولِ .. هو الذي يَنتفعُ مِنَ التَّذْكِرةِ في الدُّنيا والآخِرَة .. وهذا الذي يَنبغي على العُلماءِ والدُّعَاةِ إلى اللهِ أن يُقبلُوا على تَعليمِه وتَذْكيرِه بأيامِ اللهِ، ونِعَمِه.

450- [وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى]الأعلى:11. أمَّا الشَّقِي الذي يُؤثِرُ شقَاءَ الدُّنيا والآخِرَة .. الذي يَتكبَّرُ، ويُعرِضُ عنِ التَّذْكِرَةِ .. ولَا يُبَالِي لهَا بَالَةً .. ويَنشَغِلُ عنْها بمشَاغِلِ وصَوَارِفِ الدُّنيا .. وبِسفَاسِفِ الأُمور، وسَقَطِ الأقوالِ، والآرَاءِ .. فهذا لا يَنتفعُ مِن التَّذكِرَةِ.

451- [الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَى]الأعلى:12. وممّا يجني عليه شَقَاؤُه، وإعراضُه عن التَّذْكِرَةِ أن يصيرَ إلى نارِ جهنَّمَ الكُبْرَى، وإلى عذابِها الأليم الكبِير .. فلَا عذَابَ أكبر ولا مثل عذَابِ نارِ جهنَّم.

452- [ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى]الأعلى:13. فَلا هو يموتُ؛ فيَسْتَرِيحُ مِن العَذَابِ، ولَا هو يحيَى حياةَ الأحْيَاءِ؛ لِشَدّةِ مَا يُعَانِي مِن الأَلمِ الشَّدِيد.

453- [قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّى]الأعلى:14. قَد فَازَ بخيرَي الدُّنْيَا والآخِرَةِ، مَن طَهَّرَ نَفْسَهُ باجتِنَابِ المعَاصِي، وفِعْلِ الطَّاعَاتِ.

454- [وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ]؛ فوَحَّدَه، ودعاه، وذَكَرَهُ ومجَّدَهُ بأسمائِه الحُسْنَى، وصِفَاتِه العُلْيَا، وبأنواعِ الأذْكَارِ الوارِدَةِ في الكتَابِ والسُّنَّةِ، [فَصَلَّى]الأعلى:15. فأتبعَ الذِّكْرَ بإقامَةِ الصَّلاةِ .. فجمَعَ بينَ الذِّكْرِ والصَّلاةِ .. وبخاصَّة مِنها الصَّلوات الخمْس .. فهذا مِن تمامِ وكمَالِ الفَلاحِ، وسَبَبٌ رَئيسيٌّ للفَلاح.

455- [بَلْ تُؤْثِرُونَ]؛ تُقَدِّمُون زِينَةَ، ومتاعَ، وزُخْرُفَ، [الْحَيَاةَ الدُّنْيَا]الأعلى:16. العاجِلَةَ، الفانيَةَ .. ومآلُها إلى زَوَالٍ لَا مَحالَةَ .. ولِزوالِ الدُّنيا صُورَتَان: صُغْرَى وكُبْرَى؛ الصُّغْرَى بموتِ الإنْسَانِ عَنها؛ فيَفْنَى ويَزُولُ عن دُنيَاه، ومَا جمَعَه .. وكُبْرَى بقيامِ السَّاعَةِ.

456- [وَالْآخِرَةُ]؛ بينمَا نَعيمُ الآخِرَةِ، [خَيْرٌ وَأَبْقَى]الأعلى:17. مِن نَعِيمِ الدُّنْيَا .. فنَعيمُ الآخِرَةِ بَاقٍ لا يَنْفَد، ولا يفْنَى، ولا يَبِيد .. وهو أكمَلُ وأجمَلُ، وألَذُّ .. خَالٍ مِن النَّواقِصِ، والمكدِّرَاتِ، والمنَغِّصَاتِ .. بخلافِ نَعيمِ الدُّنيا المنقَطع والنَّاقِص، المشُوب بالمكدِّرَات والمنغِّصَات .. ولَا يُؤثِرُ العَاجِلَةَ الزَّائِلةَ على الآجِلَةِ البَاقِيةِ، إلَّا ضَعيفُ العَقْلِ، والإيمانِ .. والآيةُ ليسَ فيها ذَمٌّ لمن يَعمُر الأرضَ بالخيرِ، ولا يَنْسى نَصيبَه مِن الدُّنيا، بما أحَلَّ اللهُ تعالى، وشرع .. وإنما الذَّمُ واقعٌ على مَن يُقدِّم الدُّنْيا على الآخِرَةِ .. ويَنشَغلُ بالدُّنيا عن الآخِرَةِ .. ويَطلبُ الدُّنْيا، ويَسعَى لها سعيَها بما حَرَّمَ اللهُ .. فيَحرصُ على نصيبِه مِن الدُّنْيَا، ويَنْسَى نَصِيبَه مِن الآخِرَةِ .. فعلى مِثلِ هذا يقعَ الذَّمُّ .. فتَنَبَّه.

457- [وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى]الأعلى:17. أحيَاناً ترَى مِن الدُّنْيا، وجمَالِها، وفِتنَتِها، مَا تَسْتَشْوفُ له النَّفْسُ، وتتمنَّاه .. ولَسْتَ بمدْرِكِه .. وحَتَّى لَا تَذهبُ نَفْسُكَ عليه حسَرَات .. تَذَكَّر أنَّ نعيمَ وجمَالَ الآخِرةِ خَيرٌ، وأجمَلُ، وألَذُّ، وأبْقَى ممَّا تَراهُ عينُك مِن فتنَةِ وزِينَةِ الدُّنْيا .. وهو لَكَ، وفي انتظارِكَ إن سَعيتَ لهُ سَعْيَه .. فتَطِيبُ نَفْسُك .. وَتَنْصَرِفُ عَنكَ تِلكَ الحَسَرَاتِ .. ويَستَبدلُها اللهُ لكَ بالرِّضَا، والقنَاعَةِ، والطَّمأنِينَةِ.

* * * * *

سورة الغاشية

لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ

458- [لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ]الغاشية:6. شَوكٌ غَليظٌ شَديدٌ يَعلقُ في حَلاقِيمِهم .. لَا يَستَطِيعُون ازدِرَادَه ولا إخْراجَه .. فكَما كانُوا يأكلُون في دُنيَاهم ألوانَ الأطعمَةِ الشَّهيَّةِ، ثم يَكْفرُونَها، ولا يَشكرُون اللهَ عليها، يُعَاقَبُون يومَ القِيامَةِ مِن جِنْسِ كُفْرِهم وذَنْبِهم، فيكونُ طعَامُهم [مِن ضَرِيعٍ].

* * * * *

أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ

459- [أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ]الغاشية:17. أن تُخَصَّ الإبلُ من بين سائرِ الدَّوابِّ بالنَّظَرِ، والتأمُّلِ، والتَّفكُّرِ .. هذا يَعني أن الإبلَ تحتوي على فوائِد، ومعَانٍ، وأسرَارٍ عظيمَةٍ لا تَتوفَّرُ في غَيرِها مِن الدُّواب .. تَستدْعِي مِن العُلماءِ والبَاحثِين أن يجرُّوا دِراسَةً دَقيقةً ومُفَصَّلة، ومُستَمرَّةً لجميع أجزاءِ الإبلِ الظاهِرةِ منها والباطِنةِ؛ جزْءاً، جزْءاً، وعضْواً عضْواً .. ولجميع الأطوَارِ والمرَاحِلِ التي يمرَّ بها؛ من الجنِين إلى ما بعد الوِلادَة، وحتَّى يُصبحَ جَمَلاً كبيراً متكامِلاً!

* * * * *

فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ . لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ

460- [فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ . لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ]الغاشية:21-22. لَسْتَ بقادِرٍ على هِدايَةِ النَّاسِ إلى الإيمانِ هدايَةَ تَوفِيقٍ .. وحمْلِهم عَليه .. فهذا ليسَ لكَ، وإنَّما هو للهِ تعالى وحدَه .. وهذا لا يمنَعُ من أن تُذَكِّر، وأن تَهدِي الناسَ إلى الإيمانِ هِداية دَلَالَةٍ ..

وأن تَأمرَهم بالمعرُوفِ، وتَنهَاهُم عن المنكَرِ .. وتجاهِدُ مَن وجبَ عليكَ جِهادُه .. وهَذا خِطابٌ موجَّهٌ للنبيِّ صلى الله عليه وسلم، ولأمَّتِه مِن بَعدِه.

* * * * *

سورة الطور

أَمْ لَهُمْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ

461- [أَمْ لَهُمْ إِلَهٌ]؛ يَتألَّهُونه، ويَعبدُونه [غَيْرُ اللَّهِ]؛ أيَّاً كانَ هَذا الغَير، وكانَت صِفَتُه .. وهَذا سؤالٌ يُفيد التَّوبيخَ، والتَّقريعَ، والتَّعجبَ؛ إذْ كيفَ يَليقُ أن يتألَّه المخلُوقُ مخلُوقاً، ويَصرفَ له العِبادَةَ والطَّاعَةَ مِن دُونِ اللهِ، [سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ]الطور:43. تَنزَّه وتَعَالَى اللهُ عن الشِّركِ، والشُّركَاء.

* * * * *

سورة الفجر

والفجر. وَلَيَالٍ عَشْرٍ . وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ

462- [والفجر. وَلَيَالٍ عَشْرٍ . وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ]الفجر:1-3. أي عشر ذي الحجة. والقَسَمُ هنا للتشْرِيفِ وبيَانِ الفَضْلِ. [وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ]؛ قال صلى الله عليه وسلم:" العشرُ عشرُ الأضحَى، والوترُ يَومُ عَرَفة، والشَّفعُ يومُ النَّحْرِ ". وكذا فسَّرَ الشفعَ والوترَ ابنُ عباس، وعكرمةَ والضَّحاكُ. قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم:" مَا مِن أيَّامِ العمَلُ الصالحُ فيها أحبُّ إلى اللهِ من هذهِ الأيامِ؛ يعني أيَّامَ العَشْرِ. قالوا: يا رسولَ الله ولا الجهاد في سبيلِ الله؟ قال:" ولا الجهادُ في سبيلِ اللهِ، إلَّا رجلٌ خرجَ بنفْسِه ومالِه، ثم لم يَرجعْ مِن ذلك بشيءٍ "البخاري. وقال صلى الله عليه وسلم:" إنّ أَعْظَمَ الْأيّامِ عِنْدَ الله يَوْمُ النّحْرِ ثُمّ يَوْمُ

الْقَرّ "، ويومُ القَرِّ هو اليومُ الحادِي عشَر؛ لإقرارِهم في مِنى. وقال صلى الله عليه وسلم:" أفضلُ أيامِ الدُّنيا أيَّامُ العَشْرِ "، قالوا يا رسولَ الله: ولا مِثلهنَّ في سبيلِ اللهِ؟ قال: ولَا مثلهنَّ في سبيلِ الله إلا مَن عَفَّرَ وجْهَهُ في الترابِ ". وفي رواية:" ولا ليالي أفضلُ مِن لياليهنَّ ". وقال صلى الله عليه وسلم:" صيامُ يومِ عَرَفة؛ أحتَسِبُ على اللهِ أن يكفرَّ السنَةَ التي قبلَه والتي بَعدَه "مسلم. وقال صلى الله عليه وسلم:" مَا مِن يومٍ أكثرَ مِن أن يُعْتِقَ اللهُ فيه عبيداً من النَّارِ مِن يومِ عَرَفَةَ "مسلم. وقال صلى الله عليه وسلم:" مَا مِن أيامٍ أعظمُ عِندَ اللهِ ولا أحبُّ إليهِ العمَلُ فِيهنَّ مِن هذه الأيامِ العشْرِ فأكثرَوا فِيهنَّ مِن التَّهْلِيلِ والتَّكبِيرِ والتَّحمِيدِ ". والحديثُ يَشملُ مُطلقَ العمَلِ الصَّالِحِ، إلَّا أنه خصَّ مِنها الذِّكْرَ " التهليل والتَّكبير والتَّحميد ".

* * * * *

هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ

463- [هَلْ فِي ذَلِكَ]؛ فِيما تَقَدَّمَ ذِكْرُه، [قَسَمٌ]؛ رَادِعٌ ومُقْنِعٌ، [لِّذِي حِجْرٍ]الفجر:5. لِذِي عَقْلٍ، وسُمِّي العَقْلُ حِجْراً؛ لأنَّه يَحْجرُ صَاحِبَهُ عنِ الهوَى، والزَّلَلِ، وكُلِّ مَا هو مُشِينٍ .. فالخَطَأُ لَا يَقَعُ إلا لجَهْلٍ بالنَّقْلِ، أو لِغَفْلَةٍ وضَعْفٍ في العَقْلِ!

464- [لِّذِي حِجْرٍ]الفجر:5. لِذِي عَقْلٍ يَعْقِلُه، ويَحْجُرُه عنِ الباطِلِ، ومَا يُعِيب، ويُشِين.

* * * * *

فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ

465- [فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ]؛ فأكْثرُوا في البلادِ الجرائمَ، والقَتْلَ، والظُّلمَ، والفسُوقَ، والفجورَ، والشُّذُوذَ .. فكانت العاقِبةُ المتوقَّعةُ والحتْميَّةُ؛ [فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ]الفجر:12-13. نوعاً من العذابِ ـ يُقَدِّرُه اللهُ ويَشاؤه ـ يَأخُذهم ويُعاقبهم به؛ كالريحِ، والمطَرِ، والجَدْبِ، والزَّلازِلِ، والطوفَانِ، والبرَاكِين، والخَسْفِ، وتَسليطِ الأدْوَاءِ والأَوبِئةِ، وغيرها .. ولَا يَعلمُ جُنودَ ربِّكَ إلَّا هو .. وقوله [سَوْطَ]؛ هو السَّوطُ الذي يُجلَدُ بِه، لكِن سَوْط اللهِ غَير سَوْطِ عَبدِ اللهِ .. وقولُه [فَصَبَّ]؛ فيه دلالةٌ على سرعةِ نزولِ العذابِ، وقوَّتِه، وشِدَّة أثَرِه .. فاللهُ إذَا أخَذَ فأَخْذُه أليمٌ شَدِيدٌ .. وهذه قاعِدَةٌ مُطَّردَة لا تتخلَّفُ، تَعمُّ كلَّ زمانٍ ومكانٍ؛ الإفسَادُ في الأرضِ دائماً يعقبه العقاب .. وتأخيرُ العِقَابِ ـ لحكمةٍ يُريدُها اللهُ تعالى ـ لا يَعني عَدَمَ نزولِه، ولو بَعدَ حِين.

* * * * *

إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ

466- [إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ]الفجر:14. يَرصُدُ أعمالَ عِبادِه، ويَرقُبُها .. لا يَفوتُه مِنها شَيءٌ .. ولا يخْفَى عليه مِنها شَيء .. مَهمَا كانَ دَقِيقاً أو خَفِيَّاً .. أعمالُ الصَّالحين والطَّالحين سَواء .. فيُجَازِي الطَّالحَ الظالمَ على ظُلمِه، بما يَستَحِق .. ويُجَازِي الصَّالحَ على صَلاحِه، وإحْسَانِه الأجْرَ الجزِيل.

* * * * *

وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلاً لَمًّا

467- [وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلاً لَمًّا]الفجر:19. تَأكلُون الميراثَ أكْلاً شَديداً؛ فتلمُّونَه لَمًّا، وتَسفُّونَه سَفًّا؛ لَا تُبقونَ منه شَيئاً لغيرِكم ممَّن لهم حقٌّ في الميراثِ .. فتأكلُون

حصَّتكم، وحصَّةَ غيرِكم مِن الضعفاءِ ممَّن لا يَستطيعُون أن يُطالبوا بحقّهم مِن الميراثِ .. ولا تُبالون مَا هو حَلال لكُم، ومَا هو حرامٌ عليكُم .. فتأكلُون الحَلالَ والحرَامَ .. والآيةُ فيها إغْراءٌ وترغيبٌ على الإنفاقِ في أوجهِ الخيرِ ابتغاءَ مرضَاتِ الله .. وعدَمِ كنزِ المالِ إن كان المورِّثُ يعلمُ أن ورثتَه مِن السُّفهاءِ الذين يَهدرُون المالَ في سُبُلِ الباطِلِ .. ولَا يَشكرُونَه .. وممَّن يَظلمُون، ويأكلُون التراثَ أكلاً لمَّا!

* * * * *

وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبّاً جَمّاً

468- [وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبّاً جَمّاً]الفجر:20. المالُ بالنسبةِ لهم غايةٌ دُونها الغَايات .. يُوالُون فيهِ، ويُعادُون فيه .. يميلُون معَه حيثمَا مالَ .. ويتواجَدُون حيثمَا وُجِد .. ويَغيبُون حيثُمَا يَغيبُ .. يَشحُّون به على ذَوَي الحقُوقِ عليهم، مِن الرَّحِم، والفُقَراءِ، والمساكِين .. لَا يُبالُون أكانَ مِن حَلالٍ، أمْ مِن حَرامٍ .. وهؤلاء يُقالُ لهم:" تَعِسَ عبدُ الدِّرْهَمِ، تعِسَ عبدُ الدينارِ ".

* * * * *

وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ

469- [وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ]؛ تُقادُ بسبعين ألف زِمامٍ، كما جاء ذلك في الحَدِيث، [يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنسَانُ]؛ الكافرُ ما كان منهُ في الدُّنْيا مِن تَفْريطٍ، وما هو قادِمٌ عليه من وعيدٍ دائمٍ لا يَنقَطع، فتَعْلُوهُ الحسْرَةُ والنَّدامَةُ، [وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى]الفجر:23. وأنَّى يَنفعهُ التَّذَكُّر، إذْ لا سَبيلَ له للرجُوعِ إلى الدُّنيا، واستئنَافِ العَمَل من جديد!

470- [يَقُولُ]؛ الكَافِرُ، وكُلُّ مَن غلَبَ عليه التَّقْصِير [يَا لَيْتَنِي] ؛ تُفيدُ الحسْرَةَ والنَّدَامَةَ على التَّفْرِيطِ، ومَا قَد فَاتَ، ولاتَ حِينَ مَنْدَمٍ [قَدَّمْتُ] في حيَاتي الدُّنيا

القَصِيرَةِ الفَانِيَةِ، فآمَنْتُ، وأطَعْتُ اللهَ ورسُولَه [لِحَيَاتِي]الفجر:24. الآخِرَةِ الدَّائِمَةِ التي لا تَفْنَى ولا تَبِيدُ، ولا يَنْقَطِعُ نعيمُهَا أَبَدًا!

* * * * *

يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ

471- [يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ]الفجر:27. هذه النفسُ، هي ثمرةُ ونتاجُ الصِّراعِ بينَ النفسِ اللَّوامَةِ، والنَّفْسِ الأَمَّارَةِ بالسُّوءِ .. فإذا غلبَت النفسُ اللوامَةُ النفسَ الأَمَّارة بالسوءِ .. وخنَسَت وضَعُفَت النفسُ الأَمَّارَة .. انتقلَت النفسُ إلى أرقَى مرَاتِبها ومقامَاتِها، إلى مرحلةِ النفْسِ المطمئنَّةِ الهنِيَّةِ السَّعيدَةِ .. إلى مرحَلةِ الاستقرَارِ، والثبَاتِ، والاطمئنانِ بالإيمانِ، وبطاعَةِ اللهِ، وبذِكْرِه، ومنَاجَاتِه، والقُرْبِ منه، والأُنْسِ به .. فلا يُعَكِّر صَفْوَها مُعَكِّرٌ .. ولا يُكَدِّرُها مُكَدِّرٌ .. ولا تضرُّها فتنةٌ أَبَدًا .. وأنَّى، والنفسُ الأَمَّارةُ بالسُّوءِ قد خنَسَت ـ وخنَسَ معهَا الشيطانُ الخنَّاس ـ إلى حيثُ لا رَجْعَةَ!

* * * * *

سورة البلد

لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي كَبَدٍ

472- [لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي كَبَدٍ]البلد:4. في مَشقَّةٍ، وتَعَبٍ، وشِدّة، وهو من البلاء الذي قدَّره اللهُ للإنسان في هذه الحياة .. وكل إنسان ـ كان غنيّاً أم فقيراً، حاكماً أم محكوماً، سيّداً أم مَسُوداً ـ له حظُّه المقسوم من هذا الكَبَد، رضي من رضي، وسَخِطَ مَن سَخِط!

* * * * *

أَلَمْ نَجْعَل لَّهُ عَيْنَيْنِ

473- [أَلَمْ نَجْعَل لَّهُ عَيْنَيْنِ]البلد:8. وليسَ عيناً واحِدَةً؛ ليرَى المشْهدَ كامِلاً .. ويَرَى الصورَةَ والحقيقَةَ كامِلةً غيرَ مُشَوَّهة، ولا مَنْقُوصَة .. ومعَ ذلك كثيرٌ مِن الناسِ يأبَون إلَّا أن ينظرُوا للأشياء ـ كالعُورَان ـ بعينٍ واحِدةٍ .. يَرون مَا لهم، وما يُريدُون أن يرَوْه .. ولَا يَرون مَا عليهم، وما يجبُ أن يرَوه .. فتأتي أحكَامُهم، وشَهادَاتهم مَنقوصةً خَاطِئةً .. كشهادَةِ شَاهِدِ الزُّور!!

وَلِسَاناً وَشَفَتَيْنِ

474- [وَلِسَاناً وَشَفَتَيْنِ]البلد:9. ليذكرَ اللهَ .. ويَشهدَ شهادَةَ الحقِّ .. ويُحسنَ التَّواصُلَ مع محيطِه، والآخَرِين .. ومعَ ذلك كثيرٌ مِن الناسِ يُعطِّلون هذه الوظائف .. ويَستغلُّون هذه النِّعمَة ـ نعمة اللسَّانِ والشَّفَتين ـ في غيرِ ما خُلِقَت له!

* * * * *

وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ

475- [وَهَدَيْنَاهُ]؛ هَدَينا الإنسانَ هِدايةَ بيَانٍ وليسَ هِدايةَ توفيقٍ وإلزَامٍ؛ لِتبقى فرصَةٌ للاختيارِ، الذي عليه مَناطُ التَّكليفِ، والمحاسَبةِ، والمسَاءلَةِ، [النَّجْدَيْنِ]البلد:10. طريقَ الخيرِ، وطريقَ الشَّرِّ، طريقَ الحقِّ، وطريقَ الباطِلِ؛ فكلُّ خيرٍ يُقَرِّبُ الإنسَانَ إلى اللهِ تعالى، وإلى جنَّتِه، قد بيَّنَه اللهُ تعالى في كِتابِه، وفي سُنَّةِ رسولِه صلى الله عليه وسلم، وأمَرَ به، وكُلُّ شَرٍّ يُبَعِّدُ عن اللهِ تعالى، وعن جَنَّتِه، ويُقَرِّبُ إلى نارِ جهنَّم فقد بيَّنَه اللهُ تعالى في كِتَابِه، وفي سُنَّةِ رسولِه صلى الله عليه وسلم، ونَهى عنه .. فلَمْ يحوجْ عِبادَه إلى أن يَلتَمِسُوا الخيرَ أو الشَّرَّ، الحَقَّ أو الباطِلَ من غيرِ مَنهجِه ودِينِه .. وعليه فأيُّما خَيرٍ ليس في دينِ اللهِ، فهو ليسَ بخيرٍ، وأيُّما شَرٍّ ليس في دينِ اللهِ، فهو ليسَ بشرٍّ .. وتَوَاطُؤ أكثر النَّاسِ على خِلافِ ذَلك، لا يُحيلُ الخيرَ شَرّاً، ولا الشرَّ خيراً.

* * * * *

فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ

476- [فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ]البلد:11. وحتى ينجحَ في اقتحام العقبة التي في النّار، لا بدّ من أن ينجَحَ في اقتحامِ العقبةِ التي في النَّفس؛ عَقبةُ التردّدِ، والشّحّ، والخوفِ من الإنفاقِ خشيةَ الفَقْرِ، والتّسويفِ .. فإن تجاوزَها، تجاوزَ تلك العقبة التي في النّار.

* * * * *

أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ

477- [أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ]البلد:14. كلما اشتدَّت الحاجَةُ للطعَامِ .. واشتدَّت المجاعَةُ .. كان الإطعامُ أفضَل، وأجرُه أعظم وأكثر .. فَلا يَستوي مَن يُنفقُ في العُسْرِ، وفي مجَاعَةٍ .. ويَتقاسَمُ معَ الجائعينَ رغيفَ خُبزه .. ومَن يُنفقُ في اليُسْرِ، والناسُ في غِنَى واكتفَاءٍ .. لا يَستويان مَثَلاً، ولا أجْرَاً!

* * * * *

سورة الشمس

قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا

478- [قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا]؛ قد فَازَ مَن زَكَّى نفْسَهُ، ونَمَّاهَا بالعِلمِ النَّافعِ، وطَهَّرَهَا مِن الخَطَايَا والذُّنُوبِ، وحمَلَها على طاعَةِ اللهِ، وطاعَةِ رسُولِه صلى الله عليه وسلم، [وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا]الشمس:9-10. وقد خَسِرَ مَن غمَسَ وأَقحَمَ نَفْسَه في الجَّهلِ .. وفي الآثامِ والمعاصِي!

* * * * *

سورة الليل

فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى

479- [فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى]الليل:10. مِن عَلاماتِ الرِّضَا والتَّوفِيقِ أن تجدَ فعلَ الخيرِ مُيَسَّراً ومحبَّباً لك، ونَفْسَك تَتُوقُ لِفِعْلِه، ومن عَلاماتِ السخْطِ وانتفاءِ التَّوفيقِ أن تجدَ فِعلَ الشرِّ مُيَسَّراً لك، ونَفْسَكَ مَشدودةً ونَشِيطةً لِفِعْله، وفِعْلَ الخيرِ مُعَسَّراً عليكَ، ونَفْسَكَ نافِرةً مِنه!

* * * * *

سورة الضحى

وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى

480- [وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى]الضحى:5. فيُرْضِيه اللهُ تَعالى، فيأَذَن لَهُ أنْ يَشْفَعَ لِكُلِّ مَنْ مَاتَ مِن أمَّتِهِ على التَّوحِيدِ، لا يُشرِكُ باللهِ شَيئاً .. صلى الله عليه وسلم.

481- [وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى]الضحى:5. هذا الخِطَابُ وإن كانَ المعْنِي مِنه النبيّ محمد صلى الله عليه وسلم .. إلا أنَّه يَشملُ جميعَ المؤمنين الموحِّدين، فإنَّه تعالى يُعطِيهم يومَ القِيامةِ عَطاءً فيُرضِيهم جميعاً .. فلا تجدُ مِنهم مُتَسَخِّطاً .. فلتَقَرّ عَينُ أمَّةِ محمَّدٍ صلى الله عليه وسلم .. ولا يَظُنُّونَ بكثِيرِ الخَيرِ إلَّا خيراً.

* * * * *

فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ

482- [فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ]الضحى:9. اليَتيمُ يَتيمُ الأبِ، تَبْقَى صِفَةُ اليُتْمِ مُلازِمَةً له إلى سنِّ البُلُوغِ .. وهو مُسْتَضْعَفٌ مَكسُورُ الظَّهرِ والخاطِرِ من جهةِ فقْدِه لأبِيه؛ سَنَدُه في هذه الحياةِ الدُّنْيَا .. فَلا يجوزُ أنْ يُضَافَ إلى ضَعْفِهِ وكَسْرِ خَاطِرِه وظَهْرِه قَهْرُ

مَن يتعَامَل معَه، ويتولَّى أمرَه .. أيَّاً كان دينُ اليتيمِ، وكان انتماؤه ومَنشَأُه .. فلا يُقْهَر مِن جِهَةِ التَّنَمُّر والاعتدَاءِ النَّفْسِي عليه .. أوْ مِن جهةِ الاعتداءِ الجسَدِي عليه .. أو مِن جهةِ حَقِّه في التربيةِ والتَّعليم، والعَيْشِ الكَرِيم .. أو مِن جهَةِ الاعتداءِ على مالِه؛ سواءٌ كان هذا المالُ مَتروكاً له من جِهةِ الإرثِ .. أو كانَ مخصَّصاً ومقطُوعَاً له من جِهةِ المتبرِّعِين المتطوِّعِين .. الاقترابُ مِن مالِه بالحرَامِ مِن أكبرِ الخَطَايَا والذُّنُوب التي يحَاسَب عليها المرءُ يوم القِيامَةِ .. فلا يجوزُ أن يُقهَر ويُهضَمَ حَقُّه في أيِّ جهةٍ من الجهَاتِ والجوانِبِ الآنفةِ الذِّكرِ أعْلَاه.

* * * * *

وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ

483- [وَأَمَّا السَّائِلَ]؛ الذي يَسألُ لدفعِ كَربٍ، أو هَمٍّ، أو جُوعٍ، أو حاجَةٍ، أو لقضاءِ مَنفَعةٍ، وقد تكونُ ماديَّةً، وقد تكونُ معنويَّةً، ولها علاقةٌ بالجوانبِ الفقهيَّةِ، والنفسيَّةِ، والاجتماعيَّةِ .. فالمرادُ من السائلِ في الآيةِ الكريمةِ، أعَمُّ بكثيرٍ من أن تُحصَر في السائلِ الذي يمدُّ يدَه، أو يقرَعُ الأبوابَ؛ يَسألُ لقيمات يَردُّ بها جوعَه، [فَلَا تَنْهَرْ]الضحى:10. فَلَا تَزْجُر .. إمَّا أن تجيبَهُ إلى سؤالِه بتواضعٍ، من غَير مَنٍّ ولا أذَى .. وإمَّا أن تردَّه، وتعتذِرَ له بلُطفٍ، ورفقٍ .. وليسَ وراءَ ذلك خيارٌ آخَر!

* * * * *

وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ

484- [وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ]الضحى:11. لا تُخْفِ نِعَمَ اللهِ عليك .. فتَظْهَر وكَأَنَّكَ تَشْكُو اللهَ إلى عِبَادِه .. وإنَّما أظْهِرْ نِعَمَ اللهِ عليك التي تُظْهِر عَظِيْمَ فَضْلِ اللهِ عليك .. والتي تَسْتَوْجِب مِنك، ومِن غَيرِك، شُكْرَ اللهِ.

485- [وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ]الضحى:11. إذَا نزَلَ بِكَ بَلاءٌ .. لَا تَتَسَخَّطْ .. ولَا تَشْكُ اللهَ إلى عِبادِهِ .. ولا تَنْسَ نِعَمَ اللهِ عليك التي لَا تُحْصَى .. فإن سلَبَك نعمةً ـ لحِكْمَةِ التَّمْحِيصِ والبَلاءِ ـ فتَذَكَّرْ، واذْكُرْ أنَّ اللهَ تعالى قَد أبْقَى لَكَ مِن النعَمِ الكَثِيرَ، الكثِير .. عسَى أن يحمِلَكَ ذلك على الصَّبْرِ، والشُّكْرِ، والرِّضَا .. وإن كنتَ شَاكِياً فاشْكُو أمْرَكَ إلى اللهِ .. ارفَعْ قضيَّتَك إلى اللهِ .. فاللهُ يَسمَعُ ويَرَى .. ويحبُّ مِنكَ أن ترفَعَ شَكْواكَ إليه .. كما أنَّه تعَالى يَغَارُ عليك إذا انصرَفْت عنه إلى غيرِه .. أو شكوتَه إلى غَيرِه .. فلَا أحَدَ أغْيَرُ مِن اللهِ!

* * * * *

سورة الشرح

وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ

486- [وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ]الشرح:4. فالذي يَرفَعُ، ويَخفضُ هو اللهُ تعالى وحدَه .. فكم مِن طَالبٍ للشهرةِ والرِّفْعةِ، والذِّكْرِ بين النّاسِ .. يُنفِقُ في سبيلِ ذلك الغَالي والنَّفيسَ .. يَضَعه اللهُ .. ويُطفِئ ذِكْرَه، واسمَه .. وكم مِن خامِلِ الذِّكْرِ، غير معرُوفٍ ولا مَشْهُورٍ، لا يأبَه إن ذُكِرَ، أو لم يُذْكَر .. يَرفَعُه اللهُ، ويُعْلِي ذِكْرَهُ، وقَدْرَهُ، ويُشْهِرُ اسمَه .. لا يجوزُ لك ابتدَاءً أن تَطلُبَ وتَستَشرفَ الذِّكْرَ، ومواردَ ودرُوبَ الشّهرَةِ، وصَرْفَ وجُوهِ النَّاسِ إليك .. فهذا مَدعاةٌ للرياءِ، ومِمَّا يُضعِفُ الإخلاصَ .. واللهُ تعالى أحياناً قَد يَبتلي عبدَه المؤمن بخمولِ الذِّكْرِ .. ويَصرفُ عنه مَظَانَّ الشهرَةِ .. فإن نجحَ في الاختبارِ .. رفَعَ ذِكْرَهُ، وأعْلَى قَدْرَهُ، ووضعَ له القبولَ في السماءِ والأرضِ.

487- [وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ]الشرح:4. جعَلَ اللهُ طاعَةَ نبيِّهِ محمَّدٍ صلى الله عليه وسلم مِن طاعَتِه، ومَعصيَتَهُ مِن مَعصيَتِه، ومحبَّتَهُ مِن محبَّتِه .. وجعلَ الإيمانَ بِهِ،

وتَصديقَه، ومُتَابعَتَه شَرطاً لدخولِ الإسلامِ، وللنَّجاةِ يومَ القِيامَةِ .. وقَرَنَ ذِكرَهُ معَ ذِكْرِهِ، في الأذَانِ، والإقامَةِ، والتَّشَهدِ في الصَّلاةِ، وغير ذلك من المواضع .. وخَصَّه بالذِّكْرِ في كثيرٍ من السورِ والآياتِ القُرآنيَّةِ، والتي تُتْلَى إلى قيامِ السَّاعَةِ .. وأمَرَ بالصَّلاةِ عليه، وبخاصَّة عندما يُذكَر، وأثنى خَيراً على مَن يُصلِّي عليه، وتَوعَّدَ بالوعيدِ الشَّديدِ على كلِّ مَن يُذكَر أمَامَه، ثم لم يُصلِّ عليه .. هذا في الدُّنيا، أما في الآخِرةِ؛ فيُعطَى الشَّفاعَةَ في مواضع لا تُعطَى الشَّفَاعةُ فيها لغيرِه، ويُعطَى المقَامَ المحمُود، والكوثر .. ويُعطَى مِن المنازِلِ والكراماتِ العظيمَةِ حتى يَرضَى .. صلواتُ الله وسلامُه عليه.

* * * * *

فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً . إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً

488- [فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً . إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً]الشرح:6. مَا مِن عُسْرٍ إلَّا ويُطَارِدُه يُسْرَان؛ حتَّى لو دَخَلَ جُحْراً، دَخَلَا خَلْفَه .. وأنَّى لعُسْرٍ أن يغلِبَ يُسْرَيْن أو أن يَفْلتَ مِن يُسْرَين .. قالَ ابنُ مسعود رضي الله عنه:" لو كانَ العُسْرُ في جُحرٍ لدَخَلَ عليه اليُسْرُ حتَّى يُخْرِجَه ".

* * * * *

فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ

489- [فَإِذَا فَرَغْتَ]؛ مِن عمَلِك، وواجِبَاتِك اليومِيَّة، [فَانصَبْ]الشرح:7. فاجتَهِدْ في العِبادَةِ .. فَلا أضَرَّ على الإنسانِ مِن أن يجتمعَ عليه فَراغٌ، وخُمولٌ، وكَسَلٌ .. وفي الحَدِيث:" لا تَزُولُ قَدَمَا ابنِ آدمَ يومَ القيامةِ مِن عندِ ربِّه، حتى يُسْأَلَ عن خَمْسٍ: عن عُمُرِه فِيمَ أَفْنَاه ..."؟!

490- [فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ]الشرح:7. المهَامُّ والواجباتُ أكثَرُ بكثيرٍ من الأوقاتِ .. فإن حصَلَ لك فَراغٌ؛ فأسْرِعْ في اغتنامِه بمَا ينفَعُك في دِينِك ودُنيَاك .. إذْ سِرْعان ما يَنقَضِي هذا الفرَاغ، وتتراكَمُ عليك المشاغِلُ والمهَام مِن جَدِيدٍ .. فتندَم على ساعاتِ الفرَاغِ التي قَضيتَها في غيرِ ما يَنفَع .. ولاتَ حِين مَنْدم .. فالأمورُ دُوَلٌ، وقَلَّابَةٌ؛ سَريعةُ الانقلابِ، والتَّغيرِ، والتَّحولِ، لا تَعرفُ الثبَاتَ على حَالٍ .. والعَاقِلُ مَن يَأخذُ مِن قوتِه لمراحِلِ ضَعْفِه .. ومِن فراغِه إلى شغلِه .. ويَأخذُ مِن صَيفِه إلى فصْلِ شِتَائِه، كما في الحديث:" اغْتَنِمْ خَمْسًا قَبلَ خَمْسٍ: شَبابَكَ قبلَ هِرَمِكَ، وصِحَّتَكَ قبلَ سَقَمِكَ، وغِناكَ قبلَ فَقْرِكَ، وفَرَاغَكَ قبلَ شُغْلِكَ، وحَياتَكَ قبلَ مَوْتِكَ ".

* * * * *

سورة العلق

اقْرَأْ

491- [اقْرَأْ]العلق:1. أوَّلُ أمرٍ نَزلَ .. وأولُ كلمةٍ نزلَت مِن السماءِ على قلبِ سيّدِ الخلقِ صلواتُ الله وسلامه عليه .. وعلى أمَّتِه من بَعدِه .. كلمة [اقْرَأْ]؛ لبيَانِ أهميَّةِ القِراءةِ في طَلبِ العُلومِ والمعارِفِ .. وبناءِ الأمَمِ، والشعُوبِ، ومجتمعاتِهم .. وبناءِ النَّفْسِ بناءً سَويًّا .. الجسَدُ غِذاؤهُ الطَّعامُ والشَّرابُ .. والروحُ والعقلُ غذاؤهما القِراءة، وعن طريقِ القِراءةِ .. وكما أن الجسدَ لا يقْوَى على الاستمرارِ في الحياةِ من غيرِ طعامٍ ولا شَرابٍ .. كذلك الروحُ والعقلُ لا يمكنُ أن يُكتبَ لهما الاستمرارُ، ولا أداء وظيفتهما في هذه الحياةِ بطريقةٍ صحيحةٍ مِن غيرِ القِراءةِ .. فإنْ لم تَكُنْ قارِئاً، اجتهد أن تتدربَ وتكتَسبَ مهارَةَ القِراءَةِ .. وأن تحبَّ القِراءةَ .. فإن لم تَقْدِرْ، فليُقرأ عليك .. وخَيرُ ما تَقْرأ، ويُقرأ عليك كَلامُ الله.

492- [اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ]العلق:1. القِراءةُ على أهميتها في بنَاءِ النَّفسِ، والعَقْلِ، والفِكرِ، والرُّوح .. إلَّا أنَّها سِلاحٌ ذُو حَدّين، أحَدُهما خَيرٌ، والآخَرُ شَرٌّ، قد تخرجُ إنساناً متَحضّرَاً، راقِياً، مؤمناً، وقد تخرجُ إنسَاناً ضَالّاً، تَائِهاً، كافِراً، بحسبِ المَعِين الذي يَعتكِفُ عليه القَارِئُ، ويَتَلَقَّى مِنه القِراءَةَ .. لِذَا لم يَتنزَّل الأمرُ الإلهي بالقرَاءةِ مجرَّداً وحَسب مِن دُونِ أن يدلَّنا ويرشدَنا إلى ماذا نَقْرَأ، فقال تعالى:[اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ]العلق:1. وحتى تكونَ القِراءةُ باسمِ اللهِ، لَا بُدَّ من أن تكونَ القِراءةُ نافِعَةً وفقَ مُرَادِ اللهِ، ومُرَادِ رسُولِه صلى الله عليه وسلم.

* * * * *

وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ

493- [وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ]العلق:3. اللهُ هو الأَكْرَمُ، لا يُوازِيه ولا يُماثِلُه كَرِيمٌ، الذي له الكَرَمُ كله، والذي مِن كرمِه تَقتَاتُ المخلُوقات كلها لمعَاشِها .. ويتكارَمُ بعضُهم على بَعضٍ .. وسعَ كرَمُه كلَّ شيءٍ، الإنسَ والجنَّ .. الكافرَ مِنهم والمؤمنَ .. العَاصِي والتَّقِي .. والدَّوابَّ، والأشجارَ، والنباتَات .. وكلَّ شَيءٍ .. كُلٌّ له عَطاؤُه وقِسمَتُه مِن كَرَمِ اللهِ وجُودِهِ، وعطَائِهِ .. سُبحَانه وتعَالى.

* * * * *

كَلَّا إِنَّ الْإِنسَانَ لَيَطْغَى . أَن رَّآهُ اسْتَغْنَى

494- [كَلَّا إِنَّ الْإِنسَانَ]؛ حَقّاً وصِدْقاً إنَّ الإنسانَ الكافرَ باللهِ، وبقيم ومبَادِئ الإيمانِ .. الشَّاردِ عن طَاعةِ اللهِ، وطاعةِ أنبيائه ورسُلِه، [لَيَطْغَى . أَن رَّآهُ اسْتَغْنَى]؛ فإن

الغِنَى الفاحش يحملُه على مَزيدٍ مِن الطُّغيانِ، والغَفْلَةِ، والنُّسيانِ، وعلى التَّعالِي، وظُلمِ الخلْقِ، والاستخفافِ بالحقِّ .. ونسيان العواقِبِ، والمآلَات التي سيؤُولُ إليها، [إِنَّ إِلَى رَبِّكَ الرُّجْعَى]العلق:6-8. فالجميعُ سيموتُ ويَرجعُ إلى اللهِ تعالى؛ ليُحاسِبهم على ما كان مِنهم مِن عمَلٍ، ومَا كان مِنهم من طُغيانٍ، وظُلمٍ .. وإنَّه لسائلُهم عن أموالِهم التي جمعُوها؛ كيف اكتَسَبوها، وفيمَ أنفَقُوها .. والآياتُ وإن قِيلت في الإنسانِ الكافرِ إلا أنَّها تنطوي على تحذيرٍ شَديدٍ لأهلِ القِبلةِ والإيمانِ مِن أن يسلكُوا مَسْلك الطغاةِ الكافِرين .. وأن يَنتبهُوا أن لا يحملهم الغِنَى الفاحِشُ، وانشغالهم بجمعِ الأموالِ ـ بما يفوقُ بكثيرٍ عن حاجياتِهم ـ على الطُّغيانِ، والظلمِ، والكِبرِ، والغفْلَةِ عن الطاعَةِ والعِبادَةِ .. وعلى التَّعالِي على الخلْقِ، ونُسيانِ مَا للفقراءِ والمسَاكِين، والمحرومِين مِن حَقٍّ معلومٍ في أموالِهم .. فقد جرَت العادَةُ في الذين يَنشغلُون بجمعِ الأموالِ وتكثيرِها بما يَفوقُ حاجياتِهم بكثيرٍ .. أن قَليلاً منهم مَن يَسْلمُ له دِينُه!

* * * * *

أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى

495- [أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى]العلق:14. لِكُلِّ مَن تَحْملُهُ نفسه على الظُّلمِ، والبَغْيِ على الظلم، والفُسُوقِ، والعصيَانِ .. أَلَمْ تَعْلَم بأنَّ اللهَ تَعالى يَرَاك .. لا يَخفَى عليه شيءٌ مِن حالِك .. وأنَّهُ قادِرٌ عليك .. فإن كنْتَ لا تَعْلم، فاعْلَمْ .. وإن كُنتَ تَعْلَمُ كيفَ تَتجرَّأ على الظُّلمِ، والبَغْيِ، والعصْيَانِ، وأنتَ تَعْلمُ أنَّ اللهَ يَرَاك؟!

* * * * *

كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ

496- [كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ]العلق:19. كل مَن يَنْهاكَ ـ أيّاً كان موقعُه الاجتماعِي أو السِّياسِي ـ عَن طاعةِ اللهِ، ورسُولِه صلى الله عليه وسلم .. أو يَأمرُك بمعصيةِ اللهِ، ورسولِه صلى الله عليه وسلم .. فَلا تُطِعْهُ .. ولَا تَلتفِتْ إليه .. لا طاعَةَ لمخلوقٍ في مَعْصِيةِ الخالِقِ .. وقَابِلْ أمرَهُ ونَهيَه لك بمزيدٍ مِن الصَّلاةِ، ومَزيدٍ مِن الاقْترابِ مِن اللهِ تعالى، بطاعَتِه، وعِبادَتِه، وتَوحِيدِه .. واللهُ تعالى يحفظُكَ، ويَعْصِمُكَ مِن الظَّالمِين.

* * * * *

سورة القدر

لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ

497- [لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ]القدر:3. ليسَ فيها ليلَةُ القَدْرِ .. والعَمَلُ الصَّالحُ فِيها لا يُساوي العمَلَ الصَّالحَ في ألفِ شَهرٍ، وحَسْب، كما يُصوّرُ البعضُ .. بل هي خيرٌ من ألفِ شهرٍ .. بكم هي خيرٌ من ألفِ شَهرٍ .. بمائة شهرٍ زيادَة أم بمائتَي شهرٍ أم أكثر ..؟! غيرُ مَعلُوم لنا .. لا يُوجدُ رقمٌ محدَّدٌ تَقِفُ عنده الخيريَّةُ .. قد يكونُ في علمِ اللهِ تعالى، أنَّها خيرٌ مِن ذلك بكثيرٍ، واللهُ تعالى أعلم.

* * * * *

سورة البينة

وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاء

498- [وَمَا أُمِرُوا]؛ لم يُؤمَرُوا بِشَيءٍ [إِلَّا]؛ أدَاةُ استِثْنَاءٍ جاءت بعدَ نَفْي؛ تُفيدُ الحصْرَ والقَصْرَ، [لِيَعْبُدُوا اللهَ]؛ عِبادَةً جامِعةً لجميع ما يُحبهُ اللهُ تعالى من الأقوالِ والأعمالِ الظَّاهِرةِ والباطِنةِ، والشَّامِلةِ لجميع المساحَةِ الزَّمانيَّةِ والمكانيَّةِ التي يَعِيشُها الإنْسانُ، [مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ]؛ مُخلصين للهِ العِبادةِ والتَّوجُّهِ، لا يُشركُون به شَيئاً، [حُنَفَاء]؛

مُسلمين موحدين بُرآءَ من الشِّرْكِ؛ على مِلَّةِ التَّوحيدِ؛ مِلةِ إبراهيم، ومحمد، وموسى، وعيسى، وجَميعِ الأنبياءِ والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم، [وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ]؛ خُصَّتَا من العِبادَة العَامّةِ الجامِعةِ بالذِّكْرِ؛ لبيانِ أهميَّةِ هذين الركنَينِ العظِيمَيْنِ في دينِ اللهِ، [وَذَلِكَ]؛ وهذا هو، وليس غيره، [دِينُ الْقَيِّمَةِ]البينة:5. الدينُ الحقُّ المستقيمُ، الذي يجبُ اتّباعُه.

499- [وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ]البينة:5. نَوَّعَ اللهُ تعالى في العِبَادَات؛ لِغَايَاتٍ عِدّةٍ: منها، لأنَّ اللهَ تعالى يحبُّ أن يُعبَدَ من جميعِ مَا يَدخُل في مَعْنَى ومُسَمَّى العِبَادَةِ؛ مِن جهَةِ الصَّلاةِ، والصَّوْمِ، والحجِّ، والعُمْرَةِ، والزَّكاةِ، والجهَادِ، وطَلَبِ العِلمِ، والأمْرِ بالمعرُوفِ والنَّهي عن المنكَرِ، والذِّكْرِ، والدُّعَاءِ، وتِلاوَةِ القُرآنِ، وغيرها مِن صوَرِ العِبادَات القَلْبيَّةِ .. ومنها، حتَّى لَا يَسأمُ الإنسَانُ العِبَادَةِ؛ فإذَا مَلَّ نوعاً من أنوَاعِ العِبَادَةِ، انصرفَ إلى أنوَاعٍ أُخْرَى تَدخُلُ في معنَى ومُسَمَّى العِبَادَةِ .. ومنها، حتَّى لَا يَشْكُو الإنسانُ مِن فَراغٍ مِن غَير عِبادَةٍ؛ فلو اقتَصرَت العِبَادَةُ على نَوعٍ واحِدٍ مِن أنواعِ العبادَةِ كالصَّلاةِ مَثَلاً، لربما وقَعَ في فراغٍ مِن غَير عِبادَةٍ .. لذلك نجدُ أنَّ العِبادَةَ في الإسلامِ مِن التنَوُّعِ بحيث تَشملُ جميعَ المساحَةِ الزَّمَانيَّةِ والمكانيَّةِ التي يَعيشُها الإنسانُ.

* * * * *

سورة الزلزلة

فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ . وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ

500- [فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ . وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ]الزلزلة:7-8. دِقَّةٌ عَالِيَةٌ في الرَّقَابَةِ، والإحصَاءِ، والمحَاسَبَةِ .. والعَدْلِ في المُحَاسَبَةِ .. لا يَفُوتُها، ولا يَخفَى عليهَا شَيءٌ .. مهْمَا كثرَ عَدَد النَّاسِ، وتَعدَّدَت أمصَارُهُم، وتنوَّعَت

أجنَاسُهم ولغاتُهم .. لَا يخْفَى على اللهِ شَيءٌ مِن أعمَالِهم الظَّاهرَةِ والبَاطِنَةِ .. حتَّى الذَّرَّة مِن أعمالِهم ـ أو أصْغَر مِن ذلك ـ فاللهُ يَعلَمُه، ويُحصيه، ويُحَاسِبُ عليه؛ إن كانَ خَيراً فخَير وإن كانَ شراً فَشَرٌّ .. وقولُه تَعالى:[فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ]؛ فيه تَرغِيبٌ وإغْرَاءٌ لفعلِ الخَيرِ، وبَذلِ المعرُوفِ مهْمَا كانَ قَليلاً، أو صَغِيراً .. إذْ لَا يَنبغِي للمرءِ أن يبخَس معرُوفَه، فيَسْتَقِلَّهُ، ويمتنعُ عن بذْلِه؛ فرُبَّ معروفٍ لَا يَزِنُ ذَرَّةً يُوافقُ القُبولَ والرِّضَا في السَّماءِ؛ فينفَعُ اللهُ به بما يَزِنُ جِبَالاً من الخير .. وقوله تعالى:[وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ]؛ فيه تحذيرٌ وتَرهيبٌ مِن اقتحَامِ الذُّنُوبِ مَهمَا كانت صَغيرَةً .. فالاستهانَةُ والاستخفَافُ بصغَائِرِ الذُّنُوبِ .. والاسترْسَالِ بِها .. معَ أمْنِ العُقُوبَةِ عليها .. قَد تَرقَى بمجموعِها إلى أن تُصبحَ مِن كبَائِرِ الذُّنُوبِ .. فالعَاقِلُ لا يَنظرُ إلى صِغَرِ الذَّنْبِ .. وإنما يَنظرُ إلى مَن عَصَى بمواقَعَتِه في صغَائِرِ الذُّنُوبِ .. ولا يَأمَنُ العقوبَةَ إلا مُتَألٍّ على اللهِ، مَغْرُور!

501- مِيزَانُ السَّمَاءِ تَبِيْنُ فِيهِ الذَّرَّةُ ـ ومَا دُونَ ذلك! ـ مِن الخَيرِ أو الشَّرِّ، [فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ . وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ]الزلزلة:7-8.

502- [فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ . وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ]الزلزلة:7-8. كانَ مِن السَّلَفِ مَن يقُول:" إنَّ هذا الإحصَاء شَدِيد .. فلَا تَحقِرَنَّ شَيئاً مِن الشَّرِّ أن تَتَّقيَه، ولَا شيئاً مِن الخيرِ أن تفعَلَه ".

* * * * *

سورة العاديات

إِنَّ الْإِنسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ

503- [إِنَّ الْإِنسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ]العاديات:6. بَجُحُودٍ، يَذكرُ المصائِبَ على قِلّتِها، ويَنْسى النِّعَمَ على كِثْرَتِها!

* * * * *

سورة القارعة

وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ

504- تأمّلُوا، من أجلِ تَفادِي الفيروس كُورُونا ـ وهو هو من حيث الضَّآلة والشَّأن ـ يفرُّ المرءُ من أخِيه، وأُمّه وأبِيه، وصاحِبَتِه وبَنِيه .. والجميعُ يقولُ للجميع: لا لِقَاءَ، ولا مِسَاس .. فما يكونُ الحالُ والموقِفُ يومَ الحشْرِ .. يومَ تجيء القارِعَةُ،[وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ . يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ]القارعة:3-4. ينتشرون في أرضِ المحشَرِ انتِشَارَ الجَرَادِ، لكلِّ امرئٍ شَأْنٌ يُغنِيه، ويُشْغِلُه، ويهمُّه ...؟!

* * * * *

فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ

505- [فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ]؛ فرجحَت حسنَاتُه على سيئاتِه، [فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ]؛ مَرْضِيَّةٍ هَنِيئةٍ في الجنَّةِ، التي فيها مِن النَّعيمِ المقيمِ مَا لَا عَينٌ رَأَتْ ولا أُذُنٌ سمعَتْ، ولَا خطَرَ على قلْبِ بَشَرٍ، [وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ]؛ فرجحَت سيئاتُه على حسَناتِه، [فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ]القارعة:6-9. يَهْوِي على رَأْسِه في نارِ جهنَّم؛ ومَا أدراكَ ما نَار جهنَّم؛ فيها مِن العذابِ المُقِيمِ الأليمِ مَا لا عينٌ رَأت، ولا أُذُنٌ سمعَت، ولَا خطرَ على

قلبِ بَشرٍ .. وسُميَت جهنَّمُ بأُمِّه؛ لأنه يأْوِي ويَرجعُ إليها، فلَا أُمّ ولا حاضِن، ولا مَأوَى له يَومئذٍ إلا جهنَّم!

* * * * *

سورة التكاثر

أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ

506- [أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ]التكاثر:1. شَغَلَكُم التَّكَاثُرُ مِن متَاعِ الدُّنيا وزِينَتِها عمَّا يَنتظرُكُم يومَ القِيامةِ مِن وَعْدٍ ووعِيدٍ .. وعمَّا يجبُ أن تَعدُّوه مِن الطَّاعاتِ لليومِ الآخِرِ، يومَ تَشْتَدُّ فيهِ الحَسَراتِ على سَاعاتِ التَّفْريطِ، والتَّقْصِيرِ .. والتَّكاثُرُ مِن متَاعِ الدُّنيا وزِينَتِها لا يكونُ إلا وكانَ معه أمرَان: أولهما الانتِقَاصُ مِن الطَّاعَاتِ والعَمَلِ للآخِرَةِ .. ثانِيهمَا، الانتِقَاصُ مِن حُريَّةِ المُكْثِرِ، على قَدْرِ مَا جمَعَ وأكثَرَ مِن متَاعِ الدُّنيا وزِينتِها، وفي الحديث:" فإنَّ مَا قَلَّ وكَفَى خيرٌ ممَّا كَثُرَ وألْهَى ".

507- [أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ]التكاثر:1. عَنِ الانْطِلاقِ إلى اللهِ .. وكُلَّمَا كَثُرَت العَوَالِقُ، ثَاقَلَت الهِمَمُ في الانطِلَاقِ إلى اللهِ!

* * * * *

ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ

508- [ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ]التكاثر:8. عن النَّبيِّ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وسلم، وكُلِّ مَا جَاءَ به مِن عِندِ رَبِّه ...؟!

509- [ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ]التكاثر:8. هَلْ شُكِرَ، أَمْ كُفِرَ .. فأمَّا مَن شَكَرَ النَّعِيمَ؛ فأحْسَنَ الشُّكرَ، فلا خَوفَ ولَا مَأخَذَ عليه .. وإنما المأخَذُ، كُلّ المأخَذِ على مَن كَفَرَ النَّعيمَ، ولَمْ يَشْكُرْهُ!

* * * * *

سورة العصر

وَتَوَاصَوْا بِالحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ

510- [وَتَوَاصَوْا بِالحَقِّ] ؛ الكِتَابُ والسُّنَّة، [وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ]العصر:3. على الكِتَابِ والسُّنَّةِ.

511- [وَالْعَصْرِ . إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ . إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ]العصر:1-3.

512- [وَالْعَصْرِ]؛ يُقْسِم الربُّ سبحانه بالدَّهرِ، تكريماً وتشريفاً للزَّمانِ، لأنه مستودَعُ الأعمالِ، والأخبارِ، والعِبَرِ، إليه يُردُّ الربحُ والخسَارَةُ، فالخاسِرُ مَن خسرَ زمانَه، ووقتَه، وباعَه للشيطانِ بثمنٍ بخْسٍ، وأفرغَه من الأعمالِ الصَّالحةِ، ومِن الغاية العظيمةِ التي خُلِقَ لأجلِها .. وأملأه بالسيئاتِ، والأعمالِ الطَّالحةِ .. بينما الرابحُ هو الذي يملأُ زمانَه ووقتَه بالأعمالِ الصَّالحةِ، التي تنفعُه والآخرين في الدِّينِ، والدنيا، والآخِرَة .. ويحققُ الغايةَ من وجُودِه، وهي تحقيقُ العبادَةِ والتَّوحيد.

513- [وَالْعَصْرِ]؛ الوقتُ كالكُوب يتَّسعُ لأعمالِ زمانِك المقدَّر وحَسْب؛ وأنت وما تُملئهُ؛ فإمَّا أن تملئَه بالخيرِ والحسنَاتِ، وبما ينفعُكَ في دينِك ودُنياكَ، وإما أن تملئَهُ بالشرِّ والسيئاتِ، وبما يضرُّكَ في دينِك ودُنياك .. فانظرْ إلى كوبِك بما تملئُه، وبما تُلقِي فيه .. وما تدَّخره لآخِرَتِك!

514- [وَالْعَصْرِ]؛ أنتَ كما تتألَّفُ في جسدَكَ مِن جملةٍ من الأعضاءِ .. فإنَّك تتألفُ من جملةٍ من السنين والأيامِ، والساعَات .. وأنت تُساوِي زمانَك المكتوب والمقَدَّر .. طالَ أم قَصُر .. لن تتعدَّاه دقيقةً واحدة .. وفي الحديثِ، أنَّ رجلًا قالَ : يا رسولَ اللَّهِ أيُّ النَّاسِ خيرٌ؟ قال: مَن طَالَ عمرُهُ ، وحَسُنَ عملُهُ ، قالَ: فأيُّ النَّاسِ شرٌّ؟ قالَ: مَن طالَ عمرُهُ، وسَاءَ عَمَلُهُ ". فالوقتُ ماضٍ ـ بكَ ومِن دُونِك ـ لا ينتظر أحَداً،

ولَا يَستأذِنُه .. فاحرصْ على أن لا تهدُر وقتَكَ إلَّا فيما ينفعُك في دينِك ودُنياك .. إلَّا فِيما يَسرك يومَ تبيضُّ وجُوهٌ وتسودُّ وجُوه .. ولو طُلِب مِنك أن تبيعَ عضواً من أعضاءِ جسَدِك لغاليتَ في السِّعر، ولربما لو مَلأوا لك الأرضَ ذَهباً لما وافقتَ .. بينمَا لو طُلِب مِنك أن تبيعَ سَنَةً من عمرِك مُقابل دراهِمَ مَعدُودَاتٍ لسارَعْتَ في البيعِ والموافقَةِ .. علماً أن هَذا بضْعُ مِنك، وهذا بِضعٌ مِنك .. وكان من السَّلفِ مَن يقول:" تَعلمتُ معنَى سُورةِ العصْرِ مِن بائعِ الثَّلجِ؛ كان يَصيحُ ويقُول: ارحمُوا مَن يَذُوبُ رأسُ مَالِه، ارحمُوا مَن يَذُوبُ رَأسُ مَالِه "!

515- [وَالْعَصْرِ]؛ أنتَ ـ بجسَدِك، ووقتِك، وبكلِّ مَا تملك ـ عبدٌ مملُوكٌ مخلُوقٌ للهِ .. لَسْت حُراً في أن تتصرَّفَ بوقتِكَ، ونفْسِك كيفَمَا تشاءُ بعيداً عن هَدي اللهِ تعالى .. وعن أمْرِه، ونهيِه .. فكَما ليسَ لك الحقُّ في أن تتصرَّفَ بجسَدِك، ومالِك إلَا وفقَ مشيئةِ اللهِ تعالى .. كذلك ليسَ لك الحقُّ في أن تتصرَّفَ بوقتِك إلَّا وفقَ مشيئةِ اللهِ، وحيثُ أمرَكَ اللهُ .. كما قال تعالى:[قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ]الأنعام:162. لَا يكفِي أن تكونَ صَلاتُك، ونُسُكُك للهِ ربِّ العالمين، إذْ لا بدَّ مع ذلك أن تكونَ حياتُك كلها ـ لا تخرجُ مِنها دَقيقةٌ واحِدَة ـ إلى لحظَةِ موتِك [لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ]. وفي الحديثِ:" لَا تزولُ قدَما عَبدٍ حتى يُسألَ عن عمُرِه فيما أفناهُ ..". هل أفناهُ في طاعَةِ اللهِ، أم أفناهُ في معصيةِ الله؟! والمرءُ إذ يُسْألُ عن شيءٍ فإنَّه يُسألُ عن شيءٍ مُستأمن عليه لا يملِكُه على الحقيقَةِ، وليسَ له حقُّ التَّصرّفِ به كيفَمَا يَشَاء .. ومِن العبارَات الشِّرْكيَّة الدَّارِجةِ على ألسنةِ كثيرٍ مِن الناسِ، قولُ أحَدِهم: سَاعةٌ للهِ، وسَاعةٌ لغيرِه .. فهذا تعبيرٌ شركيٌّ خاطِئ؛ فالسَّاعاتُ كلها لله، بما في ذلك السَّاعَات التي تُصرَف لحقُوقِ النفسِ، وحقُوقِ الأهلِ، والناسِ .. فما دَامت تُصرَف وفقَ طاعَةِ الله، وطاعَةِ رسولِه صلى الله عليه وسلم، فهي كلُّها لله.

516- [وَالْعَصْرِ]؛ الدَّهرُ هو المساحةُ الزمانيَّة التي منَحَك اللهُ إيَّاها .. والتي تُجري فيها اختبارَك في هذهِ الحيَاة .. وهي مساحَةُ تَشريفٍ وتكريمٍ لا عيبَ فِيها ولا نُقْصَان .. وإنما العيبُ يضافُ إلى العامِلِ فيها، وإلى الأعمالِ الخاطئةِ التي تجري فِيها .. كما قال تعالى:[وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُوراً]الفرقان:62. لا عيبَ في الليلِ والنهارِ .. وإنما العيبُ فِيمَن لا يريدُ أن يستثمرَ الليلَ والنهارَ في الذِّكْرِ، والشُّكْرِ .. وقد جاءَ النهيُ عن سبِّ الدَّهرِ؛ فإن كنتَ ساخِطاً يا ابنَ آدَم، فاسخَطْ عملَكَ القَبيح .. ولا تسخَطْ الدهرَ .. فلا عيبَ يَنالُ الدهْرَ إلى من جهةِ أعمالِنا الخاطِئة، وأنَّه مستودَعٌ لها .. كما في الحديث:" لا يَسُبُّ أحَدُكُمُ الدَّهْرَ؛ فإنَّ اللَّهَ هو الدَّهْرُ "مسلم. وفي الحديث القدسي:" قالَ اللهُ عزَّ وجلَّ: يُؤذِيني ابنُ آدَمَ؛ يَقولُ: يا خَيْبةَ الدَّهْرِ! فلا يَقُولَنَّ أحَدُكم: يا خَيْبةَ الدَّهْرِ؛ فإنِّي أنا الدَّهْرُ، أُقَلِّبُ لَيْلَهُ ونَهارَهُ، فإذا شِئتُ قَبَضْتُهما "مسلم. أي أنَّ اللهَ تعالى هو الذي خلقَ الدهْرَ، وقدَّرَ فيه المقادِيرَ .. يقلِّبُ ليلَه ونَهارَه .. فالدهرُ سببٌ مَن سَبَّهُ سَبَّ المسبِّبَ والخالِقَ له .. وهذا لا ينبغي ولا يُجوز!

وقد صدَقَ الشاعرُ:

نَعيبُ زَمانَنا والعَيبُ فِينا ... وَما لِزَمانِنا عَيبٌ سِوَانا

ونَهجُو ذَا الزمانِ بِغَيرِ ذَنبٍ ... وَلَو نَطَقَ الزمَانُ لَنا هَجانَا

517- [إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ]؛ أل الجِنْسية في كلمةِ " الإنسان "؛ تُفيدُ العُمُومَ، والشمُولَ، والاستغرَاقَ؛ أي جميعُ الناسِ، على اختلافِ ألوانِهم، وألسنتِهم، وقوميَّاتِهم، وطبقاتِهم، ووظائفِهم، مِن قَبل، واليوم، وغَداً، وعلى مدَار الأزمنَةِ والعصُور هم في نُقصَانٍ، وهلَاكٍ، وضيَاع مُستمر، استمرارهم في الإعراضِ عن الحقِّ المنزَّلِ .. هم في خُسرٍ ونُقصَانٍ، وضياعٍ في أمورِ دينِهم، ودُنياهم، وآخرتهم .. ومَا مِن يومٍ يأتُون عليه إلا وهم في نُقصَانٍ عمَّا كانُوا عليه مِن قَبل .. واللهُ تعالى قد أقسَمَ بالعَصْرِ على هذا ..

وهذَا يَستدعي من الناسِ كل النَّاسِ أن يُعلنوا النَّفيرَ، وأن يقفُوا مع أنفُسِهم موقفَ جِدٍّ وتَساؤل، ومحاسَبَة .. وأن يدقُّوا ناقُوس الخَطَر .. يبحثُون عن المخرَجِ والسبيلِ مما هم فيه من خُسرَانٍ، وضَياعٍ، وانحدَارٍ نحو الهاويةِ لا يتوقَّف .. قبل فوَاتِ الأوَان، وقبلَ حلُول أوانِ النَّدَم، ولاتَ حِين مَنْدَم!

518- [إِلَّا]؛ أدَاةُ استثناءٍ جاءَت بعدَ عمُومٍ؛ تُفيدُ التَّخصيصَ، والحَصْرَ، والقَصْرَ .. أي أن الناسَ كلهم في خُسْرٍ، ونُقْصَانٍ، وضَيَاعٍ " إلَّا " .. مَا أجملها وما أبلغها مِن أدَاةٍ في هذا الموضع .. فهي بمثَابة مَنفَذٍ للنَّجَاةِ مِن ظُلمة ووحْشَةِ الطريقِ والحيَاةِ .. بمثابَةِ الأمَلِ والمنجَاةِ من الهلَكَةِ لمن أحسَنَ التَّعلُّقَ، والاستضاءَةَ بها .. هي بمثابَةِ حبلٍ مَتِينٍ يتدَلَّى مِن على سَفينَةٍ تتلاطَمُها الأمواجُ الهائجة .. لَا مَنْجَاةَ لأحَدٍ إلا مِن تَعلَّقَ بذلك الحبلِ المتين .. الكُلُّ ـ لا محالَةَ ـ يَسيرُون نحوَ الهاويَةِ، والهلاكِ، والخُسران .. ولَا مَنَاص لهم مِن هذا المآلِ الرَّهيبِ والمخيف .. " إلَّا " .. هذه هي أداةُ الاستثنَاءِ، فما هو المستَثنَى مِن ذلك العُمُوم؟!

519- [الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ]؛ هؤلاء هُم المستَثنُون من الخُسرانِ، والهلاكِ .. الذين جمعُوا في أنفسِهم بين الإيمانِ، والعمَلِ الصَّالح، جمعوا بين الاعتقَادِ بالإيمانِ، والعمَلِ بالإسلامِ .. الإيمانُ باللَّهِ، ومَلائِكَتِه، وكُتُبِه، ورُسُلِه، والْيَومِ الآخِرِ، وبالقَدَرِ خَيْرِه وشَرِّه .. وبكلِّ ما هو غيبٌ ممَّا أخبرَ به اللهُ تعالى في كتابِه الكريم، أو أخبرَ به النبيُّ صلى الله عليه وسلم في سنَّتِه المطهَّرَةِ .. والعمَلَ بالصَّالحاتِ الظاهِرَةِ منها والباطِنَةِ .. الأعمالُ القلبيَّةُ، والظاهرُ منها على الجوَارِح .. وبخاصَّة منها فرائضُ وأركان الإسلامِ: إقامَةُ الصلاةِ، وإيتَاءُ الزَّكاةِ، وصومُ رمضَان، وحجُّ البيتِ لمَن استطاعَ إليه سبيلاً .. كما جاءَ ذلك في حديثِ جبريل عليه السلام وسؤالِه للنبي صلى الله عليه وسلم عن الإسلامِ، والإيمانِ، فقال:" يا مُحَمَّدُ أخْبِرْنِي عَنِ الإسْلامِ، فقالَ رَسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ:

الإسْلامُ أنْ تَشْهَدَ أنْ لا إلَهَ إلَّا اللَّهُ وأنَّ مُحَمَّدًا رَسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ، وتُقِيمَ الصَّلاةَ، وتُؤْتِيَ الزَّكاةَ، وتَصُومَ رَمَضانَ، وتَحُجَّ البَيْتَ إنِ اسْتَطَعْتَ إلَيْهِ سَبِيلًا، قالَ: صَدَقْتَ، قالَ: فَعَجِبْنا له يَسْأَلُهُ، ويُصَدِّقُهُ، قالَ: فأخْبِرْنِي عَنِ الإيمانِ، قالَ: أنْ تُؤْمِنَ باللَّهِ، ومَلائِكَتِهِ، وكُتُبِهِ، ورُسُلِهِ، والْيَومِ الآخِرِ، وتُؤْمِنَ بالقَدَرِ خَيْرِهِ وشَرِّهِ، قالَ: صَدَقْتَ ..."متفق عليه. لا يكفي إيمانٌ من غيرِ عملٍ صَالِحٍ، وانقيادٍ ظاهِرٍ .. كما لَا يكفي عملٌ صالحٌ من غيرِ إيمانٍ .. إذْ لا بُدَّ - ليستقيمَ البناءُ، ويقوَى على مواجهةِ التحديَّات، وينالُ القبولَ في السَّماءِ - من أن يجتمعَا معًا، وينطلقَا من مِشكاةٍ جسَد واحِدٍ؛ إيمانٌ وعَمَلٌ، وعملٌ وإيمانٌ، من دُونِ أن يُفرّقَ بينهما .. أما أولئك الذين فرَّقُوا بين الإيمانِ والعملِ بالصَّالحاتِ .. وجعلُوا العملَ مُغَايراً للإيمانِ .. وقالوا: يكفي لنجاةِ المرءِ أن يؤمِنَ، ويُصدقَ بقلبِه، وإن لم يأتِ بشيءٍ من الأعمالِ الصالحةِ .. ومهمَا كانت جوارِحُه الظاهرة شارِدَةً عن الطاعَةِ، والانقيادِ، ومُعلنَةً الحربَ على اللهِ، ورسولِه، والمؤمنين .. فهؤلاء هم المرجئةُ الضُّلَّال؛ الذين قَد ضَلُّوا، وأضَلُّوا، وخالفوا بقولِهم هذا منطُوقَ نُصوص الكتابِ والسنَّةِ، ومفْهُومَها .. وناقَضُوا مبدَأ التلازم والترَابُط، والعلاقة المتبادَلةِ بين الباطِنِ والظاهِرِ .. بينَ القَلبِ، والجوارِحِ .. وقتلُوا في الأمَّةِ روحَ العملِ والجهَادِ!

520- [الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ]؛ لا يُسَمَّى العملُ عملاً صالحاً إلا إذَا توفَّرَ فيه شَرطان: أن يكونَ العملُ مَشرُوعاً، ومَسنوناً؛ موافقاً للكتابِ والسُّنَّة .. فيخرجُ من العملِ الصالحِ كلُّ بدعةٍ في الدِّين، كما قال صلى الله عليه وسلم:" مَن أحْدَثَ في أمْرِنا هذا ما ليسَ منه فَهو رَدٌّ "مسلم. وفي رواية:" مَن عَمِلَ عَمَلًا ليسَ عليه أمْرُنا فَهو رَدٌّ "مسلم. وأن يكونَ خالِصاً لوجهِ اللهِ تعالى، لا تشوبُه شائبةُ شِرْكٍ ولا رِياءٍ، كما قال تعالى:[فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاء رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً]؛ موافقاً للكتابِ والسنَّةِ، [وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً]الكهف:110. شرطُ الإخْلاصِ. وفي الحديثِ القُدسي:" قالَ

اللَّهُ تَبارَكَ وتَعالَى: أنا أغْنَى الشُّرَكاءِ عَنِ الشِّرْكِ، مَن عَمِلَ عَمَلًا أشْرَكَ فيه مَعِي غيرِي، تَرَكْتُهُ وشِرْكَهُ "مسلم.

521- [الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ]؛ فإن قِيل: الإيمانُ اعتقادٌ، وقَولٌ، وعملٌ .. كما هو قولُ السلفِ الصَّالح .. وإن كان العملُ إيماناً، ومِن الإيمانِ .. فعلامَ فرَّقَ النصُّ بينهما فقال تعالى:[الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ]، فجعلَ الإيمانَ غير العمَلِ الصَّالح .. ؟!أقول: التفريقُ هنا ليسَ للتغايُرِ .. وإنما للتَّخصيصِ، ومِن قبيلِ عطفِ الخاصِّ على العامِّ؛ لبيانِ أهميةِ العمَلِ بالنسبةِ لقضيةِ الإيمانِ، فخصَّ العملَ بالذِّكرِ، لبيانِ أهميتِه في الإيمانِ، ولبيَانِ أن الإيمانَ لا يُقبل مِن غيرِ عملٍ، كما في قوله تعالى:[وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاء وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ]البينة:5. فقوله تعالى:[لِيَعْبُدُوا اللَّهَ]؛ يدخلُ في معناه إقامَةُ الصلاةِ وإيتاءُ الزَّكاة .. ومعَ ذلك خُصَّت إقامَةُ الصلاةِ بالذِّكرِ، وكذلك إيتاءُ الزَّكاةِ، مِن قَبيل عطفِ الخاصِّ على العامِّ .. لبيانِ أهميتهما، وفضلهمَا مِن مجموعِ ما يدخلُ في معنَى العبادَةِ .. فإقامةُ الصلاةِ ليسَت شيئاً آخَر مُغايراً لمعنَى العبادَة .. بل هي العِبادَةُ، ومِن العبادَةِ العامَّةِ والشامِلةِ لجميعِ ما يحبهُ اللهُ تعالى من الأقوالِ والأعمالِ الظاهرَةِ والباطِنَةِ .. ومَا يُقال في الصَّلاةِ بالنسبةِ للعبادَةِ، يُقال في العملِ الصَّالح بالنسبة للإيمانِ، ونحوه قوله تعالى:[حَافِظُواْ عَلَى الصَّلَوَاتِ والصَّلاَةِ الْوُسْطَى]البقرة:238. فالصلوَاتُ تدخلُ فيها يَقيناً الصلاةُ الوسطَى؛ والتي هي صَلاةُ العَصْرِ .. وإنما خُصَّت الصلاةُ الوسْطَى بالذِّكرِ لبيانِ أهميتها، وفضلِها، مِن قَبيلِ عَطفِ الخاصِّ على العَامّ .. وليسَ من قَبيلِ المغَايرَة، وأنها شيءٌ آخَر غير " الصَّلَوَاتِ "!

522- [الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ]؛ هذا لأنفُسِهم .. وهو هامٌّ جداً في عمليةِ البِناءِ، والتربيَةِ، والتَّزكيَةِ .. للقيامِ بما يجبُ لغيرِهم .. وما للآخَرين عليهم مِن حَقٍّ .. فلا يمكنُ أن يَقومُوا بواجبِ، [وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ]، إلا بعدَ أن يستوفوا في

أنفُسِهم عمليَّةَ التربية والتَّزكية والبنَاء .. ويحقّقُوا في أنفُسِهم:[الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ]. وهي عمليةٌ قائمةٌ ومستمرّةٌ لا تتوقَّفُ ولا تَنقطعُ، حتى تنقَطعَ حياةُ المرءِ ذاته .. فالمرءُ إلى آخِرِ دقيقَةٍ من حياتِه ـ ومهمَا بلغَ من العُمُرِ، وأوتي مِن العِلمِ ـ يحتاجُ إلى التزكيَةِ، والتربيَةِ، وتَهذيبِ النَّفسِ من العوالِقِ، والشوائبِ، والعوائِقِ!

523- [وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ]؛ يَنصحُون أنفُسَهم والآخَرين باتباعِ الحقِّ، وملازَمَتِه، ونصرتِه، وعدمِ الالتفاتِ عنه إلى ما سواه مهمَا عظُمَت تكاليفُ الالتزامِ به .. فإن تكاليفَ التَّخَلِّي عن الحقِّ، والانصرافِ عنه إلى ما سَواه أعظَمُ كلفةً وأعظمُ ضَريبةً .. مآلاتُه تُفضِي لَا محالَةَ إلى الضياعِ، وخُسرانِ الدنُيا والآخِرَة .. وأعظَمُ الحقِّ، وأعلاهُ، وميزانُه، الذي يَتواصون به، ويحرصُون عليه، ويحضُّون على التزامِه، والتمسكِ به، كتابُ اللهِ، وسُنَّة رسولِه صلى الله عليه وسلم، وفهمهما على ضَوءِ فَهمِ السَّلفِ الصَّالحِ في القُرونِ الثلاثةِ الأولى المشهُود لها بالخيريَّةِ والفَضْل .. كما في الحديث:" إنِّي قد خلَّفْتُ فيكم شيئَيْنِ لن تَضِلُّوا بعدَهما أبداً ما أخَذْتُم بهما، أو عمِلْتُم بهما: كتابَ اللهِ، وسُنَّتي، ولن يتفرَّقَا حتَّى يَرِدَا عليَّ الحوضَ "؛ أي هما باقيَان في الأمَّةِ، باقية حجتهما على الناسِ إلى أن يرِدَا على النبي صلى الله عليه وسلم وهو على الحوضِ يومَ القِيامَةِ. وفي حديثٍ آخر:" فإنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنكمْ بَعدِي فسَيَرَى اخْتلافًا كثيرًا، فعليكُمْ بِسُنَّتِي وسنَّةِ الخلُفاءِ المهديِّينَ الرَّاشِدينَ، تَمسَّكُوا بِها، وعَضُّوا عليْها بالنَّواجِذِ ". وسُئِلَ النَّبيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: أيُّ النَّاسِ خَيْرٌ؟ قَالَ:" قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ يَجِيءُ قَوْمٌ تَسْبِقُ شَهَادَةُ أحَدِهِمْ يَمِينَهُ، ويَمِينُهُ شَهَادَتَهُ "متفق عليه. أي تَضعفُ ذممهم، ويَفشُوا فيهم الكذبُ، وشهادَةُ الزُّور .. فهذه وصيةُ النبيِّ صلى الله عليه وسلم ـ أنعم وأكرِمْ بها مِن وصيَّةٍ ـ لكلِّ مَن جاءَ ويجيءُ بعدَه، وإلى يومِ القِيامَةِ .. فهنيئاً لمن تمسَّك بها، وأوْصَى بها غيرَه، وعضَّ عليها بالنَّواجِذ.

524- [وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ]؛ على الحقِّ، وعلى نصرتِه، وتحملِ تبعَاتِه .. وعلى مَا قَد يُصيبُهم بسببِ اتباعِهم للحقِّ، وتمسكِهم به، ونُصرَتِهم له .. فلا تقومُ للحقِّ قائمة مِن غيرِ جِهَادٍ .. ومِن غيرِ صَبرٍ على الجهادِ .. فمن تابعَ الحقَّ، وجاهدَ في سبيلِه فإنه مُبتلَى لا محالَة، ولَا بُدَّ له من الصبرِ على ما يُصيبُه .. ويُقَال أيضَاً هو تواص بالصبرِ على الأمرِ والتَّكاليفِ .. وصبر على النَّهي، وحبْسِ النَّفْسِ عن المحظُوراتِ .. وصَبر على البَلاءِ الذي يُصيبُ المؤمنَ في نفْسِه، ومالِه، وأهلِه .. وهذه أمورٌ لا يَقوَى المرءُ على مواجهتِها، والقيامِ بمتطلباتِها إلا بالصَّبرِ، والتواصِي المستمرِّ بالصَّبرِ .. واحتسَابِ الأجْرِ على الصَّبْرِ.

525- [وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ]، تكرار كلمة " وَتَوَاصَوْا " أكثر مِن مرةٍ في آيةٍ واحدةٍ؛ يأتي لبيانِ أهمية التواصِي والنَّصيحَةِ في حياةِ وعقيدةِ ودينِ المسلمين، وفي علاقتِهم بعضهم ببعضٍ .. فالمسلمُ إمَّا أنه نَاصحٌ وإما أنَّه منصوحٌ .. ولَا يجوزُ أن يخرجَ عن هذَين الوصفَين .. كما في الحديث الصحيح:" الدِّينُ النَّصِيحَةُ، قُلْنا: لِمَنْ؟ قالَ: لِلَّهِ، ولِكِتَابِهِ، ولِرَسولِهِ، ولأَئِمَّةِ المُسْلِمِينَ، وعامَّتِهِمْ "مسلم. وقوله " الدِّينُ النَّصِيحَةُ "؛ فاللامُ في كلمةِ " الدِّين "؛ تُفيدُ العمُومَ، والشمولَ، والاستغراقَ؛ أي الدِّينُ كله النصيحَة .. فلا دِينَ مِن غيرِ نصيحةٍ، وتَناصُحٍ .. والنصيحةُ لله؛ تكونُ بعبادَتِه وتَوحيدِه، وتحبيبِ الخلْق به سُبحانَه .. والنصيحةُ لكتَابِه؛ تكونُ بتلاوتِه وتدبرِه، وبيانِ أحكامِه، وتَعليمِه، وبذلِه لطلَّابِه، والعمَلِ بما فِيه، والتحاكُمِ إليه .. والنصيحةُ لرسولِه صلى الله عليه وسلم تكونُ بتوقيرِه، وتَعظيمِه، وطاعَتِه، ومُتابَعةِ سُنَّتِه، وبالتحَاكُمِ إليه وإلى سُنَّتِه .. والنصحيةُ لأئمةِ المسلمين وولاتِهم تكونُ بتوقِيرهم، وطاعَتِهم في المعروفِ، وفِيما ليس فيه مَعصية، ونصرتِهم في الحقِّ، والدعاءِ لهم، وأمرِهم بالمعروفِ، ونهيِهم عن المنكرِ .. وتعريفهم بما ينفعُهم، وما يضرُّهم .. والنَّصيحةُ لعامَّةِ المسلمين تكونُ بإرادَةِ الخيرِ لهم في أمورِ دينِهم ودُنياهم .. وبالحرصِ على بذلِه وإيصالِه لهم، ودَفْعِ الشرِّ عنهم، وكل ما قد يتَسبَّب لهم بالأذَى

والضَّرَر .. قدْرَ المستطَاع .. وفي حديثٍ آخَر عن جرير بن عبد الله، قال:" بَايَعْتُ رَسولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، فَاشْتَرَطَ عَلَيَّ: والنُّصْح لِكُلِّ مُسْلِمٍ "البخاري.

526- [وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ]، رغم أهمية ومكانَةِ النصيحَةِ في دينِ اللهِ .. إلا أنه ينبغي أن تُحاطَ بجملةٍ من الشروطِ والآدابِ، مِنها: أن لا تؤدّي النصيحةُ إلى تفويتِ ما هو أكثر مِنها نفعاً، أو تحقيق ضَرَرٍ أكبر مِن الضررِ الذي يَنبغي أن يُزَال بالنصيحَةِ .. فالمنكرُ يُنكر ويُزالُ، لكن لا يُنكرُ ولا يُزالُ بمنكرٍ أكبر مِنه. ومِنها: أن تُحاطَ النصيحةُ بالرفقِ مَا أمكنَ لذلك سَبيلاً .. كما في الحديث، فقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال:" إنَّ اللهَ رفيقٌ يُحبُّ الرِّفقَ في الأمرِ كُلِّه "البخاري. وقال صلى الله عليه وسلم:" إنَّ اللهَ رفيقٌ يُحبُّ الرِّفقَ، ويُعطِي على الرفقِ ما لا يُعطي على العنفِ، ومَا لا يُعطي على ما سواهُ "مسلم. وقال صلى الله عليه وسلم:" إنَّ الرِّفقَ لا يكونُ في شيءٍ إلا زانَهُ، ولا يُنزَعُ من شيءٍ إلا شانَه "مسلم. وقال صلى الله عليه وسلم:" مَن يُحرَمِ الرِّفقَ يُحْرَمِ الخيرَ "مسلم. وقال صلى الله عليه وسلم:" ادعوا النَّاس، وبَشِّروا ولا تُنفِّروا، ويَسِّروا ولا تُعَسِّرُوا "مسلم. لا يَنبغي للمسلمِ أن يُراهنَ، ويتترَّسَ بالنصيحةِ، وأنه على حقٍّ، وأن على المنصوح أن يُصغِي إليه، ويطيعَه ويتابعه فيما يَنصحه .. بعيداً عن معَاني الرفق والحكمة في الكلمةِ، وتوجيهِ الخِطابِ، قال تعالى:[وَلَوْ كُنتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ]آل عمران:159. ومنها: إن كان الخطأ خاصّاً، لا يُجاهَر به، يُستحسَن أن تكونَ النصيحةُ سِرّاً بين الناصح والمنصوح .. وإلا أصبحت النصيحةُ فضيحةً وليسَت نَصيحةً، وهي حينئذٍ أقربُ للردِّ والرفضِ مِنها للقبولِ .. عن أم الدرداء رضي الله عنها، قالت:" من وعَظَ أخاهُ سِرّاً فقد زَانَه، ومَن وعظَهُ علانيَّةً فقَد شَانَه ". وقال سليمان الخواص:" مَن وعَظَ أخاه فِيما بينه وبينه فهي نصِيحةٌ، ومَن وعظَهُ على رؤوسِ الناسِ فإنَّها فَضِيحةٌ ". وهذا معنى قد أُثِرَ عن كثيرٍ من السلفِ الصَّالح.

527- [إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ]؛ عودة على ذِي بدءٍ، وتذكير بخلاصَةِ ما تقدَّم ذِكْرُه .. فإن المستثنين من مجموعِ الخاسِرين الهالِكين .. لا بدَّ مِن أن تتوفرَ فيهم صِفاتٌ أربع:[الَّذِينَ آمَنُوا]، [وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ]، [وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ]، [وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ]، لَا تُغني ولا تُجزئُ صفةٌ عن صفَةٍ .. فالإنسانُ بهذهِ الصفاتِ الأربعة مجتمعةً هو المستثنَى من مجموعِ الخاسِرين الهالِكين، ومِن صِفةِ الخُسرانِ .. وبالانتهاءِ من هذه الكلمات والوقفاتِ ينتهي ـ بفضلِ الله تعالى ـ الحديثُ عن سورةِ العصْرِ .. هذه السورة العظيمة التي قال عنها الشافعي رحمه الله:" لو مَا أنزلَ اللهُ حجةً على خلقِه إلَّا هذه السورة لكفتْهُم .. ولو تدبَّر الناسُ هذه السورة لوَسِعَتهم ".

* * * * *

سورة قُريش

الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ

528- [الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ]قريش:4. نِعَمُ اللهِ على عِبادِه كثيرةٌ، هي أكثرُ مِن أن تُحصَى .. نخصَّ منها بالذِّكرِ نِعمةَ الإطعَامِ بعدَ جُوعٍ، فَلا يَعرِفُ نعمةَ الطعامِ والإطعامِ من جُوعٍ إلَّا مَن ذاقَ مَرارَةَ طَعْم الجوعِ ـ بخلافِ المتْخَمين المترَفين الذين يُدخِلُون الطعامَ على الطعامِ! ـ ونعمةَ الأمْنِ مِن خَوفٍ؛ لعظيمِ فضْلِهما، وأثَرِهما على حياةِ واستقرارِ وتفكيرِ الإنسانِ .. وقدَّمَ الإطعَامَ مِن جُوعٍ على الأمْنِ مِن خَوفٍ؛ لأنَّ المرءَ لا يتمتَّعُ بنعمةِ الأمْنِ مع وجودِ الفَقْرِ والجوعِ .. فالجوعُ منَغِّصٌ، ومُكدِّرٌ لكثيرٍ مِن النِّعَم .. والإنسانُ تَراهُ قد يُجازِفُ بأمْنِه، ويُسافِرُ، ويَركبُ المخاطِرَ والأمواجَ مُقابل دَفْعِ الجوعِ، وفتنةِ الفَقْرِ .. وكان النبيُّ صلى الله عليه وسلم يَستعيذُ باللهِ من الجوعِ، فيقول:" اللَّهمَّ إنِّي أعوذُ بكَ مِن الجُوعِ؛ فإنَّه بِئسَ الضَّجِيعُ ". ويقول:" وأعوذُ بِكَ مِن فِتنَةِ الفَقْرِ "متفق عليه. لأنّ مِن مآلاتِ الفَقْرِ المدْقع، الجوع .. وهو مَا

يَصعُبُ على الإنسانِ تحمُّلُه .. وحريٌّ بمن أنعمَ اللهُ عليه بالإطعَامِ بعدَ جُوعٍ، والأمْنِ مِن خَوفٍ محيط بهم؛ أيّاً كان مَصدرُ هذا الخوف .. أن يُفرِدَ اللهَ المنْعِم والمتفضِّل عليه بالعبادَةِ، والشُّكْرِ.

* * * * *

سورة الماعون

فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ

529- [فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ]الماعون:4. هذا الوَعِيدُ الشَّديدُ لم يَنزِل في تَارِكِي الصَّلاةِ ـ فتارِكُو الصَّلاةِ شَأنُهم أعْظَمُ، ووعِيدُهم أغْلَظُ ـ وإنَّما نَزلَ في الذين يَنشغِلُونَ بمشَاغِلِ الدُّنيا ومتَاعِها ولَهوِهَا عن الصَّلاةِ؛ فيُصلُّونَها في غيرِ وَقْتِهَا المُحَدَّد!

* * * * *

الَّذِينَ هُمْ يُرَاؤُونَ

530- [الَّذِينَ هُمْ يُرَاؤُونَ]الماعون:6. الذين يُريدُون من أعمالِهم الظُّهورَ، والسُّمعَةَ، والشّهرَةَ، والثناءَ، وصَرْفَ وجُوهِ النَّاسِ إليهم .. والرِّياءُ شِركٌ خَفِي؛ وهو شِركٌ أصْغَرُ، يُفسدُ ويُبطلُ العملَ الذي حصَلَ فيه الرياءُ، وهو أشَدُّ ذَنباً وأثَراً مِن كَثيرٍ من المعَاصِي الظَّاهِرةِ التي هي دونَ الكُفْرِ .. ولا يجوزُ أن يُقالَ لعامِلٍ أنَّهُ مُراءٍ في عمَلِه؛ لأنَّ الرِّياءَ أمرٌ باطنيٌّ اعتقادِيٌّ، غَيبيٌّ، لا يَعلمُه إلَّا الله .. ما لم يأتِ بقرَائنَ لفْظيَّةٍ وعمليَّةٍ تدلُّ على الرِّياءِ .. كذلك الإخلاصُ؛ الله تعالى أعلمُ بالمخلص مِن عبادِه .. كما في الحديث:" اللَّهُ أَعْلَمُ بمَن يُكْلَمُ في سَبيلِهِ "البخاري.

وكان عبدُ اللهِ بنُ المبارك، يقول:" مَن دَخَلَ النَّارَ بالمعاصِي الظَّاهِرَةِ أخَفُّ ممَّن دَخَلَها بالرِّياءِ والسُّمْعَةِ ".

* * * * *

وَيَمْنَعُونَ المَاعُونَ

531- [وَيَمْنَعُونَ المَاعُونَ]الماعون:7. مِنَ الذين يَمنَعُونَ الماعُون، الذين يَأخُذُون الماعُونَ ثُمَّ لا يَرُدُّونَه، فيكونُون بذلِك سَبَباً في مَنْعِ الماعُون!

* * * * *

سورة الكوثر

إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ

532- [إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ]الكوثر:3. فكلُّ من أبغَضَ سنّةَ النبيِّ صلى الله عليه وسلم، أو استخَفَّ بها، وبمرجعيتِها، وحاكميَّتِها، له حَظٌّ من هذا البَترِ، والانقطاع في الأثَرِ، والذِّكر الحسَن في الدُّنيا والآخِرة، على قَدْرِ بُغضه واستخفافِه.

533- مفهوم المخالفة يقضي كذلك، أنّ كل من أحبّ سنَّةَ النبي صلى الله عليه وسلم، وعظّمَها، وانقادَ لها، ولحكمِها، له حظٌّ من القبولِ، والثناءِ الحسَن في الأرضِ وفي السّماء، على قدْرِ حُبّهِ، وتعظيمِه، وانقياده .. ولقد تأملتُ حالَ كثيرين مِن المشهورِين، والمنتسبين للعلم وأهله، فما اقتربَ أحدُهم بسوءٍ من النبيّ صلى الله عليه وسلم، ومن سنّته، إلا ووضع له البغض والنفور في نفوسِ الناس .. وعلى قَدْرِ إساءته!

* * * * *

سُورَةُ الكافِرُون

لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ

534- [لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ]الكافرون:6. تُقَالُ للكافِرِين الأصْلِيِّين، الذين يَدخلُون في ذِمَّةِ المسلِمين، أو في صُلحِهِم، وأَمَانِهم .. ولَا تُقَالُ للمرتدِّين، أو للعُصَاةِ مِن المسْلِمين.

* * * * *

سُورَةُ المَسَدِ

وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ

535- [وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ]المسد:4. هذه أُمُّ لَهَبٍ؛ امرَأَةُ أبي لَهَب، كانت تَضعُ الحطَبَ والأشواكَ في طَريقِ رسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم، وطريقِ دَعوتِه .. وهي مثَلٌ وقدوةٌ لطابُورٍ كبيرٍ مِن النِّساءِ " أمَّهات لَهَب " عبر جميع الأزمنَةِ والعُصُور؛ اللَّاتي ناصَبْنَ الإسلامَ العَدَاءَ، وجاهَرْنَ بعَدائِهن للهِ، ولرسُولِه، وللمؤمنين، فتَجِد إحدَاهُنَّ - وبكلِّ فجُورٍ - تخلعُ حجابَها في الميَادِين والسَّاحَاتِ؛ لتجرِّئ النِّساءَ على أن يفعَلْنَ فعلَتَها .. وأُخْرَى تخلعُ - بعنفٍ وفجُور - الحجابَ عن رؤوسِ النساءِ المسلماتِ المحجَّبات، وتَسخرُ مِنهنَّ .. وأُخرَى تتجرَّأُ على حَرقِ القُرآنِ الكريمِ، على مرأَى ومَسْمَعٍ مِن الناسِ .. وأُخرَى تُعلنُ التمردَ على قِيمِ الأسرَةِ، والزَّواجِ .. فهؤلاء كلُّهن من جمَاعَةِ، وحِزْبِ " أمِّ لَهَب "، نسألُ اللهَ تعَالى أن يحشرهُنَّ مع أمِّهِنَّ؛ أمِّ لَهَب .. فأمُّ لَهَبٍ؛ ليسَت قصةً مِن التاريخ انتهَت أحداثُها في زمَانِها، بل هي قصَّةٌ متجدِّدَةٌ في كلِّ زمانٍ ومَكانٍ يوجدُ من النساءِ مَن يتخلَّقْنَ بأخلاقِ أمِّ لَهَب .. ويَفعَلْنَ فعلَ أمِّ لَهَبٍ!

* * * * *

سُورَةُ الإخْلاص

536- [قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ . اللَّهُ الصَّمَدُ . لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ . وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ] الإخلاص:1-4. [قُلْ]؛ باللسان، والقلب، قولاً جازماً، معتقداً به .. للناسِ أجمعين .. ولكلِّ مَن يَسأل عن اللهِ عزَّ وجل، ويَسأل عن صِفاتِه، ونَسَبِه مِن غَيرِ المسلمين:[هُوَ اللَّهُ]؛ المألُوه المعبُودُ بحقٍّ، [أَحَدٌ]؛ أحَدٌ في ذاتِه، وأحَدٌ في أفعَالِه، وأحَدٌ في أسمائِه

الحسنى، وصفاتِه العُليا، المنفردُ بالألوهيَّةِ والربوبيَّةِ، وبصِفَاتِ الكمالِ والجمالِ والجلال، دُونَ سَائرِ خَلْقِه، لا شَريكَ له، ولَا مَثيلَ ولا نَظيرَ له في شيءٍ مِن خصائصِه وصِفاتِه سُبحَانه، [اللَّهُ]؛ تأكيدٌ لتفرُّدِه بالألوهيَّةِ والربوبيَّةِ، [الصَّمَدُ]؛ السيّدُ الذي كَمُلَ سُؤدُدُه على خَلْقِه، الذي تتوجَّه إليه جميعُ مخلوقاتِه بحاجياتِها إليه، فجميعُ المخلوقاتِ السماويَّة مِنها والأرضيَّةِ، فقيرةٌ إليه، لَا قِيامَ، ولا حركةَ، ولا وجُودَ، ولا حَولَ، ولا قوَّةَ لها إلا بِه، وهو الغنيُّ عنها، ومِن كمال غِناه وقيُّوميّته سبحانه وتعالى أنَّه [لَمْ يَلِدْ]؛ لم يأتِ منه ولَدٌ؛ فيكونُ هذا الولد بعد أن لم يكُنْ، [وَلَمْ يُولَدْ]؛ ولم يأتِ من والدٍ سَابقٍ؛ فكان بعدَ أن لم يكُن، فالوالدُ والولَدُ مُحْدَثَان، لهما ابتداءٌ، ومن كان لهما ابتداءٌ لهما انتهاءٌ، يموتان، ويرثُ أحدُهما الآخَر، وهذا محالٌ بحقِّ اللهِ تعالى، فاللهُ تعالى حيٌّ قيوم لا يموتُ، ولا يُورَثُ .. له الكمالُ في جميعِ صِفاتِه .. ولو جازَ القول بأن للهِ والد، لوردَ السؤالُ عن والِدِ الوالِدِ، وعن والدِ والدِ الوالِد، وإلى مَا لَا نِهايَة، وهذا مَقطُوعٌ ممنُوعٌ، بالنَّقلِ والعقلِ سواءٌ، وكان مِن دُعاءِ النبيِّ صلى الله عليه وسلم:" اللهمَّ أنتَ الأوَّلُ فليسَ قَبلَك شَيءٌ، وأنت الآخِرُ فليسَ بعدَك شيء "مسلم. أي أنت البَاقي بلا انتهاء، ولا فنَاء، [وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوَاً أَحَدٌ]؛ أي لم يكُنْ له في الوجُودِ كل الوجُود، نظيرٌ، ومُكافِئٌ يُكافِئه، ويُعادِلُه، ويُشابِهه، ويُماثلُه في شيءٍ مِن أسمائِه، وأفعالِه، وصِفاتِه، وخصائصِه .. ليسَ كمثْلِه شيءٌ .. سُبحانه وتعالى .. وفي هذه السورة الكريمة رَدٌّ على شُبهاتِ ومَزاعِمِ جميع الكافرين والمشرِكين ـ على اختلافِ مللِهم، وأسمائِهم، وانتماءاتِهم ـ الذين اتخذُوا مِن دُونِ اللهِ أنْدَاداً، يعبدونهم مِن دُونِ الله.

* * * * *

مِن فضائلِ سُورة الإخلاص

537- من عظمَةِ وبركةِ وفوائدِ سورةِ الإخْلاص، على قِصرها وقِلَّة آياتِها، إلَّا أنَّها تَعدلُ مِن حيث الأجرِ والثوابِ قِراءة ثلث القُرآن الكريم، لما تَتضمَّنه من معاني التنزيه، والتَّعظيمِ، والتَّوحيدِ، كما في صحيح مسلم:" إنَّ اللَّهَ جَزَّأَ القُرْآنَ ثَلاثَةَ أجْزاءٍ، فَجَعَلَ قُلْ هو اللَّهُ أحَدٌ جُزْءاً مِن أجْزاءِ القُرْآنِ ". وقال صلى الله عليه وسلم:" أيَعْجِزُ أحَدُكُمْ أنْ يَقْرَأَ في لَيْلَةٍ ثُلُثَ القُرْآنِ؟ قالوا: وكيفَ يَقْرَأُ ثُلُثَ القُرْآنِ؟ قالَ: قُلْ هو اللَّهُ أحَد، تَعْدِلُ ثُلُثَ القُرْآنِ "مسلم. وقال صلى الله عليه وسلم:" والذي نفسي بيده إنَّها لتَعْدِلُ ثُلُثَ القُرآن "البخاري. ومن حسناتها أنَّها إذا قُرِئت مع المعوذتَين في الصباحِ ثَلاثَ مرَّات كَفَت صاحِبها مِن كل شَرٍّ، حتَّى يُمْسي، فإذَا قرأها في المساءِ ثلاثَ مرَّاتٍ كفَته حتَّى الصَّباح، كما في الحديث:" قُلْ هو اللَّهُ أحَد، والمعوذتينِ حين تُمسي، وحين تُصبحُ، ثلاثَ مرات، تكفيك من كلِّ شيءٍ ". وقال صلى الله عليه وسلم:" من قرأ قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ عشرَ مراتٍ بنى اللهُ له بيتًا في الجنَّةِ ". وقال النبي صلى الله عليه وسلم لرجلٍ كان يُلازِم على قراءة سورة الإخلاص في كل ركعة:" ما يحملُك على لزُومِ هذه السورة في كلِّ ركعَةٍ؟ فقال: إنِّي أحِبُّها. فقال: حُبُّك إيَّاها أدخَلَكَ الجنَّةَ "البخاري. وقال صلى الله عليه وسلم لرجلٍ كان يحبُّ أن يقرأَ سورَةَ الإخلاصِ، ويحبُّ أن يختمَ بها صلاتَه:" أخبرُوه أنَّ اللهَ تعالى يُحِبُّه "متفق عليه. وقد سمعَ النَّبيُّ صلَّى اللَّه عليهِ وسلَّمَ رجلًا يقولُ: اللَّهمَّ إنِّي أسألُكَ بأنَّكَ أنتَ اللَّهُ الأحَدُ الصَّمَدُ، الَّذي لَمْ يَلِد ولم يُولَدْ، ولم يَكُن لَهُ كُفُوًا أحَدٌ، فقالَ رسولُ اللَّهِ صلَّى اللَّه عليهِ وسلَّم: لقد سألَ اللَّهَ باسمِهِ الأعظَمِ؛ الَّذي إذا سُئِلَ بِهِ أعطى، وإذا دُعِيَ بِهِ أجابَ ". وهي الطارِدَةُ لوَساوسِ الشَّيطان، كما في الحديث:" يأتي الشيطانُ أحدَكم فيقول: مَن خَلقَ كَذَا؟ مَن خلقَ كَذا؟ حتى يقول:

مَن خلقَ ربُّك؟ فإذا بلغَه، فقولوا: اللهُ أَحَدٌ . اللهُ الصَّمَدُ . لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ . وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ، ثم لِيتْفُلْ عن يَسارِه ثلاثًا، ويَستعِذْ باللهِ من الشَّيطانِ ".

* * * * *

سورة الفلق

قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ

538- [قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ]الفلق:1. قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ العالمين؛ لأنَّ مَا مِن شَيءٍ في الوجُودِ إلَّا جاءَ مِن فَلَقٍ .. فالإنسانُ كُلُّه مِن فَلَقٍ، ولولا الفَلَق لمَا عاشَ، ولمَا كان من الأحْيَاءِ؛ فالعَينُ، والأنْفُ، والفَمُ، والفَرْجُ، والسَّرْجُ كُلُّها فَلَق .. والعُرُوقُ في الجَسَدِ فَلَقٌ، ولو أُغْلِقَت لتَجَمَّدَ الدَّمُ في العُرُوقِ، ومَاتَ القَلْبُ وتَشَمَّع، وبموتِهِ يموتُ الإنْسانُ .. حَتَّى بِدايَة الكَونِ، والانفِجَار الأوَّل للكَونِ الذي أشارَ إليه القُرآن الكريم، وتحدَّث عنه العُلماء، وسموه بالانفِجَارِ العظيم " Big Bang "؛ كانَ رَتْقاً مغلقاً متَمَاسِكًا، فَفَلَقَه اللهُ .. وخَرَجَ مِن هَذا الانْفِجَارِ والفَلَقِ المجَرَّات، والكواكِبُ، والنُّجُوم!

539- [قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ]الفلق:1. الذي فلَقَ الصُّبحَ من الليل .. وفلَقَ الحيَّ من الميتِ .. وفلَقَ الأرضَ فأخرج منها النبتَ والشجَر .. وفلَق من النبت الزهرَ .. ففلَق من الزهرِ الثَّمَر .. وفلق الصَّخرَ فأخرَج منه الماء والنَّهر .. وفَلَق الغمامَ فأنزَلَ منه المطَر .. وفلق المرأةَ؛ فأخرَجَ منها الإنسان .. وفلقَ الإنسان؛ ففلَق له عينين، وأذنين، وأنفاً، وفماً، وسرجاً، وفرجاً .. ومساماتٍ في الجلد .. ولكل فلَقٍ وظيفة رئيسية في هذه الحياة، لا تكتمل إلا به .. ولو تأملنا كل شيء من حولنا لوجدناه فلَقاً، أو قد مرّ بمرحلة الفلَق، أو كان الفلقُ سبباً له .. إذ لولا الفلَق لما كان ولا كنا، ولما استمرت لنا ولا للوجودِ حياة .. ويوم النُّشور يفلُقُ اللهُ الأرضَ؛ فتشَقَّقُ فتُخرج ما في بطنها للحساب،

فسبحان رب الفلَق، الذي خلَق الفلَق .. وبالتالي فإن الذي يتعوّذ برب الفلَق، فإنه يتعوَّذ بربِّ وخالق المخلوقات كلها، من شَرِّ ما خَلَقَ من هذه المخلوقات.

* * * * *

قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ . مِن شَرِّ مَا خَلَقَ

540- [قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ . مِن شَرِّ مَا خَلَقَ]الفلق:2. عَامٌّ لكلِّ شرٍّ؛ المادِّي منه والمعنَوِي .. الشَّرُ الذي يطالُ الأجسَادَ، والشرُّ الذي يطالُ العقُولَ، والاعتقادَ، والفِكرَ .. وفيه أن اللهَ تعالى خالقُ الشَّرِّ، كما هو سبحانه خالقُ الخيرِ .. لغَاياتٍ وحِكَمٍ عِدَّة، منها؛ ليكتَمِلَ اختِبارُ ابن آدم في هذهِ الحياةِ الدُّنيا؛ فيُبتلَى تارةً بالخيرِ، وتارةً بالشرِّ .. ليَظْهَرَ عِلمُ الله فيه؛ هل سيشكُر، ويَصْبرُ، أم سيكْفُر، ويتَسَخَّطُ ويَعترِض، كما قال تعالى:[وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً]الأنبياء:35.

وفيه أنَّ المسْتَعَاذ القادِر على أن يُعيذَ مَن يَستعيذُ به؛ لا بدَّ أن يكونَ خَالِقاً ومالِكاً لما يُستعاذُ منه، وقادِراً عليه .. أمَّا مَن لا يخلقُ، ولا يملكُ، ولا يَقدرُ، لا يجوزُ أن يُستعاذَ به مِن شَرِّ شيءٍ؛ لأنَّ فاقدَ الشيءِ لا يُعطيه لنَفْسِه، فَضْلاً عن أن يُعطيَه لغيرِه .. ومِنه يُعلَمُ بُطلانُ الاستعاذَةِ والاستِعانَةِ بالأمواتِ .. وبشياطِين الإنسِ، والجنِّ!

* * * * *

مُتفرِّقَاتٌ مِن وقفات وتأمُّلات

القُرآن الكريم

541- القرآنُ الكريم؛ هو الكتابُ الوحيد الذي لو قرأتَه آلافَ المرّات، لما مَلَلْتَ من قراءتِه، ولَمَا اكتفيتَ، ولشَعَرْتَ أنَّك بحاجَةٍ إلى أن تقرأَهُ مِن جَدِيدٍ ..!

هو الكتابُ الوحيد الذي لا تَنْضَبُ خزائنُه ومعارِفُه، وفوائده؛ كلّما قرأتَه اكتشفتَ من العلومِ والفوائد ما لم تكتشِفْهُ مِن قَبل في قراآتك السَّابقة .. أفلا يدلُّ ذلك على أنّه كلامُ اللهِ، الخالق القَدير؟!

* * * * *

عَشْرَةُ مبادئ تُعين على تَدبّر القرآنِ الكريم

542- عَشْرَةُ مبادئ تُعين على تَدبّر القرآنِ الكريم:

1- فهمُ الدَّلالاتِ اللغويّة للآياتِ والمفرداتِ القُرآنيّة.

2- التّغنّي بتلاوةِ القُرآنِ الكريم، وفق أحكام التَّجويد المعروفة، من غيرِ تكَلّفٍ.

3- كَثرةُ التّلاوةِ؛ فإنّ كثرةَ التِّلاوةِ تَستحضرُ قلبَ صاحِبِها .. وكذلك الاستماع.

4- الوقوفُ عند التِّلاوةِ على آياتِ الأسماءِ والصّفات، وما تقتضيهِ من تمجيدٍ، وتحميدٍ، وتَسبيحٍ، وتَعظيم.

5- الوقوفُ على آياتِ الوعِيد والعَذاب .. فيستعيذُ باللهِ من عذابِ جهنم، ويسأله تعالى العفوَ والعافيةَ، وأن يجيرَه منها .. فلا يمرُّ عليها من دون أن يَستشعرَ حالَ أهلِها ومصيرَهم المؤلم والمخيف، وبما وجَبَت لهم.

6- الوقوفُ على آياتِ الوَعْدِ، وما أعدَّ اللهُ تعالى للمؤمنين من نعيمٍ عظيمٍ مقيم في جنّات النّعيم .. فيَستبشِرُ خيراً، ويفرحُ أن جعله الله تعالى من عبادِه الموحدين، ويسأل اللهَ تعالى أن يجعلَه من أهلِ الجنَّة.

7- الوقوفُ على الآياتِ التي تتكلم عن أحوالِ الأمَمِ الهالِكةِ السَّابقة وقصصهم، الذين أُخِذُوا بذنوبهم، وجرأتهم على أنبيائهم .. فيستعيذ بالله تعالى من حالهم، ومآلِهم.

8- إذا مرّ القارئُ على الآياتِ التي تتكلم عن المغضوبِ عليهم، والضَّالين .. استعاذَ بالله منهم، ومن حالهم ووصفِهم .. وإذا مرّ على الآياتِ التي تتكلم عن صراطِ الذين أنعم اللهُ عليهم من النبيين والصّدِّيقين والشّهداء، والمؤمنين .. سألَ اللهَ تعالى أنْ يجعلَه منهم، وأن يحشرَهُ معهم.

9- عند التّلاوة قد يجدُ القارئُ قلبَه حاضِراً عند آيةٍ دونَ غيرها من الآيات .. فليُطِل من تأمُّلِها والوقوفِ عليها، ويُكرّرها إذا شاءَ، ما شاء.

يفعلُ ذلك سواءٌ كان في صلاةٍ، وبخاصّة إن كان يتنفّل .. أمْ في تلاوةٍ خارج الصَّلاة .. قال حذيفة بن اليمان رضي الله عنه:" صَلَّيْتُ مع النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ ذَاتَ لَيْلَةٍ، فَافْتَتَحَ البَقَرَةَ، فَقُلْتُ: يَرْكَعُ عِنْدَ المِئَةِ، ثُمَّ مَضَى، فَقُلْتُ: يُصَلِّي بهَا في رَكْعَةٍ، فَمَضَى، فَقُلْتُ: يَرْكَعُ بهَا، ثُمَّ افْتَتَحَ النِّسَاءَ، فَقَرَأَهَا، ثُمَّ افْتَتَحَ آلَ عِمْرَانَ، فَقَرَأَهَا، يَقْرَأُ مُتَرَسِّلًا ـ أي مُتَمَهِّلًا ومُتَأَنِّيًا ـ إذَا مَرَّ بآيَةٍ فِيهَا تَسْبِيحٌ سَبَّحَ، وإذَا مَرَّ بسُؤَالٍ سَأَلَ، وإذَا مَرَّ بتَعَوُّذٍ تَعَوَّذَ .." مسلم. وفي رواية عند أبي داود والنسائي: " لَا يَمُرُّ بِآيَةِ رَحْمَةٍ إِلَّا وَقَفَ فَسَأَلَ، وَلَا يَمُرُّ بِآيَةِ عَذَابٍ إِلَّا وَقَفَ فَتَعَوَّذَ ".

10- اجتنابُ المعَاصي؛ فالمعصيةُ تَقتُلُ التَّدبّرَ، وتُضْعِفُه!

* * * * *

للتقوى ثمار عظيمة ترتدُّ على صاحبِها في الدنيا والآخرة

543- للتقوى ثمار عظيمة ترتدُّ على صاحبِها في الدنيا والآخرة:

فهي مَخرجٌ لصاحبها من كل ضيقٍ، وكربٍ، وهمٍّ:[وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجاً]الطلاق:2. [إِن تَتَّقُواْ اللّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَاناً]الأنفال:29.

وهي سبب للرزق والسّعة:[وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ]الطلاق:3. [وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُواْ وَاتَّقَواْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْض]الأعراف:96.

وهي تجلبُ اليسرَ بعد العُسر:[وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْراً]الطلاق:4.

وهي سبب رئيسي لتحصيل العلم والعمل به:[وَاتَّقُواْ اللّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللّهُ]البقرة:282.

ومَن علّمَه الله أعانه على العمل بما عَلِم.

وهي سببٌ للفوزِ والفلاحِ في الدنيا والآخرة:[وَاتَّقُواْ اللّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ] البقرة:189.

وهي كفّارة للخطايا والذنوب: [وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْراً]الطلاق:5. [إِن تَتَّقُواْ اللّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَاناً وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ]الأنفال:29.

وهي شرطٌ للنصرِ، والولاية، والمحبّة، والمعيّة:[وَاتَّقُواْ اللّهَ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ]البقرة:194. [إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ]التوبة:4. [وَاللّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ]الجاثية:19.

وهي سبب للرحمة: [وَاتَّقُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ]الأنعام:155.

وهي خير الزّاد: [وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى]البقرة:197.

جزاؤها جناتٌ، وعيون، ونَهر، ومقامٌ أمين:[جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَآؤُونَ كَذَلِكَ يَجْزِي اللّهُ الْمُتَّقِينَ]النحل:31. [إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ]الحجر:45. [إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ]الطور:17. [إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ]

القمر:54. [إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ وَعُيُونٍ]المرسلات:41. [إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ] الدخان:51.

وهي وصيّةُ اللهِ الخالدة لعبادِه:[وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُواْ اللّهَ]النساء:131.

* * * * *

أعُوذُ باللهِ مِنَ الشَّيطانِ الرَّجِيم

544- [أعُوذُ باللهِ مِنَ الشَّيطانِ الرَّجِيم]؛ أَلُوذُ، وأَحْتَمِي، وأَسْتَعْصِم، وأَتَّقِي باللهِ العَظِيم، وبِقُدْرَتِه، مِن شَرِّ الشَّيطانِ الرَّجِيم؛ الملعُون، والمطرُود مِن رَحمةِ اللهِ، ومِن كُلِّ شَرٍّ يكونُ سَبَبُهُ الشّيطانُ الرَّجِيم .. ومن استعاذَ باللهِ، فقد استَعاذَ بِعَظِيمٍ، أنَّى للشيطانِ أن يَجِدَ إليه سَبيلاً؟!

* * * * *

فيروس " كورُونا " فسّر الآيات التّالية تفسيراً عمليّاً بليغاً

545- فيروس " كورُونا " فسّر الآيات التّالية تفسيراً عمليّاً بليغاً:

[يَمْحَقُ اللّهُ الْرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ]البقرة:276.

[فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُواْ بِمَا أُوتُواْ أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ]الأنعام:44.

[فَأَتَاهُمْ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ]الزمر:25.

[أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَن يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيَاتاً وَهُمْ نَآئِمُونَ . أَوَ أَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَن يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ]الأعراف:97-98.

[إِنَّ الْإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعاً . إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعاً . وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعاً] المعارج:19-21.

[وَخُلِقَ الإِنسَانُ ضَعِيفاً]النساء:28. [وَكَانَ الإِنسَانُ عَجُولاً]الإسراء:11.

[وَلَئِنْ أَذَقْنَا الإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَؤُوسٌ كَفُورٌ . وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ نَعْمَاء بَعْدَ ضَرَّاء مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ]هود:9-10.

[ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ]الروم:41.

[وَلَنُذِيقَنَّهُم مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ]السجدة:21.

[فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاء وَالضَّرَّاء لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ]الأنعام:42.

[وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ]المؤمنون:76.

[وَضَرَبَ اللّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَداً مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللّهِ فَأَذَاقَهَا اللّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ]النحل:112.

[وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا]القصص:58.

[وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَيَّ الْمَصِيرُ]الحج:48.

[وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ]المدّثر:31.

* * * * *

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ

546- إن كُنتَ من المؤمنين ـ سواءٌ كنتَ ذَكَراً أم أُنثَى ـ فأنتَ مَعنيٌّ باسْمِكَ وشَخْصِكَ من خِطابِ ونِداءِ الخالِقِ سُبحانه وتعالى:[يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ ...]، وقد تَكَرَّرَ هذا النِّداءُ الخالِدُ في كتابِ الله تسعينَ مرَّة .. وإن لم تكنْ من المؤمنين، وعلى أي مِلَّةٍ كُنْتَ ـ

سواء كُنتَ ذَكَراً أم أنْثَى ـ فأنتَ معنيٌّ باسمِكَ وشَخْصِك من خِطابِ ونِداءِ الخالقِ سُبحانه وتعالى:[يَا أَيُّهَا النَّاسُ ...] ، وقَد تكرَّرَ هذا النِّداءُ الخالِدُ في كتابِ اللهِ ثماني عشَرة مَرَّة!

* * * * *

وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءهُمْ وَاحْذَرْهُمْ

547- في كلّ زمانٍ قد يكره كفّارُه ومنافقوه بعض ما أنزَل الله، يختلف عمّا يكرهه أقرانهم من الكفار والمنافقين في الأزمنة السابقة واللاحقة، ولو تحرّج المسلمون في كل زمانٍ من هذا الذي يكرهه الكفارُ والمنافقون في زمانِهم ممّا أنزلَ الله، فكتموه، وحجبوه، وعطّلوا العملَ به ـ مراعاة لمشاعرِ الكفار والمنافقين، ونزولاً عند رغبتِهم ـ لما بقي من دينِ الله شيء، ولاندثرت معالِمه .. ولهذا ـ وغيره من الأسباب ـ جاء التّحذيرُ الشّديدُ، والوعيدُ الأليم من رب العالمين، لعبادِه المؤمنين، من أن يفتنهم الكفارُ والمنافقون عن بعضِ ما أنزَلَ اللهُ، أو أن يتبعوا أهواءَهم، كما قال تعالى:[وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَن بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللهُ إِلَيْكَ]المائدة:49. [كِتَابٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلاَ يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ]الأعراف:2. [فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَى إِلَيْكَ وَضَآئِقٌ بِهِ صَدْرُكَ]هود:12. [وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءهُم مِّن بَعْدِ مَا جَاءكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذاً لَّمِنَ الظَّالِمِينَ]البقرة:145. [إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلعَنُهُمُ اللهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ]البقرة:159.

* * * * *

الطاغوت

548- وردت كلمةُ " الطَّاغُوت " في القُرآنِ الكريم؛ ويُرادُ بها الفَرْدُ، والجمْعُ، والمذكَّرُ، والمؤنَّثُ؛ للدَّلالَةِ على أن المعبودَ من دونِ اللهِ ـ إن كانَ رَاضِياً بذلك ـ على أيِّ صِفَةٍ أو هيئةٍ كان، يُطلَقُ عليه صِفَةُ ومُسَمَّى الطَّاغُوت.

* * * * *

وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ

549- إذا كنتَ في أرضِ خوفٍ وكَربٍ .. وقد نأى عنك الناسُ .. والأعوانُ .. وغابت أنظارُهم .. تذكر قوله تعالى:[وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ]. وقوله تعالى لموسى وهارون عليهما السَّلام: [لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى]. وقوله تعالى:[وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ]. يهونُ مُصابُك، وينجلي، ويذهب ما بك من خَوفٍ وكَربٍ، بإذن الله .. مَا مِن خَوفٍ يَقَع إلا لغَفْلَةٍ عن معيَّةِ اللهِ تعالى!

* * * * *

طَعَامُ وشَرَابُ أهْلِ النَّارِ

550- مِن طعَامِ أهْلِ النَّارِ، الضَّرِيعُ: كما قال تعالى:[لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ . لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِن جُوعٍ]الغاشية:6-7. والضَّريعُ شجرٌ في جهنم مِن نَارٍ، له شَوكٌ مِن نَارٍ .. قال بعضُ أهلِ العِلم: لشدَّةِ ألمِه، وحرِّه، ونتَنِه، وخشونتِه، يَضْرَعُ أهلُ النَّارِ أن يتخلَّصُوا ويُعفَوا منه .. وأنَّى .. فسُمِّيَ لذلك ضَرِيعًا!

والزَّقُومُ: كما قالَ تعالى:[إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُّومِ . طَعَامُ الْأَثِيمِ]الدخان:43-44. وقالَ تعالى:[أَذَلِكَ خَيْرٌ نُّزُلاً أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ . إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِّلظَّالِمِينَ . إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي

أَصْلِ الْجَحِيمِ . طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ . فَإِنَّهُمْ لَآكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِؤُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ]الصافات:62-66. وقال تعالى:[ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ . لَآكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ . فَمَالِؤُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ]الواقعة:51-53. والزَّقُوم شجرةٌ، " غُذِّيت بالنَّار، ومِنها خُلِقَت ".

والغِسْلين: كما قال تعالى:[وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ . لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِؤُونَ]الحاقة:37. أي الكافرون، الذين تَرقَى أخطَاؤهم إلى دَرَجَةِ الكُفْرِ .. والغِسْلِين، صَدِيدُ، وقَيحُ، ودَمُ أهلِ النَّارِ، وما يخرجُ مِن لحومِهِم ....!

ومِن شرَابِهم، الماءُ الحمِيمُ: كما قالَ تعالى:[كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيماً فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ]محمد:15. والماءُ الحمِيم، ماءٌ حارٌّ في مُنتَهى الحرَارَةِ، يُقَطِّعُ أمعاءَهم مِن شِدَّةِ حَرِّه.

والماءُ المُهْل: كما قال تعالى:[وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاء كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءتْ مُرْتَفَقاً]الكهف:29. والماءُ المُهْلِ، " كعكرِ الزَّيتِ، فإذا قرَّبَهُ إلى وجهِهِ، سَقطَت فَروَةُ وجهِهِ فيهِ " مِن شِدَّةِ حَرِّه!

والماءُ الصَّدِيدُ: كما قَالَ تعالى:[مِّن وَرَائِهِ جَهَنَّمُ وَيُسْقَى مِن مَّاءٍ صَدِيدٍ . يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ]إبراهيم:16-17. والماءُ الصَّدِيدُ، عصارَةُ أَهْلِ النَّارِ مِن قَيْحٍ ودَمٍ .. هذا طعَامُ وشَرَابُ أهلِ النَّارِ .. أمَّا عذَابَات جهنم الأُخْرَى لَا يعلمُ حقيقَتَهَا وشِدَّةَ آلامِها إلا خالقُهَا ... أعاذَنا اللهُ وإيَّاكُم مِن نَارِ جهنَّم، ومِن طعَامِها وشَرَابِها .. وما يُقَرِّبُ إليها مِن قَولٍ، واعتِقَادٍ، وعَمَل.

* * * * *

مَن أرادَ أن يَقرأَ في التوراةِ قَبْلَ أن يُصيبَها التَّحرِيفُ

551- مَن أرادَ أن يَقرأَ في صُحفِ إبراهيمَ عليه السلام، وفي التَّوراةِ قبل أنْ يُصيبها التَّحريفُ، والتَّبدِيلُ، فليَقْرأْ سُورةَ الأَعْلَى، قال تعالى:[إِنَّ هَذَا]؛ الذي وردَ ذِكْرُهُ مِن الآياتِ في سورةِ الأَعْلَى، [لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى . صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى

]الأعلى:18-19. موجُودٌ في صُحفِ إبرَاهِيمَ عليه السلام، وفي الصُّحفِ " التَّورَاة "، التي أنزَلها اللهُ على عَبدِه ونبيِّه مُوسَى عليه السلام.

* * * * *

العِلمُ المستَفَادُ مِن قصَّةِ خَرْقِ السَّفينةِ، وقصَّةِ قتلِ الغُلام

552- مَن يتأمَّلُ العِلمَ الواسعَ المستفَاد مِن قِصَّةِ خَرْقِ السَّفينَةِ .. وقِصَّةِ قَتْلِ الغُلام .. وقصَّةِ بناءِ الجدَارِ المائلِ الذي قارَبَ على السُّقُوطِ والانهيارِ .. في سورةِ الكهْفِ .. يجد أن العِلمَ المستفَاد مِن تلك القَصَص لا يتعلَّقُ بالحلالِ والحرَامِ .. فموسى عليه السلام أعْلَمُ أهلِ زمانِه بالحلالِ والحرَام .. وإنما يتعلَّق بعِلْمَين جَليلَين بهمَا يتمايزُ أهلُ العِلم: أولهما النَّظرُ في المقَاصِدِ والمآلَاتِ .. واتخاذُ المواقِف والأحكام بناءً على مآلاتِ الأُمور، ومَا تَنتهي إليه، وليسَ على مجرَّدِ ظاهِرِها .. ثانيهما، النَّظَرُ في المصالح والمفاسِد، وعمليَّة الترجيح بين المصالح ذاتِها، وتَقديم الأكثر مَصلحة ومَنفعَة، على الأقلّ مَصلحَة .. والترجيحُ بين المفاسِدِ عند وجودِ الاختيَارِ الذي لا بُدَّ منه، وتَقديمُ المفسدَةِ الصُّغْرَى على المفسَدَةِ الكُبرى، ودَفْعُ المفْسَدَةِ الكُبرَى بمفسدةٍ أقَلّ منها.

* * * * *

يَا أَيُّهَا النَّاسُ

553- يَا أَيُّهَا النَّاسُ، لَا تَأتُوا رَبَّكم يومَ القِيامَةِ كافِرين .. تقولُون: لم يَصلْنَا مِن اللهِ خِطابٌ، ولا نِدَاء .. فاللهُ تعالى قد خاطبَكُم وناداكُم، وكرَّرَ نداءَه لكُم في كتَابِه العزِيز، بقولِه:[يَا أَيُّهَا النَّاسُ ...]، اثنان وعشرين مرَّة، لترعَوْهَا سمعَكُم ومشاعرَكُم، يُطالبُكُم بالإيمانِ، وأن توحِّدُوه، وتَعبدُوه، ولا تُشركُوا به شَيئاً .. ثمَّ لو أنَّ إنساناً عَزيزاً عليكَ

نادَاكَ أكثرَ مِن مَرَّةٍ، ولَمْ تُجبْه، لكان ذلك مَدْعَاة لك للحياءِ، والاعتِذَارِ .. فكيفَ إذَا كان المنادِي لكَ أكثرَ مِن عِشرين مرَّةٍ هو رَبُّ العَالمين؟!

* * * * *

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ

554- يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ، لَا تَأتُوا رَبَّكُم يومَ القِيامَة بصحَائف مَلْأَى بالخطَايَا والذُّنُوب، والمظالِم .. تَقولُون: لَمْ يَصِلْنَا مِن اللهِ خِطَابٌ، ولا نِدَاءٌ .. فاللهُ تعالى قد خاطبَكُم ونادَاكُم، وكرَّرَ نداءَه لكم، في كتَابِه العزِيز، بقولِه:[يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ ...]، تسعاً وثمانين مَرَّة، لترعَوْهَا سمْعَكُم ومشاعرَكم، وتَنظُروا أينَ أنتُم مِن أمْرِهِ ونَهيه .. ثمَّ لو أنَّ إنساناً عَزيزاً عليكَ نادَاكَ أكثرَ مِن مَرَّةٍ، ولَمْ تُجبْه، لكان ذلك مَدْعَاة لك للحياءِ، والاعتِذَارِ .. فكيفَ إذَا كان المنادِي لكَ ـ يَا عَبدَ الله ـ أكثرَ مِن خمْسٍ وثمانِين مرَّةٍ هو رَبُّ العَالمين؟!

* * * * *

لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُواْ الْيَهُودَ

555- [لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُواْ الْيَهُودَ]المائدة:82. كَثيرٌ مِن الناسِ كان يَتساءلُ عن معنَى وتَفسيرِ هذه الآيةِ الكريمةِ؛ لماذَا اليهودُ هم أشدُّ الناسِ حِقْداً، وكراهِيةً، وعداوةً للمؤمنين المسلمين .. إلى أن جاءت أحدَاثُ غَزَّة الدَّموية .. فأظهرَت عدوانَ الصهاينة اليهود على أهلِ غزَّة المؤمنِين المسلمين .. وارتكابَهم المجازر والجرائم المروّعة بحقّ المدنيين العُزَّل من أهلِ غَزّة المؤمنِين .. وقتلهم من أطفالِ ورُضَّع أهلِ غزَّة ما يزيدُ عن عشرة " 10000 " آلافِ طفلٍ .. وأكثر مِن سَبعةِ " 7000 "

آلافِ امرأة .. ونبْشِ قُبور الموتى بمجنزراتهم وآلياتهم .. وقتل أسرَى المسلمين ومرضاهم دَهْسَاً بدبَّاباتهم، وشاحِناتهم .. وهَدمِ وتدميرِ المشافي على مَن فِيها من المرضَى .. إضافة إلى منعِهم الماءَ، والغِذاء، والدَّواءَ عن المستضعفِين مِن أهلِ غزَّة، والذي استمرَّ لأكثر مِن شهرين ونصف، ولا يَزال .. فلم يدَعوا جريمةً إلَّا وارتكبُوها .. ولا إرهاباً إلَّا وفعلُوه ... فبعد أن رأى الناسُ مِنهم هذا الكَم الهائل مِن الإجرامِ، والتوحُّشِ، والحِقْدِ، والكرَاهيَّة، والرغبة الجامحةِ في سفكِ الدَّم البريءِ الحرَامِ .. وهَدم المساكن على مَن فيها مِن الآمنين .. هانَ عليهم فهم وتَفْسيرُ قوله تعالى:[لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُواْ الْيَهُودَ]، وقالُوا: صدقَ اللهُ العظيم إذْ قال:[لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُواْ الْيَهُودَ]! 2024/1/9

* * * * *

إِنَّ اللهَ مَعَ الصَّابِرِينَ

556- الإنسَانُ في اختبَارٍ مُستمرٍّ، استمرَاره في هذهِ الحياةِ، اختبَارٌ مِن جِهةِ التزامِه بالأمرِ والطَّاعَاتِ، واختبارٌ من جهةِ انتهائِه عن المحظورَاتِ والمنهيَّاتِ .. واختبارٌ من جهةِ تَعرُّضِه للبَلاءِ في نفْسِه، وفي مَالِه، وأهلِه .. وهذا يُشكِّلُ عليه ضَغطاً كبيراً .. لَا طَاقةَ لتحمُّلِه ولا للنجاح في هذه الاختباراتِ بَعيداً عنِ الصَّبْرِ .. لِذَا جاءَ الحضُّ على الصَّبرِ والترغيبِ به في مواضع عِدَّة مِن القُرآنِ الكريم .. قال تعالى في سورةِ البقَرة:[إِنَّ اللهَ مَعَ الصَّابِرِينَ]البقرة:153. وقال تعالى:[وَاللهُ مَعَ الصَّابِرِينَ]البقرة:249. وقال تعالى:[وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ]البقرة:155. وفي سورة الأنفال:[وَاصْبِرُواْ إِنَّ اللهَ مَعَ الصَّابِرِينَ]الأنفال:46. [وَاللهُ مَعَ الصَّابِرِينَ]الأنفال:66. وفي آل عمران:[وَاللهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ

]آل عمران:146. ومَن كانَ اللهِ مَعَهُ، وكان اللهُ يحبُّه .. فَلا خوفَ، ولَا ضَيعةَ عليه .. والصَّعْبُ عليه يكونُ ـ بإذنِ اللهِ ـ سَهْلاً .. وفي الحديث، فقد صحَّ عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم أنه قال:" مَا أُعْطِيَ أَحَدٌ عَطَاءً خَيْراً وأَوْسَعَ مِنَ الصَّبْرِ "البخاري.

* * * * *

هل مِن الشِّركِ أن تَرجُو مِن عبادَتِك للهِ الجنَّةَ ...؟!

557- [فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً]الكهف:110. مِن الشيوخ المعَاصِرين المشهُورِين، شَيخٌ عُرِفَ باهتمَامِه بالتَّفْسِيرِ .. له أخطاءٌ كثيرةٌ، وكبيرَةٌ، يَصعبُ السكُوتُ عنها .. مِنها قولُه: أنه لا يجوزُ أن تعبدَ اللهَ عِبادَةَ مَن يرجُو مِن عبادَتِه الجنَّةَ، وأن يجيرَه اللهُ مِن النارِ .. ثم يَستدلُّ بقولِه تعالى:[وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً]؛ ويقُول: مَن كان يرجُو الجنَّةَ مِن عِبادَتِه فقد أشرَكَ بعبادَةِ ربِّه أحَداً .. وجعَلَ الجنَّةَ شَريكاً للهِ .. وكرَّرَ مقُولتَه هذه في دروسِه السَّمعيَّةِ والمسجَّلَةِ مرَّاتٍ عِدَّة .. وكثيرٌ هم الذين يَسمعُون له .. ممَّا استدْعَى التَّنبيه لهذا الخطَأ الكَبير، فأقُول: مَن عبدَ اللهَ تعالى راجياً مِن عِبادَتِه دخولَ الجنَّةِ، وأن يجيرَه اللهُ من النَّارِ .. لَا يَدخلُ في الشِّركِ المرَادِ مِن الآيةِ الكريمَةِ .. بل رَجاؤه مَشروعٌ، ومَسْنُون، قال تعالى:[وَسَارِعُواْ إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ]آل عمران:133. فأمَرَنا بالمسارَعَةِ بالطَّاعاتِ مِن أجلِ الفوزِ بالجنَّةِ، وقال تعالى:[سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاء وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ]الحديد:21. وفي الحديث، فقد كان الصحابي يأتي إلى رسولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم، يقول:" يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَخْبِرْنِي بِعَمَلٍ يُدْخِلُنِي الجَنَّةَ "البخاري. فهو يريدُ مِن عملِه دخُولَ الجنَّةِ، والنبيُّ صلى

الله عليه وسلم لم يَنْهَه، ولم يَقُلْ له سؤالُك هَذا خَطَأ، ومِن الشِّركِ .. وقالَ صلى الله عليه وسلم:" مَن يَضْمَن لي مَا بينَ لَحْيَيْه، وما بيْنَ رِجْلَيْهِ، أضْمَنْ له الجَنَّةَ "البخاري. وقَالَ صلى الله عليه وسلم: مَن صَلَّى البَرْدَيْنِ، دَخَلَ الجَنَّةَ "البخاري. وقالَ رَجُلٌ للنَّبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ يومَ أُحدٍ: أرَأَيْتَ إنْ قُتِلْتُ، فأيْنَ أنَا؟ قالَ:" في الجَنَّةِ "، فألْقَى تَمَرَاتٍ في يَدِهِ، ثُمَّ قَاتَلَ حتَّى قُتِلَ. البخاري. وقالَ النَّبيُّ صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ لرَجُلٍ:" كَيفَ تقولُ في الصَّلاةِ، قالَ: أتَشَهَّدُ، وأقولُ: اللَّهمَّ إنِّي أسألُكَ الجنَّةَ، وأَعوذُ بِكَ منَ النَّارِ، أما إنِّي لا أُحسنُ دَندنتَكَ ولا دَندنةَ مُعاذٍ، فقالَ النَّبيُّ صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ: حولَها نُدَنْدنُ ". وفي بيعة العَقَبةِ، قالَ الأنصارُ: يا رسولَ اللهِ، عَلامَ نُبايِعُكَ؟ قال: تُبايِعوني على السَّمعِ والطاعةِ في النَّشاطِ والكَسَلِ، وعلى النَّفَقةِ في العُسْرِ واليُسْرِ، وعلى الأمْرِ بالمَعْروفِ، والنَّهْيِ عن المُنكَرِ، وعلى أنْ تَقولوا في اللهِ لا تَأخُذُكُم فيه لَومةُ لائِمٍ، وعلى أنْ تَنصُروني إذا قَدِمْتُ يَثْرِبَ، فتَمْنَعوني ممَّا تَمنَعون منه أنفُسَكُم وأزْواجَكُم وأبْناءَكُم، ولكم الجَنَّةُ ". ومِن الأدعيةِ التي علَّمَها النبيُّ صلى الله عليه وسلم لأمِّ المؤمنين عائشة رضي اللهُ عنها، أن تقولَ في دعائِها:" اللَّهمَّ إنِّي أسألُكَ الجنَّةَ، ومَا قرَّبَ إليها مِن قَولٍ أو عملٍ، وأعوذُ بِكَ منَ النَّارِ وما قرَّبَ إليها من قولٍ أو عملٍ ". وغيرُها عَشَراتُ النصُوصِ مِن الكتابِ والسنَّةِ التي تدلُّ على مشروعيَّةِ واستِحْسَانِ أن نسألَ اللهَ تعالى الجنَّةَ، وأن يجزينا على الطاعَاتِ الجنَّةَ، وأن يُعيذَنا من النَّارِ .. والتي تدلُّ على فسَادِ وخَطأ قولِ الشيخِ الوارِدِ أعلاه.

* * * * *

كُتِبَ وكُتِبَ

558- إذا قَرَأَ الناسُ قولَه تعالى:[كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ]البقرة:183. التزَمُوا الأمرَ، ونفرُوا للصيامِ، مِن غيرِ نِقاشٍ، ولا جِدالٍ، ولَا اعتراضٍ .. وإذَا قَرأوا:[كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ]البقرة:216. كَثُرَ المرجفُون، والمثبِّطُون، والمجَادِلُون، والمعترضُون، والمتأوِّلُون .. علماً أنَّ هذه [كُتِبَ]، وهذه [كُتِبَ]؛ لَا فَرْقَ بينهما مِن حَيث الدَّلالَةِ والأمْرِ الذي يُفيدُ الوجُوبَ .. وكلاهما وردَتَا في سُورةٍ واحِدَةٍ؛ سُورةُ البَقَرة ...؟!

* * * * *

الهُدْهُدُ الفَقِيهُ

559- [وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ . أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ . اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ]النمل:23-25. يأبَى الطائرُ الهُدهُد الفقيهُ والموحِّدُ أن يرفعَ تقريرَه عن مُشاهداتِه، وعن رحلتِه، إلى نبيِّ اللهِ سُليمان .. أو أن ينتَصِرَ لنَفْسِه قَبلَ أن ينتصرَ لدينِ اللهِ، ولعقيدَةِ التَّوحِيدِ .. ومِن دُونِ أن يُعرِبَ أولاً عَن غَضَبِه، واستهجَانِه، وإنكارِه للشرْكِ الذي رآهُ مِن مَلِكَة سَبأ وقومِها .. إذ كيفَ يَعبدونَ الشمسَ مِن دُونِ اللهِ .. والشمسُ مِن جملةِ مخلوقاتِ اللهِ .. ويَغفلُون عن عبادَةِ اللهِ الواحِدِ الأحَد، الفَرْدِ الصَّمَد .. يَغفلُون عن عبادَةِ المعبُودِ المألُوه بحقٍّ، وهو ربُّ العرشِ العَظِيم، وربُّ الخلقِ أجمعين .. الذي لا يخفَى عليه شيءٌ في السَّماواتِ والأرْضِ .. والذي يُحيطُ بكلِّ شيءٍ علماً .. فأتَى بالبرَاءِ مِن الشِّركِ، وبالكفْرِ بما يُعبَدُ مِن دُونِ اللهِ، وبالإثْبَاتِ أن المعبُودَ المألُوه بحقٍّ هو اللهُ تعَالى وحْدَه .. بإيجازٍ بَديعٍ فَرِيدٍ .. وهو معنَى شَهادَة التَّوحيدِ " لا إله إلا الله "، الذي دَعَا إليها

جميعُ الأنبياءِ والرسُلِ .. وفي هذا الانتصَار لعقيدَةِ التوحِيدِ إغراءٌ وحَضٌّ غير مُباشَر لنبيِّ اللهِ سُليمان لأن يَغزُو سَبأً، ويَدعُوهم وملِكَتهم إلى الإيمانِ، والإسلامِ .. فلَا شيء يُغضِبُ الأنبياءَ؛ كلَّ الأنبياءِ، كالشِّرْكِ، وعندما تُنتَهك حُرمَات التَّوحِيد .. فعَلَ الهُدهُد الطائرُ ما يَعجزُ عن فعلِه كثيرٌ مِن شيوخِ العَصْر .. الذين يمرُّون - في حِلِّهم وترحالِهم - على كثيرٍ من معَاني الشِّركِ؛ فيباركونَها، ويتبرَّكُون بها، ويحسبونَها خَيراً، وأنَّها مِن دِينِ اللهِ، ومَا هي مِن دِينِ اللهِ .. وهؤلاء حريٌّ بهم قَبلَ أن يتمشيخُوا، ويتصدَّرُوا مجالِسَ الوعظِ والإرشَادِ .. أن يَتعلَّموا التوحيدَ من مدرَسةِ الهُدهُدِ الموحِّدِ .. ويأخذُوا من شهادَتِه، وعِظتِه، وكلماتِه الدرُوسَ، والعِبَر .. فهذا لا يُنقِصُ مِن قَدْرِهم شيئاً .. ففي كثيرٍ مِن الأحيانِ يتعلَّمُ ويَستفيدُ الكبيرُ من الصَّغيرِ، ويجدُ عندَ الصَّغيرِ ما ليسَ عِندَه؛ ليتواضَع الكبيرُ .. هذا الهُدهُد الفقيهُ الموحِّدُ؛ هو ذاتُه الذي قال لنبيِّ اللهِ سُليمان عليه السلام - الذي سَخَّرَ اللهُ له الريحَ، والجِنَّ، والشياطينَ، والعفَارِيت - بثقَةٍ، وثبَاتٍ، ويَقِين:[أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ]!

* * * * *

مِن أسَاليبِ القُرآنِ الكَرِيم

560- مِن الأسَاليبِ البَدِيعَةِ الملْفِتَةِ للقُرآنِ الكَرِيم أنَّه إذَا مَرَّ على آياتِ الوَعْدِ، ومَا أعَدَّ اللهُ تعالى لعبادِهِ المؤمنين مِن الجِنانِ والنَّعِيم المقِيم .. يَعقُبُها مباشرَةً أياتُ الوَعِيدِ، وما أعَدَّ اللهُ تعالى للكافِرين والمشرِكين، والعُصَاةِ الظالمِين مِن عذابٍ أليمٍ في نارِ جهنَّم .. والعَكسُ كذلك؛ إذا مرَّ على آياتِ الوعيدِ، أعقَبَها بآياتِ الوَعْدِ .. ليَحْمِلَ المسلمَ القارِئَ لكتَابِ اللهِ على التَّوازُنِ؛ فَلَا هو يَقعُ في الرَّجاءِ المفْرِطِ؛ الذي يحملُه على التَّواكُلِ، وترْكِ

العمَلِ .. ولَا هو يَقعُ في الخوفِ، واليأسِ، والقُنُوطِ مِن رحمةِ اللهِ، الذي يحملُه على سُوءِ الظَّنِّ باللهِ، وإنما يجمعُ بينَهمَا؛ بينَ الخوفِ والرَّجَاءِ، ويَضعُ كلًّا منهما في مَوضِعِه المنَاسِب .. الخوفُ الذي يمنعُه مِن الجرْأةِ على رُكوبِ المعَاصِي، والاستخفَافِ بها، ويحملُه على فعلِ الطَّاعَاتِ .. والرَّجَاءُ الذي يحملُه على تحْسِين الظنِّ باللهِ، ويمنعُه مِن اليأسِ، والقنُوطِ مِن رحمةِ اللهِ إذا مَا وَقَع في الخَطَأ والزَّلَلِ.

* * * * *

أثَرُ الحسَنَات على السِّيئات

561- [إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ]هود:114. القول بأن الحسنات مهما عظُمَت تُذهب صغائر الذنُوب فقط، دون الكبائر، قول مَرجُوح .. والراجحُ أن الحسنات تُذهب السيئات، وتؤثر في زوالِ السيئات بحسب قوة ودرجة الحسنات، كماً، ونوعاً، وإخلاصاً .. فإن عظمَت الحسنات، وعظم الإخلاص فيها، عظم أثرها على زوال السيئات، فليس كل الحسنات سواء في الأثر على السيئات .. فقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: غُفِرَ لِامْرَأَةٍ مُومِسَةٍ، مَرَّتْ بكَلْبٍ علَى رَأْسِ رَكِيٍّ يَلْهَثُ، قالَ: كَادَ يَقْتُلُهُ العَطَشُ، فَنَزَعَتْ خُفَّهَا، فأوْثَقَتْهُ بخِمَارِهَا، فَنَزَعَتْ له مِنَ المَاءِ، فَغُفِرَ لَهَا بذلكَ "البخاري. وفي رواية عند مسلم:" بيْنَما كَلْبٌ يُطِيفُ برَكِيَّةٍ قدْ كادَ يَقْتُلُهُ العَطَشُ، إذْ رَأَتْهُ بَغِيٌّ مِن بَغايا بَنِي إسْرائِيلَ فَنَزَعَتْ مُوقَها، فاسْتَقَتْ له به، فَسَقَتْهُ إيَّاهُ، فَغُفِرَ لها بهِ ". فهذه امرأة زانية مومِس كانت تجاهر بمعصيتها، والزنى من كبائر الذنوب بلا خلاف .. فغُفِر لها ذنبها لحسن صنيعها مع الكلب، ورحمتها به.

ونحوه حديث البطاقة الذي أخرجه الترمذي بسند صحيح، قال صلى الله عليه وسلم:" إِنَّ اللَّهَ سيُخَلِّصُ رجلًا من أمَّتي على رؤوسِ الخلائقِ يومَ القيامةِ فينشُرُ عليهِ تسعةً وتسعينَ سجلًّا، كلُّ سجلٍّ مثلُ مَدِّ البصرِ ثمَّ يقولُ: أتنكرُ من هذا شيئًا؟ أظلمَكَ كتبتي الحافِظونَ؟ يقولُ: لا يا ربِّ، فيقولُ: أفلَكَ عذرٌ؟ فيقولُ: لا يا ربِّ، فيقولُ: بلَى، إنَّ لَكَ عندَنا حسنةً، وإنَّهُ لا ظُلمَ عليكَ اليومَ، فيخرجُ بطاقةٌ فيها أشهدُ أن لا إلَهَ إلَّا اللَّهُ ، وأشهدُ أنَّ محمَّدًا عبدُهُ ورسولُهُ ، فيقولُ: احضُرْ وزنَكَ، فيقولُ: يا ربِّ، ما هذِهِ البطاقةُ مع هذِهِ السِّجلَّاتِ؟! فقالَ: فإنَّكَ لا تُظلَمُ، قالَ: فتُوضَعُ السِّجلَّاتُ في كَفَّةٍ، والبطاقةُ في كفَّةٍ فطاشتِ السِّجلَّاتُ وثقُلتِ البطاقةُ، ولا يثقلُ معَ اسمِ اللَّهِ شيءٌ ". بطاقة حسنة شهادة التوحيد غلبت، ورجحت وأزالت سيئات ملأت " تسعةً وتسعينَ سجلًّا، كلُّ سجلٍّ مثلُ مَدِّ البصرِ "، ولا ينبغي أن يُقال هنا أن هذه السجلات مُلئت بصغائر الذنوب، ليس فيها ذنب من الكبائر .. فهذا تحميل للنص ما لا يحتمل!

وقال صلى الله عليه وسلم:" وأتبِعِ السَّيِّئةَ الحسَنةَ تَمْحُهَا ". وقال:" إذا عمِلْتَ سيِّئةً فأَتْبِعْها حَسَنةً تَمْحُها ". وهذا الحديث لم يخصص سيئة دون غيرها. وقال صلى الله عليه وسلم:" عَينانِ لا تمسُّهما النَّارُ: عينٌ بكَت من خشيةِ اللَّهِ، وعَينٌ باتت تحرُسُ في سبيلِ اللَّهِ ". لا تمسهما النار مهما كان منهما من سيئات؛ لأنهما أتيا بحسنتين عظيمتين لا تقوى أمامهما السيئات؛ البكاء من خشية الله، والحراسة في سبيل الله .. أكرم بهما من حسنتين عظيمتين كريمتين .. وأزعم أن مما يحتمله النص من معانٍ؛ أن حسنة البكاء من خشية الله، وحسنة الحراسة في سبيل الله .. تحجبان العذاب عن العين، وعن جسم صاحبهما؛ فأطلقت العين، وأريد بها العين وصاحبها، ثم أنَّ الله تعالى أكرم وأرحم من أن يرحم عيناً بكت خشية منه، وباتت تحرس في سبيله .. ثم يعذب سائر الجسد!

وقال صلى الله عليه وسلم:" للشهيدِ عند اللهِ ستُ خِصَالٍ ـ منها ـ: يغفرُ له في أوَّلِ دَفعةٍ من دمِه ..."؛ يغفر له ذنوبه لعظيم حسنة الشهادة في سبيل الله .. ولا ينبغي هنا أن يُقال: يغفر الله للشهيد صغائر ذنوبه دون الكبائر .. فهذا تخصيص لا يسعفه النص، فقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال:" يُغْفَرُ لِلشَّهِيدِ كُلُّ ذَنْبٍ، إِلَّا

الدَّيْنَ "مسلم. وهذا عام شامل لكل ذَنْبٍ إلا الدَّين .. فلم يخصص إلا بالدَّين؛ لبيان أهمية الدَّين.

وعن أَنَسِ بنِ مالكٍ قال: سمِعْتُ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ يقولُ:" ثلاثٌ مَن كُنَّ فيه حُرِّمَ على النَّارِ، وحُرِّمَتِ النَّارُ عليه: إيمانٌ باللهِ، وحُبُّ اللهِ، وأنْ يُلْقى في النَّارِ فيُحرَقَ أَحَبُّ إليه من أنْ يَرجِعَ في الكُفرِ ". فهذه الحسنات تدافع عن صاحبها، وتحرِّم عليه النار.

وفي أثر حسنة الصدقة على محو السيئات، قال رسولُ الله ﷺ: "إنَّ الصدقةَ لتُطفئ عن أهلها حرَّ القبورِ، وإنما يَستظلُّ المؤمنُ يومَ القيامة في ظلِّ صدَقتِه". وقال صلى الله عليه وسلم:"صَدَقةُ السرِّ تُطفِئُ غَضَبَ الربِّ". وقال صلى الله عليه وسلم:" سبعةٌ يُظِلُّهُمُ اللهُ يومَ القِيامةِ في ظِلِّه يومَ لا ظِلَّ إلاَّ ظِلُّه ـ منهم ـ: ورجلٌ تَصدَّقَ بِصَدَقةٍ فأخْفَاها حتَّى لا تَعلَمَ شِمالُهُ ما صَنَعت يمينُه"متفق عليه. وقوله " في ظلِّه"؛ أي في ظلِّ عرشه سبحانه وتعالى؛ يوضح ذلك الروايات الأخرى الدالة على أن المراد من الظل ظل العرش، كما في الحديث:" المتحابون في الله يُظلهم الله في ظلِّ العرش يومَ لا ظلَّ إلا ظِلُّه "[صحيح الترغيب:3019].

وعن معاذ بن جبل قال:" كنتُ مع النبيِّ ﷺ في سفَرٍ، فقال ﷺ:" ألا أدلُّكَ على أبوابِ الخيرِ؟"، قلتُ: بلى يا رسولَ الله، قال:" الصَّومُ جُنَّةٌ، والصَّدقةُ تُطفئُ الخطيئةَ كما تُطفئُ الماءُ النارَ ". وفي أثر حسنة الصلاة، قال صلى الله عليه وسلم:" أَرَأَيْتُمْ لو أنَّ نَهْرًا بِبَابِ أَحَدِكُمْ يَغْتَسِلُ منه كُلَّ يومٍ خَمْسَ مَرَّاتٍ، هلْ يَبْقَى مِن دَرَنِهِ شيءٌ؟ قالوا: لا يَبْقَى مِن دَرَنِهِ شيءٌ، قالَ: فَذلكَ مَثَلُ الصَّلَوَاتِ الخَمْسِ، يَمْحُو اللَّهُ بهِنَّ الخَطَايَا "مسلم.

ولما كاتب حاطب بن أبي بلتعة المشركين؛ يخبرهم عن جيش النبي صلى الله عليه وسلم المتوجه إلى فتح مكة .. وهذا خطأ كبير، لا يمكن أن يُصنَّف في خانة الصغائر .. حمل عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى أن يستأذن النبي صلى الله عليه وسلم في ضرب عنُقه .. فقالَ عُمَرُ: يا رَسولَ اللَّهِ، قدْ خانَ اللَّهَ ورَسولَه، والمُؤْمِنِينَ، فَدَعْنِي فَلأَضْرِبَ عُنُقَهُ، فقالَ النبيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ:" أليسَ مِن أهْلِ بَدْرٍ؟! لَعَلَّ اللَّهَ اطَّلَعَ إلى أهْلِ بَدْرٍ؟ فقالَ:

اعْمَلُوا ما شِئْتُمْ، فقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ "، فَدَمعَتْ عَيْنا عُمَرَ، وقال: اللَّهُ ورَسولُهُ أعْلَمُ. البخاري. رغم أن الذي فعله حاطب يدخل في خانة الذنوب والمعاصي الكبيرة إلا أنه قد تشفعت له حسنة بدرٍ، وغُفر له ذنبه بسبب حسنة بدر، أعظم وأكرم بها من حسنة!

قال تعالى:[إِنَّ اللّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكْ بِاللّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْماً عَظِيماً]النساء:48. في هذه الآية دليل أن الله تعالى يَغفر لمن يشاء جميع الذنوب، الصغائر، والكبائر .. وإن لم تُتبَع بتوبةٍ أو بحسناتٍ .. إلا الشرك فإن الله لا يغفره .. وإذا كان الأمر كذلك، فمن باب أولى أن تُغفَر السيئات ـ إن شاء الله ـ بما فيها الكبائر، إذا أُتبِعَت بالحسنات.

تنويه هام: نقول كلاماً عاماً لا على التَّعيين أن الحسنات تُذهب السيئات .. ولا نجزم لأحدٍ بعينه بأن حسناته ـ مهما عظُمَت ـ قد جبَّت سيئاته، وأنه قد غُفِر له بسبب حسناته، فهذا من التألِّي على الله، لا نُقدِم عليه .. فهذا علمه عند الله وحده .. يخضع لمشيئة الله تعالى إن شاء عَفَا وغَفَر، وإن شاء أخَذَ بالذَّنْبِ، وعاقب .. وإن كان ولا بد، نستثني، نُعلِّق القولَ بمشيئة الله، فنقول: إن شاء الله حسناته تجبُّ سيئاته .. إن شاء الله حسناته تنفعُه يومَ القيامة، ولا نجزم .. هذا فيما يتعلق في اليوم الآخِر، والأحكام الأخرويَّة .. أما في الدنيا، والمعاملات الدنيويَّة، فإن الحسنات ينبغي استحضارها عند إصدار الأحكام على الأعيان والأشخاص، كما في قصة حاطب، وغيره.

* * * * *

شُمُولِيَّةُ القُرآنِ الكَرِيم

562- مِن إعجازِ القُرآنِ الكَريم، وعظَمَتِه، وشموليَّتِه لجميع جوانبِ الحياةِ، وجميع حركةِ الإنسانِ، في كلِّ زمَانٍ، ومكَانٍ .. أنه لم يتَناوَل الحديثَ عن حَدَثٍ قد انتَهى في زمَانِه القَديم، لا يُمكنُ الاستفَادَةُ منه، والقِياسُ عليه في حوادث مماثِلةٍ، ومشَابهةٍ تحصَلُ في الأزمنَةِ التَّاليةِ لنزُولِ القُرآنِ الكريم .. لا توجدُ آيةٌ قَط تَستطيعُ أن تقولَ أن الفائدةَ

مِنها انتهَت في زمَانٍ ومكانِ نزُولِها .. لَا تُوجَد آيةٌ قَط تَستطيع أن تقولَ أن عطَاءَها قد انتَهى أو توقَّفَ، لا فائدَة مِنها .. بل تجدُ القُرآنَ الكريم حاضِراً معَك، يَعيشُ واقِعَك، وحيَاتك، وكلِّ ما يحصَل لك، في أيِّ زمَانٍ، أو مَكانٍ تكونُ فيه .. فمَا مِن حدَثٍ يَقَعُ لك، إلَّا وتجد في القُرآنِ الكَريم آيةً تحدِّثُك عمَّا قد وقعَ لك، وتُبين لك وجهَ الصَّوابِ مِن الخَطأ فِيما أنت فِيه .. وتبين لك كيفَ يَنبَغي عليك أن تتعامَلَ معَ الحدَث الذي تُعايشُه، وكيفَ الخلاصُ، والمخرجُ مِنه .. وكأنَّه يتنزَّلُ عليك السَّاعَة، ويَعنيك بشخصِك، واسمِك، ويَعني الحدَث أو القصَّة التي تَعيشها، وتُكابِدها، والتي قد حصلَت لك .. ويَهديك بشخْصِك إلى ما يجبُ عليك فعلُه، وما يجبُ عليك تَركُه، والابتعادُ عنه .. سواء كنت فرداً، أو جماعَةً، أو دولةً .. رغم جَانِبِ الثَّبَاتِ فِيه فإنَّ معَانِيه ومَرَامِيه تَتجدَّد معَ تَجدُّدِ الوقَائِع، والأحدَاثِ .. فهو قُرآنٌ يمشي معَك في حيَاتِك وواقعِك .. وهذا مَعنى لطِيف، وجميل، وعَظِيم، يُدركُه المرءُ كلما تعمَّقَ أكثَر في دراسَةِ وفَهم القُرآنِ الكريم، وفَهم دَلَالاتِ ومَعَاني آيَاتِه!

* * * * *

563- ..... يتبع إن شاء الله.

www.abubaseer.bizland.com

www.tartosi.blogspot.com

altartousi1@gmail.com